موسوعة العروج إلي

الحقيقة المحمدية

الجزء الثالث

في نور المصطفي صلى الله عليه وسلم لذاته سبحانه حبيباً

كتبه بفتح وعون من الله
الأستاذ الدكتور

فاروق بن أحمد بن الدسوقي الفقي

الحائز على جائزة الملك فيصل
للدراسات الإسلامية

هذا الكتاب

يأخذك أخي القارئ هذا الكتاب إلى العديد من الأنوار الأحمدية المبهرة إذ يخرجك من نور ليدخلك في آخر.

وأولى هذه الحقائق المنيرة هي حقيقة تفرده "صلى الله عليه وسلم بالرسالة الإلهية للعالمين بعامة وللثقلين بالهدى الرباني بخاصة، لأنه رسول الله إلى الرسل والنبي المبعوث في النبيين، هذا بالنسبة للهدى الرباني للثقلين. أما رسالته الكونية لكل الخلق فهي قوله عز وجل"وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقوله "صلى الله عليه وسلم"(أرسلت إلى الخلق كافة) والأدلة على تفرده وحدة بكونه رسول الله اسما ووصفا ومكانة مبسوطة في الأبواب الثلاثة الأولى من هذا الكتاب والحقيقة الأحمدية المحمدية الثانية التي ستعيش في نورها أخي القارئ، هي الاصطفاء، اصطفاء النبيين بعامة، واصطفاء رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بخاصة حيث يفاجأ الباحث أنه لم يرد النص عليه مباشرا وصريحا باصطفائه صلى الله عليه وسلم كما وردت النصوص بالنسبة للنبيين أو جلهم، ومن ثم احتاج اثبات اصطفائه "صلى الله عليه وسلم" بحثا احصائيا شاملا في الاصطفاء وكذا بحثا استقصائيا دقيقا عن حقيقة اصطفائه "صلى الله عليه وسلم" التي لم تشرق علينا إلا من خلال تفسير كل آية من هاتين الآيتين التاليتين للأخرى إذ يصعب فهمهما منفصلتين وهما (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) والثانية (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) ومن ثم انتهينا من تفسير كل واحدة للأخرى بأن الله تعالى اصطفاه "صلى الله عليه وسلم "لذاته، حاشا لله أن يكون اصطفاؤه ولدا، بل حبيبا. وبعد الاصطفاء حقيقة الصلاح في الآخرة فما من نبي أو رسول إلا ودعى الله أن يدخله أو يلحقه بالصالحين في الآخرة. وهذه بحق قضية إذ ماذا يكون معنى الصلاح في الجنة، وهل فيها صالحون وغير صالحين؟ وبالبحث والتقصي لم ينكشف لنا دلالة الصلاح في الجنة إلا بالحقيقة المحمدية العالية المبهرة وهي "الوسيلة" الدرجة العالية الرفيعة التي لا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد الله هو بلا شك وبإذن الله المصطفى لذاته حبيبا.

الأستاذ الدكتور/ فاروق أحمد الدسوقى الفقى.

- من مواليد الإسكندرية عام ١٩٣٨ م.
- ماجيستير فى الفلسفة الإسلامية من جامعة الإسكندرية، بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع و تبادل الرسائل.
- دكتوراه فى العلوم الإسلامية قسم الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.
- حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- أستاذ العقيدة بجامعتى الملك سعود و أم القرى سابقا.

الحقيقة المحمدية

العروجُ إلى الحقيقة المحمدِيَّة

الجزء الثالث

في نور المصطفى لذاته سبحانه حبيباً

العروج إلى الحقيقة المحمدية

الجزء الثالث

في نور المصطفى لذاته سبحانه حبيباً

كتبه بفتح من الله عز وجل

أ.د . فاروق بن أحمد بن الدسوقي الفقي

أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعتيّ الملك سعود وأم القرى سابقا

والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

لعام ١٤٠٥ـ ١٩٨٥

المشتركون فى إخراج هذا الكتاب

جزاهم الله خيرا

أولاً: مكتب الهدى للكمبيوتر لطباعة الكتب والرسائل العلمية – الأستاذ على محمد أبوسنَّة.

ثانياً: تصميم الغلاف : مؤسسة أرابيسك للتصميمات والجرافيك . الفنان : الأستاذ يسري حسن.

ثالثاً: الطباعة والتغليف : مطبعة برج العرب.

رابعاً: هيئة دار الكتب والوثائق المصرية:-

: الترقيم الدولي: ٢٠٠٠٩٣ فى ٢٠١٤/٧/٢٤

: رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٤٩٥١ فى ٢٠١٤/٧/٢٤.

خامساً: الناشر : المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

منه المدد وبه نستعين وعليه التكلان

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات العلى، ونثر فيهن النجوم زينة يهتدي بها المسافرون بحرا وبرا في الظلمات، وخلق لنا ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن سبع سماواتٍ مطبقاتٍ، وجعل فيهن الشمس سراجا تسطع بالأنوار على الأرض والقمر وسائر الكواكب السَّيَّارات.

يُكَوِّر سبحانه في الأرض النهار على الليل ويُكَوِّر الليل على النهار، وجعل في الأرض الجبال راوسى ومنابع للكثير من الأنهار، تتدفق من قِممِها المياه مائجةً ومسرعةً نحو مصبَّاتها في سواحل البحار، وأجرى عز وجل الرياح مُحَمَّلةً بالمزن يُنَزِّل منها الرزَّاق تعالى حيث يشاء وعلى من يشاء الأمطار.

وخلق العليم الحكيم الإنس والجن وكلَّفهما بعبادته وخصَّهما بالحرية والاختيار، ليمضى فيهما سبحانه قدره بالإبتلاء لهما وبالإختبار، تمييزاً للطَّيِّبين منهم عن الأشرار، فأرسل سبحانه وتعالى إليهما النَّبِيِّين والمرسلين المصطفيْن الأخيار هُدَاةً ومُعلِّمين ومُبَشِّرين الذين آمنوا بجنَّاتٍ تجرى من تحتها الأنهار، ومنذرين الذين كفروا والمشركين بعذاب النار.

فَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على النَّبِيِّين بعامَّة، وعلى إمامهم وسيدهم بخاصَّة محمد بن عبد الله أبَرّ الأبرار، الماحي الذى سيمحو الله تعالى به ﷺ وبالذين معه من الأرض الظالمين والفُجَّار، فلا يبقى عليها إنسى ولا جنى من المشركين والكفار، حتى يبلغ دينه ﷺ ما بلغ الليل والنهار، فيدخل

الإسلام كل بيت على ظهر الأرض مبنى من الأحجار، وكل خيمة منسوجة من الأوبار.

وكذا الصلاة والسلام على آله وعترته المُطَهَّرِين وأزواجه ﷺ الأطهار، ثم على أصحابه الغُرُّ الميامين، المهاجرين منهم والأنصار المُبَشَّرين فى الكتاب برضوان من الله تعالى فى جنات تجرى من تحتها الانهار .

ثم أما بعد .....،

فمن أفضال ومنن الله تعالى عليَّ أننى لم أكتب كتابا من كتبى التى تزيد على الثلاثين مجلدا وتَضُمُّ أكثر من إثنتىْ عشرة ألف صفحة بقصد تسويد الصفحات، حيث أنها جميعا مجرد إجابات على أسئلة ألَحَّت على ذهنى حول مواضيع رئيسية للعقيدة الإسلامية وأصول الدين، والتى ليس لها من مصدر عندى إلا الوحى :كتابا وسنة .وكان أول هذه المواضيع التى شغلت قلبى ونفسى وعقلى منذ عهد مرحلة الدراسة الثانوية قضية القضاء والقدر التى صارت بعد ذلك موضوعاً لرسالتىْ الماجستير والدكتوراه، وهو، بحمد الله تعالى منشور فى أربعة مجلدات، وهو بفضله وحمده تعالى الذى نلتُ به جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

واستمرت المسائل الاعتقادية تضع أمام ذهنى الأسئلة التى تبعث فى نفسى الهمة للبحث فى نصوص الوحى المقدسة :كتابا وسنة، سعيا للوصول إلى الإجابة الشافية المقنعة عليها، فكانت كتبى جميعا نتائج هذه الأبحاث والإجابة على هذه الأسئلة.

وفى هذا الجزء الثالث من موسوعة العروج إلى الحقيقة المحمدية محاولة أسأل الله تعالى أن تكون ناجحة وموفقة للحصول على إجابات بعض القضايا أو المسائل الهامة عن الحقيقة المحمدية أهمها ما يلى :

الأولى :لقد توصلنا فى الجزء الثانى من الموسوعة إلى نتيجة رئيسية عن الحقيقة المحمدية وهى أن رسول الله ﷺ أحمدياً هو الروح الكلى، المنفوخ منه ربانيا فى جذور قلوب الرجال، إيمانا ومعرفةً للمؤمنين، ونبوة وحكمة للنَّبيِّين والمرسلين، ومن ثم تيَقَّنَّا أنه ﷺ أبو الأرواح، بل روح الأرواح وسرها المكين، وبالتالى فهو رسول الرسل نبى النَّبِيِّين عليهم وعلى إمامهم الصلاة والسلام أجمعين.

بَيْدَ أنه ثَمَّ إعتراض من بعض الفرق الضالة المنتقصين من قدره ﷺ، ومن قدر والديْه وأجداده وآله وذريته، بأنه ﷺ نبى كسائر الأنبياء وهو مجرد رسول مثل جميع الرسل، مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾ (١) وبقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ .... ﴾ (٢) ولدحض قول المتهوِّكين أولئك جاء التفصيل والبيان مُؤَكِّداً حقيقته ﷺ الأحمديه الروحانية فى الباب الأول والثانى من هذا الجزء عن النبوة والرسالة فى الكتاب والسنة، ولتتأكَّد الحقيقة اليقينيَّة بأنه صلى الله عليه وسلم بنى الأنبياء ورسول الرسل نتيجة طبيعية منطقية لكونه نبع نبوة الانبياء ومصدر رسالة الرسل ونور الايمان فى قلوب المؤمنين، وقد ثبت هذا بمنهج الاستنباط بالتطابق المعجز بين الدلالة العددية للكلمة القرآنية مع دلالتها اللغوية، وتجد هذا :أخى القارئ فى الباب الأول والثانى .

---

(١) سورة آل عمران /١٤٤

(٢) الكهف /١١٠

أما السؤال الثانى فَهُوَ حول وصف الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم بأنهم "**المصطفوْن الأخيار**" . وهذا متكرر فى كتاب الله تعالى وصفا للنبيين بعامة ولبعضهم بخاصة، بيد أن الذى جعلني أتوقف حيال قضية الاصطفاء متسائلا ثم باحثا لأعوامٍ تزيد على الخمسة هى أنه لم يرد لرسول الله ﷺ نص صريح أو ضمنى يثبت له الاصطفاء كسائر إخوانه من الرسل، فكيف هذا وهو إمام المصطفيْن وسيدهم ؟!

من اجل هذا إستغرق موضوع الاصطفاء بعامة ومسألة اصطفاء رسول الله بخاصة اكثر من باب، اذ كان لا بد من الإجابة على هذا السؤال :

كيف يكون كل بنى مصطفى إما صراحة باسمه وإما ضمنا أو بالإشارة بينما إمام النبيين رسول الله ﷺ ليس مذكورا ضمن المصطفيْن أو موصوفا معهم فى هذا الوصف؟!

ويلى موضوُع الاصطفاء بل يتداخل معه إقتران وصف الرسل والنَّبِيِّين مع الاصطفاء فى الدنيا، وصفهم بالصلاح فى الآخرة، وهذا صريح واضح بقوله عز وجل عن خليله إبراهيم ﷺ ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١) وذلك بعد أن دعى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه ﷻ بأنْ يلحقه بالصالحين فى قوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٢) فبشره الله عز وجل فى الكتاب بأنه فى الآخرة منهم، وكذلك دعى بها يوسف عليه السلام ربه ﷻ بقوله ﴿ ...أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣) ودعى بها سليمان عليه السلام

(١) البقرة / ١٣٠ .

(٢) الشعراء / ٨٣ .

(٣) يوسف / ١٠١ .

ربه عز وجل بقوله ﴿ ...وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [(1)] ودعى بها غيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذا مع أن الرسل بل والانبياء وهم أعظم درجات عند الله تعالى من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ومن ثم فهذه إذاً قضية تحتاج إلى بيان وذلك لأن الله تعالى قال ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [(2)] وهكذا قد رتّب سبحانه وتعالى درجات أهل الجنان من أعلى إلى أدنى فجعل النَّبيِّين فى أعلى الدرجات، وجعل أدناهم الصالحين، فكيف يدعو النَّبييُّون أن يكونوا فى الآخرة من الصالحين، أو أن يلحقهم الله تعالى أو يدخلهم فى الصالحين ؟!

وإذا كان معنى الصلاح فى الدنيا هو طاعة الله تعالى والقيام بالتكليف والإخلاص فى عبادته عز وجل حرصا على الفوز فى الإبتلاء، فإن الجنة لا تكليف فيها ولا إبتلاء ولا عبادة لله ﷻ فما معنى الصلاح فى الآخرة إذاً؟!

ولماذا وضَّحَ الله تعالى علو مكانة خليله ابراهيم ﷺ باقتران إصطفائه فى الدنيا مع كونه فى الآخرة من الصالحين ؟والصالحون فى الآخرة، صالحون لأى أمر ؟

الإجابة باذن الله تَعالى وعونه وفتحه وتوفيقة فى البابيْن الأخيريْن الذيْن يتضمَّنان البيان الشافى لمسألتى الاصطفاء وصلاح النَّبيِّين وغيرهم فى الآخرة .

---

(١) النمل /١٩ .

(٢) النساء /٦٩-٧٠ .

ولعل الذى فاجأنى، وأظنك، أخى القارئ، ستُفاجأُ به أيضا، وهو أن المسألة الثالثة التى ستُجيب لنا على مسألتىْ الإصطفاء فى الدنيا، والصلاح فى الآخرة، هى مسألة رؤية المولى عز وجل فى الدنيا، ورؤيته سبحانه وتعالى فى الآخرة .

وهذا لن يتم بوضوح إلا من خلال حقيقة محمدية رئيسيَّة أشرنا إليها فى أكثر من موضع من قبل وسنذكرها فى هذا الجزء من الموسوعة بشئ من التفصيل :ألا وهى أنه ﷺ برزخ بين الحق سبحانه وتعالى وبين الخلق :

١- فرسول الله ﷺ برزخ بين الله سبحانه وتعالى منذ بدء الخلق بكونه ﷺ رحمته تعالى للعالمين

٢- ثم هو ﷺ برزخ بين الحق والخلق فى عالم الملكوت باعتبار أنه الروح الكلى هداية كونية أحمدية للخلق جميعا فى السماء وفى الأرض .

٣- ثم هو أيضا برزخ بين الله تعالى وعباده فى الحياة الدنيا بالهدْى الربانى الأحمدى من خلال النَّبيِّين منذ آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام باعتبار أنهم نوابٌ عنه ﷺ لأقوامِهم، وهدايةً محمدية لأمته، تلك الأمة الوارثة للكتاب والخاتمة للأمم .

٤- ثم إن رسول الله ﷺ برزخ بين الدَّيَّان عز وجل وبين عبيده يوم الدين محموديأً بالشفاعة العظمى يوم لايُؤذن بها إلا له ﷺ .

٥- ثم هو ﷺ البرزخ بين عباد الرحمن وبين ربهم سبحانه وتعالى فى الجنة وسيلةً لهم للنظر إلى وجهه الكريم ﷻ، وتلك هى الدرجة العالية الرفيعة التى لا تنبغى إلا لعبد واحد من عباد الله، هو

بمشيئته تعالى محمد رسول الله ﷺ الذى إصطفاه سبحانه وتعالى لذاته حبيبا .

أسأل الله ﷻ أن يُعلِّمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علَّمنا
وأن يزيدنى علما ما حييت، وأن يعيننى على كتابته ونشره،
إنه نعم المولى ونعم النصير .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
والصلاة والسلام الأكملَيْن الأتمَّيْن على المصطفى لذاته ﷻ حبيبا،
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

الخويدم العبيد
فاروق بن أحمد الدسوقى الفقى الحسينى
غرب الإسكندرية فى صباح الأحد :
٢٨ شوال ١٤٣٥ هـ
المصادف : ٢٤ أغسطس ٢٠١٤ م

العروجُ إلى الحقيقة المحمدِيَّة

الجزء الثالث

في نور المصطفى لذاته سبحانه حبيباً

الباب الأول

قواعد منهجية للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الفصل الأول

قواعد الإستنباط الصحيح لحقيقة موضوع ما
من القرآن الكريم بمقتضى معانى الآيات
ودلالات الألفاظ

الفصل الثانى

الإستنباط بالتطابق المعجز بين الدلالة العددية
للكلمة القرآنية مع دلالتها اللغوية

الفصل الأول

قواعد الاستنباط الصحيح لحقيقة موضوع ما من القرآن الكريم

بمقتضى معانى الآيات ودلالات الألفاظ

١- تمهيد

٢- القاعدة الأولى :

وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم كله لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة

٣- القاعدة الثانية :

وجوب الرجوع إلى السورة كلها وإلى الآية كاملة

٤- القاعدة الثالثة :

إفراد الله ﷻ بالإلوهية والربوبية يوجب إفراد الوحى مصدراً للعقيدة والشريعة

٥- القاعدة الرابعة :

الوحى والعقل ومنهج التأويل العقلى

٦- القاعدة الخامسة :

المعرفة بالوحى والمعرفة بالعقل

٧- القاعدة السادسة :

ضرورة توافق الحقيقة المستنبطة من البحث فى القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية المتفق عليها والثابتة .

٨- القاعدة السابعة :

إخلاص النية وسلامة القصد

الفصل الأول [1]

قواعد الاستنباط الصحيح لحقيقة موضوع ما من القرآن الكريم بمقتضى معانى الآيات ودلالات الألفاظ

تمهيد :

الله ﷻ هو الاله الحق، وما من اله غيره، والاله الحق لا يرضى من عباده ولا يقبل منهم إلا الاستسلام والطاعة والانقياد له وحده، ويرفض منهم أى استسلام أو طاعة أو انقياد أو عبادة يشرك فيها العبد معه غيره، فهو لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصا له وحده سواء كان ذلك صلاة أو نسكا أو محيا أو ممات .

فالإسلام بهذا المعنى هو العقيدة الفكرية والمشاعر الوجدانية والسلوك العملى والحياة الاجتماعية للتوحيد الخالص، ذلك أن المعنى اللغوى والشرعى للإسلام هو إسلام الوجه والإرادة لله رب العالمين وصرفهما عمن سواه .

ومن ثَمَّ كان الإسلام – ولا يزال – هو دين الله ﷻ الذى ارتضاه لخلقه من الانس والجن، من لدن آدم ونوح إلى إبراهيم ومحمد عليهم جميعا

(١) هذا الفصل هو الفصل الأول من الباب الأول من كتاب «القضاء والقدر فى الإسلام» الجزء الأول فى القرآن الكريم والسنة ،ويتضمن سبع قواعد منهجية ،ورأيتُ لأهميته لموضوعنا البدء به وبالفصل الذى سيليه بإذن الله تعالى.

الصلاة والسلام. فما من رسول أو نبى إلا أتى قومه بالإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١)

ومن ثم وجب على المسلم الإيمان بالرسل وبما جاءوا به، لأنهم جميعا لم يأتوا إلا بما أتانا به خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٢)

وبهذا المعنى تكون التوراة هى مصدر الإسلام الذى نزل على موسى عليه السلام، ويكون الإنجيل مع التوراة هما مصدر الإسلام الذى جاء به عيسى عليه السلام. فليس ثمَّ فروقٌ أواختلافات جوهرية بين إسلام نبى وإسلام نبى آخر، لأن عقيدتهم واحدة هى « لا إله إلا الله »، وأصل شريعتهم واحد وأصلها معرفة الحلال والحرام، وأنظمة الحياة الاجتماعية فى الكتب المنزلة من عند الله وليس من غيرها.

وإذا كان أصل الأديان كذلك فما الذى جعل أتباع التوراة الآن وقبل الآن يهودا كافرين، وليسوا مسلمين موحدين ؟!. وما الذى جعل أتباع الإنجيل الآن وقبل الآن صليبين كافرين، وليسوا مسلمين موحدين؟!. وما بال أتباع القرآن حيال هذه القضية ؟

أن هذه القضية تخص – فى المقام الأول – مصدر الدين، فمصدر الإسلام الذى نزل على موسى هو التوراة، وقد حرفها اليهود فحادوا بذلك عن التوحيد وعن الإسلام لله عز وجل، فما أصبحوا بعد ذلك مسلمين موحدين، ولا أصبحت الديانة التى بين أيديهم – نتيجة لغلبة التحريف على كتابهم –

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ١٩ ».

(٢) سورة آل عمران الآية رقم « ٨٤، ٨٥ ».

هى بالتمام الديانة التى نزلت على موسى عليه السلام . ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ . ﴾[1] . ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ . ﴾[2] .

وكذلك الحال بالنسبة للصليبين حيث أصاب الإنجيل من الوضع والتحريف والتغيير ما أصاب التوراة .

وأنزل الله ﷻ القرآن الكريم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ناسخا لما قبله من الكتب السماوية، باعتبار أنها لم تعد صالحة – نتيجة التحريف والتبديل – لإرشاد الإنسان وهدايته وتمكينه من تحقيق عبوديته وإسلامه لله وحده ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[3] .

ولأن القرآن والسنة آخر الكتب السماوية من الله ﷻ للعالمين حتى يوم الدين، وعد الله ﷻ يحفظهما من التبديل والتحريف الذى أصاب الكتب السابقة بفعل الكافرين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4]، وهذا الحفظ،على الأقل، للسنة أما حفظه سبحانه للقرآن فبقوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[5] .

(١) سورة النساء الآية رقم « ٤٦ »

(٢) سورة المائدة الآية رقم « ١٣ »

(٣) سورة المائدة الآية رقم « ١٥ »

(٤) سورة الحجر الآية رقم « ٩ » .

(٥) سورة الكهف الآية رقم « ٢٧ » .

ومن ثم فالقرآن الكريم، منذ أن أنزله الله ﷻ على رسوله الكريم ﷺ إلى قيام الساعة، هو المصدر الرباني السماوي لدين الله، أي الإسلام، ولكنه ليس المصدر الوحيد، ذلك أن الله ﷻ أوحى إلى نبيه الكريم ﷺ بوحي آخر غير القرآن الكريم هو السنة النبوية الشريفة .

فالسنة وحي من الله إلى رسوله، كالقرآن سواء بسواء من حيث الأصل، بيد أن القرآن الكريم كلام الله فهو من الله بلفظه ومعناه، وأحاديث الرسول الأمين وحي من الله ﷻ بالمعنى والمفهوم، ولفظها وحروفها من صياغة الرسول ﷺ .

فالقرآن الكريم والسنة الصحيحة هما مصدرا الإسلام، وتلك قضية لم ولن يختلف عليها المسلمون سواء الأفراد أو الجماعات، أو المدارس والفرق، أو المذاهب والإتجاهات . والمختِلف مع المسلمين حيالها بالرفض الكلي أو الجزئي أو بمجرد التحفظ البسيط ليس مسلما؛ لأنه من الامور المعلومة من الدين بالضرورة.

ويقدم القرآن الكريم للناس جميع الحقائق الكونية التي يجد الإنسان نفسه مدفوعا بفطرته للبحث عنها، حيث يشعر بدوافع ذاتية ملحة لمعرفتها، معرفة يطمئن لها قلبه، ويركن إليها عقله، وتسكن بها نفسه .

وكذلك السنة النبوية الصحيحة، فهي المُبَيِّنَةُ للقرآن الكريم والمُفَصِّلَةُ له، وهي التطبيق الأمين الراشد، والثمرة النموذجية الكاملة للتوجيه والتنظيم القرآني للحياة البشرية والإنسانية، متمثلة في رسول الله ﷺ نموذجا للسلوك الخلقي الإنساني حتى قالت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها « كان خلقه القرآن » [1]، ومتمثلة فيه زعيماً وقائداً للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله، وحاكماً لأمة الحق، ومتمثلة فيمن كانوا حوله من الصحابة رضوان الله عليهم مجتمعاً نموذجياً فريداً، حتى يمكن القول أن المجتمع الإسلامي في

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن سعد بن عامر برقم(٢٣٤٦٠).

العهد النبوى وفى عهد الراشدين كان تطبيقا أمينا خالصا للقرآن الكريم، ومن ثم ارتقت البشرية،متمثلة فى هذا المجتمع إلى قمة إنسانية عالية جدا،نستطيع أن نقول أنها لم تبلغها من قبل ولا من بعد، وإن كان فى مقدورها وفى مكنتها أن تعيد هذا البناء بعينه مرة ثانية إلى واقع الحياة البشرية، أوعلى الأقل إلى درجة قريبة منه، إذا وُجِدتْ الفئة المؤمنة التى تريد إقامته، وتعمل وتجاهد لإعادته، وتحيا وتموت من أجله[1].

فالقرآن الكريم لم يكن « لدى الصحابة كتاب مواعظ أخلاقية فقط،أو تاريخا أنزل كغيره عن قرون ماضية، وإنما هو كتاب غيبى وإنسانى وأخلاقى وعملى وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله، فهو كتاب الكون منذ نشأته إلى فنائه » [2] . وذلك هو الأصل الأول للإسلام « وبجانب هذا الأصل الأول، وجد الأصل الثانى وهو السنة، ما صدر عن رسول الله من قول وفعل وإشارة، وأن يتلمسوا فى هذا الأصل الثانى مالا يقل عن الأصل الأول فى حقيقته الإلهية مادة فكرهم وعملهم، وسار الأصلان متعاونين يرسمان الحياة الجديدة ويرسخانها فى جميع قواعدها » [3] .

وبالرغم من أن جميع المفكرين الإسلاميين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم يقرون جميعا بأن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المصدر الوحيد لجميع الحقائق الكونية والمبادئ التشريعية، فإنه – لَمَّا يؤسف له – ظهور الفرق المختلفة والمتباينة والمتعارضة فى تاريخ الفكر الإسلامى، وبالرغم من وحدة

---

(١) وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن لآل بيته دولة خلافة راشدة بعد سقوط الخلافة بقوله ﷺ(تكون الخلافة على عهد النبوة ثم ملك ورحمة ثم إمارة ورحمة ثم ملك عضوض ثم عهد الجبابرة ثم تعود خلافة على عهد النبوة) أو كما قال.، فالخلافة لا تعود إلا بالمهدى.

(٢) د. على النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ١ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

المصدر الذى يستقون منه، فإن التقابل بين بعض الفرق بالنسبة لبعض المسائل التى عرفت بالمسائل الكلامية، يصل أحيانا إلى حد التناقض التام وهى مسائل تمس مسا مباشرا أو غير مباشر حقائق كونية يتحدث عنها الوحى – قرآنا وسنة – وهي الإلوهية والإنسان والكون والحياة .

وإزاء إجماع المدارس الفكرية وأئمة الفرق فى الإسلام على المصدر وإزاء حقيقة الحفظ الإلهى للقرآن الكريم من التبديل والتحريف، وللسنة من الضياع والتحريف، فإنَّنا لا نملك إلا أن نتساءل عن سبب اختلاف بعض مفكرى الإسلام وتفرقهم إلى شيع وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون وبه متمسكون ؟ ! .

تتضح لنا الإجابة على هذا السؤال ،إذا علمنا أن المعرفة الإنسانية موضوع ومنهج، وذلك لأن أجهزة الإدراك والمعرفة البشرية عندما تبحث وتدرس وتستنبط فإنها تكون بإزاء أمرين، وليست بإزاء أمر واحد .

الأول : هو الموضوع وهو مادة البحث ومصدر المعرفة .

والثانى : هو المنهج ونعنى به السبيل الفكرى والخطوات الذهنية التى يتبعها فكر الباحث أو العارف فى مساره بقصد تحصيل المعرفة .

وبناء على ذلك، فإن علة اختلاف الفرق والمدارس – مادام الاتفاق قائما بينهم حول الموضوع والمصدر – تكمن فى الأغلب فى المنهج الذى تتبعه وتستخدمه كل مدرسة أو كل فرقة من الفرق الإسلامية المخلصة .

أى أن إختلاف الوسائل والمناهج التى بدأ بها مفكرو الفرق بحثهم فى القرآن والسنة أدى بهم فى النهاية إلى التباعد والتقابل والتناقض فى نتائج أبحاثهم، مما جعلهم فرقا وشيعا وأحزابا، أو على الأقل نقول أن اختلاف المناهج هو من أهم العوامل التى أدت إلى ظهور الفرق .

ومما لا شك فيه أن الحق واحد ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ . ﴾ (١) فإذا اختلف اثنان أو أكثر حيال قضية ما، فلابد أن يكون الحق ما يقول أحدهم فقط، وما سواه مخالفون للحق ومجانبون للصواب بالضرورة، وكل ما فى القرآن حق، وليس ثمة اختلاف بين آياته وسورة أو تضارب بين حقائقه، فإذا اختلف المختلفون حول حقيقة قرآنية، وكان الحق مع أحدهم فالآخرون مخطئون بالضرورة .

والفرق الإسلامية والمذاهب الفكرية يختلفون بالرغم من استناد الجميع إلى القرآن الكريم، وهذا يعنى أن البعض منهم لم يصب الحقيقة القرآنية فى الموضوع قيد البحث . وسبب مجانبته للحقيقة القرآنية هو المنهج الذى فهم به آيات القرآن للتوصل إلى بغيته، وهذا يعنى أن مناهج البحث عند كل الفرق – إلا واحدة – تتضمن عيوبا ونقائص وسلبيات من شأنها أن تبعد بالباحث فى القرآن عن الحقيقة القرآنية بالرغم من استناده على آيات من الكتاب الحكيم .

ومن ثم فإننا – بإزاء هذا كله – نكون بحاجة إلى عدة قواعد تحكم نَظَرَنَا وتَدَبُّرَنَا وبحثَنَا فى القرآن الكريم والسنة، الغاية منها أن نخرج بحقيقة قرآنية خالصة – نتيجة البحث – متأكدين فى الوقت عينه أنها الحقيقة القرآنية الكاملة والشاملة فيما نحن بصدد البحث فيه .

ولكى نصل إلى ما نبغى، ينبغى علينا أن نستعرض المعالم الرئيسية للمناهج التى اتبعها مفكرو الفرق فى فهم حقائق القرآن حتى نَتَجَنَّبَهَا ولا نقع فى مثل ما وقعوا فيه من أخطاء، آملين فى الله ﷻ أن يوفقنا ويهدينا إلى أهم الأسس التى نقيم عليها أهم القواعد الرئيسية لمنهج البحث فى القرآن الكريم والسنة، أو ما يمكن أن نطلق عليه منهج التفسير الموضوعى للقرآن

(١) سورة يونس الآية رقم « ٣٢ » .

الكريم، أى تفسير الموضوع أو الموضوعات المتخللة فى كل أو بعض سور القرآن الكريم ،وهو بالضرورة غير منهج تفسير القرآن حسب ترتيب السور، وهما بلا شك، أى المنهجان، يتفقان فى بعض القواعد ويتباينان فى بعض القواعد الأخرى [1].

✿✿✿✿✿

(١) الحمد والمنة والشكر لله رب العالمين الذى وفقنى إلى معرفة هذه القواعد فى أول حياتى العلمية وطبقتها على أول كتاب كتبته وهو "القضاء والقدر فى الإسلام" ثم فى أكثر من ثلاثين مجلد بعد ذلك وهو ليس سوى تفسير لآيات القرآن الكريم بالمنهج الموضوعى ،وأحمد الله تعالى وأشكره بفوز كتاب "القضاء والقدر فى الإسلام". الجزء الأول والثانى فقط وهما رسالة الماجستير بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

القاعدة الأولى :

وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم كله

لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة

الأمر الأول الذى يجب أن نتبعه، لكى يكون المنهج صحيحا والموضوع نابعا من القرآن - إذا أردنا أن نعرف حقيقة ما فى القرآن - هو أن ننظر فى القرآن جملة ليتحدد ويتضح لنا طريقة معالجة القرآن الكريم للحقائق الكونية . فالقرآن الكريم عند المسلمين هو كلام الله تعالى إلى البشر، صدر من الله الواحد للإنسان الواحد فى النوع، المتعدد أفراداً، فهو يحمل فى ذاته - أى القرآن - طابع الوحدة لأنه صادر عن واحد، وهو صبغة الله وروح من أمره تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [1] . ومن ناحية أخرى فهو موجه إلى الإنسان أو بنى آدم المتعددين والمختلفين زمانا ومكانا، ومن ثم فهو يحمل فى ذاته معنى الكثرة والتعدد، حيث يتحدث عن حقائق كثيرة وموضوعات شتى، فى مائة وأربع عشرة سورة تضم آلاف الآيات .

ومن ذلك يصبح من المعلوم بالضرورة لكل مسلم : أن القرآن يفسر بعضه بعضا، فما أجمله فى موضع، أفاض فيه تفصيلا فى موضع آخر .

ونتيجة لهذا ينبغى علينا - لمعرفة حقيقة من الحقائق الكونية أو الإنسانية فى القرآن - أن ننظر فيه جملة، باعتباره وحدة واحدة، وأن نحاول معرفة هذه الحقيقة أو استخلاصها من القرآن الواحد ككل ،وليس باعتبار أن سوره متباينة، أو آياته متفرقة .

ومعلوم أن القرآن الكريم لا يحمل رؤوس موضوعات أو أسماء مباحث كمباحث الفلسفة، فإذا أردنا معرفة حقيقة الألوهية نجد أنفسنا مضطرين بالضرورة للبحث فى آيات القرآن جميعها، وسنجد أنها جميعا

---

(١) سورة الشورى الآية رقم « ٥٢ » .

تَتَضمَّن معارف عن، هذه الحقيقة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. كذلك لمعرفة حقيقة الإنسان فى القرآن لابد أن نعود إلى آياته من أولها إلى آخرها بلا استثناء، وأن تكون نظرتنا شاملة كلية عامة حتى نخرج بالحقيقة عن الإنسان كاملة صحيحة، ولو اقتصر بحثنا على الآيات التى تتحدث حديثا مباشرا عن الإنسان فسوف نصل إلى حقيقة ناقصة مشوهة، أو سنصل إلى بعض جوانب الحقيقة الإنسانية فى القرآن دون الأخرى.

حقيقة أن السور القرآنية تحمل أسماء، وقد يعترض البعض بأنها تعتبر موضوعات كاملة وهذا صحيح، ولكن هذا الاعتراض مدفوع لأننا نجد أن الموضوع الواحد والخبر الواحد يذكر فى أكثر من موضع فى القرآن، كما نجد كثيرا من السور تحمل اسما لموضوع واحد فقط، مع اشتمالها على عدة موضوعات فى سياقها. فهناك سورة الإنسان مثلا، سنعود إليها حتما حين نبحث عن حقيقة الإنسان فى القرآن، ولكن من الخطأ أن نقتصر عليها لأننا نجد أن القرآن كله أو جله يتحدث عن الإنسان بما فيه سورة الإنسان.

ولعل أوضح مثل على هذا القول هو معرض الكلام عن حقيقة الألوهية وخصائصها فى القرآن الكريم، حيث نجد أننا ملزمون باستعراض آيات القرآن الكريم كاملة، حتى نخرج بمفهوم كامل صحيح عن فكرة الألوهية، وإذا كنا سنقصر البحث عن الآيات المباشرة فقط، تلك التى تتحدث عن الله وصفاته وأفعاله، فلن نصل إلى مفهوم لفكرة الألوهية كما هى فى هذا الكتاب الحكيم.

فهناك آيات تتناول مخلوقات جزئية معينة هى فى حقيقتها تخبرنا عن خصائص الله سبحانه وصفاته، فآيات الكتاب الكريم كلها خطاب موجه من الله تعالى إلى البشر، وفى الكلام دلالة خاصة على صفات قائله سبحانه وتعالى وخصائصه جل وعلا. حتى لو كان موضوع القول بعيدا تماما عن فكرة الألوهية فآيات القرآن الكريم التى تتحدث عن خلق العالمين «

السموات والأرض » لها دلالتها الخاصة على القدرة الالهية المطلقة فقوله تعالى ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾(١) إعلام لنا بحقيقة طبيعية وسنة كونية وقانون فلكي تنتظم بحسبه حركات الأفلاك . ولكن بدون هذه الحقيقة الفلكية ومثيلاتها الكونية والطبيعية لا نستطيع أن تستشعر مدى عظمة القدرة الإلهية وسعة العلم الإلهى وشموله وقوة إحكامه تعالى للعالمين حيث يخضع كل شئ فيه لحكمه وقدره ومشيئته، وبدقة بالغة بحيث يستحيل أن يخرج كوكب أو نجم عن مساره المحدد أو يسبق أو يتأخر عن زمنه الذى حدده له خالقه تعالى إلا بمشيئته سبحانه. وهذا يستتبع القول بأنه سبحانه وتعالى على كل شئ رقيب، يدبر شئون العالمين وليس مهملا وتاركا لخلقه .

تلك الحقائق من أخص خصائص الإلوهية قد فهمناها من آية واحدة تتحدث عن بعض مخلوقات الله ﷻ ،وإن دل هذا على شئ، فإنما يدل على أن القرآن وحدة كاملة شاملة عامة، ويجب أن تؤخذ كذلك عند البحث فيه عن أى حقيقة من الحقائق .

وهذا يلزمنا بأن نستخدم فى البحث بين آياته منهجا إحصائيا شاملا، بمعنى أن لا يكون هناك مجال لإغفال أو ترك بعض الآيات أو حتى آية واحدة منه، تخص موضوع البحث إذ قد تكون هى محور البحث كله بحيث يبعدنا إغفالها عن الحقيقة الرئيسية المنشودة .

القاعدة الثانية :

وجوب الرجوع إلى السورة كلها وإلى الآية كاملة

ومما لا شك فيه، أن طبيعة اللغة – أى لغة – تحتم على مستخدمها ،لِكىْ يصل إلى المعانى الصحيحة للالفاظ، أن يتناول الجملة أو العبارة كاملة

(١) سورة يس الآية رقم « ٤٠ » .

وكذلك الموضوع . وهذا ينطبق، بطبيعة الحال، على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم .

فنحن إذا تركنا آية من سياقها أو نزعناها منه نزعا أدى هذا إلى البعد عن فهم السياق فهما صحيحا، وكذلك الحال إذا تركنا جمله من آية أى أخذنا بعضها دون البعض، فسنصل إلى معنى مغاير أو مناقض للمعنى المقصود . فمثلا الآية ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [1] إذا فصلت عما بعدها يصبح معناها وعيداً لكل المصلين، ونهى عن الصلاة ،ولا شك أن هذا يؤدى إلى تناقض واضح مع نصوص الآيات الأخرى، ولكن باستكمال سياق الآيات يتضح المعنى الحقيقى حيث يقول الله ﷻ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [2] . وهذا شئ معروف لدى مفكرى المسلمين وعامتهم بالنسبة للآية الواحدة ،وليس بالنسبة للسورة أوالقرآن كله .

ولقد فعل ذلك علماء بنى إسرائيل وأحبارهم بكتابهم نصا ومعنى، فآمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض . فبدلوا وحرفوا وغيروا، وهذا نوع من التبديل والتحريف والتغيير، يمكن تسميته بالتبديل السلبى ،بمعنى أنه قائم على إخفاء بعض الحقائق وإلغائها أو تكذيبها والكفر بها ،بالتجاهل والتغاضى عنها وليس بالإنكار الصريح، وفى ذلك يقول سبحانه ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ

---

(١) سورة الماعون الآية رقم « ٤ » .

(٢) سورة يس الآية رقم « ٤٠ » .

﴿ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1] وآية سورة الأنعام تقول ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [2]

فإذا كان بنو إسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا بالبعض الآخر، وذلك عن قصد وسوء نية واضحين، فإن كثيرا من مفكرى أو متكلمى الإسلام قد أخذوا ببعض الكتاب وتركوا البعض – عن قصد أو غير قصد – حين تبويبهم وتصنيفهم للحقائق الإلهية والكونية والإنسانية واستخراجها من القرآن، وذلك بتركهم النظرة الشاملة الكاملة، فجاء تقريرهم للحقائق مشوها قاصرا غير واف أحيانا كثيرة، ومضطربا ومتناقضا فى بعض الأحيان .

فالقائلون بالجبر لم يصيبوا حين قرأوا ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [3] أو ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [4] . وأمثالها وما فى معناهما متقصرين عليها . وكذلك القدريون عندما اقتصرت نظرتهم على الآيات الكثيرة الدالة على الاختيار مثل قوله تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [5] أو قوله ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ .. ﴾ [6] وتَوَقَّفُوا عندها ،متجاهلين الآخرى.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٨٥ » .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم « ٩١ » .

(٣) سورة الصافات الآية رقم « ٩٦ » .

(٤) سورة الإنسان الآية رقم « ٣٠ » .

(٥) سورة المدثر الآية رقم « ٥٥ » .

(٦) سورة الكهف الآية رقم « ٢٩ » .

بل ذهبت بعض الفرق فى الاستدلال بالآيات إلى استعمال نصف الآية أو بعضها، ومثال ذلك تعاملهم مع قوله تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١) حيث نجد أصحاب القدر والاختيار يقتصرون على الاستشهاد بالجزء الأول منها ﴿ .. فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (٢) ، وأصحاب الجبر يهملون الأول ويستشهدون بالجزء الأخير فقط ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ .. ﴾ . وعندما يواجه كل فريق بها يناقض مذهبه من الآية يلجأ – متعسفا – لتأويلها .

القاعدة الثالثة :

إفراد الله ﷻ بالإلهية والربوبية يوجب أفراد الوحى مصدراً للعقيدة والشريعة

والأمر الثانى المهم لكى يكون المنهج علميا والموضوع قرآنيا خالصا فى بحثنا عن أى موضوع من موضوعات العقيدة، وأهمها حقيقة الكون وموقف الإنسان فى الإسلام، هو أن يكون القرآن والسنة فقط هما المصدرين الوحيدين قولا وتنفيذا، وليس قولا فقط، وبتعبير آخر علينا أن نسأل، ثم نسمع الإجابة من ربنا جل وعلا وحده، وذلك بالبحث فى القرآن والسنة وحدهما دون إدخال شركاء من مصادر أخرى من دونهما .

إن القرآن والسنة الصحيحة وحى من السماء، وهذه الحقيقة، التى تعتبر مسلمة من مسلمات ومبادئ الإسلام وأصوله، تخطاها الكثيرون من مفكرى الإسلام – بقصد أو بغير قصد – مما نتج عنه اتخاذ أصول بشرية

(١) سورة الإنسان الآية رقم « ٣٠، ٣١ » .

(٢) سورة الإنسان الآية رقم « ٢٩ » .

ووضعية أخرى معهما، تدخل على المفكر فى صورة أفكار ونظريات وفروض يعتقد هو بِصِحَّتها، أو مترسبة فى أعماقه نتيجة رواسب ثقافية قديمة سابقة ومغايرة لروح الوحى وحقائقه، ومن ثم يصبح مصدر الباحث أو المفكر فى هذه الحالة القرآن والسنة وغيرهما، وهذا مالا يستقيم مع مبدأ إفراد الوحى كمصدر وحيد للحقائق الغيبية والتشريعية والتاريخية، وحين يختلط المصدر السماوى بمصادر أرضية ينتهى الباحث حتما إلى تخبط وتناقض وتضارب ،وبُعْدٍ تام عن الحقيقة المنشودة.

فعلينا إذا كباحثين عن حقيقة ما فى الإسلام أن نقبل على مصدريه، وقد أفرغنا عقولنا من كل تصور سابق لم يستمد مباشرة منه . أى أن يكون عقلنا صفحة بيضاء خالية من الفروض والنظريات والأفكار المسبقة ومستعدة لتلقى الحقائق كما هى .

حقيقة أن الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم لم يقوموا بعد أن تلقوْا القرآن، بإثارة مشاكل فلسفية فكرية عن الالوهية والكون والإنسان . وفى هذا يذكر الأستاذ الدكتور على سامى النشار رحمه الله ما نصه « كانت فلسفة القرآن[1] التى ذكرنا صورا منها تتردد فى كيان المسلم، وتعلن إليه حقائق الكون وحقائق الإنسان، ولم يحاول المسلم فى أوائل عهد القرآن أن يبحث وأن يتجاوز الحدود التى رسمت، ورأى حقيقتين أمامه كما قلتُ، حقيقة توفيقية وحقيقة توقيفية [2] أما الأولى فقد سار فيها وارتاض رياضة كبرى فانتج العلم التجريبى، وحقيقة توقيفية لم يستطع عليها صبراً فبحث

(١) أتحفظ على تعبير فلسفة القرآن لأن القرآن وحى خالص من الله ﷻ وأما "الفلسفة" فهى من إنتاج العقل البشرى فقط. فلا يصح أن يضاف القرآن الكريم إلى فلسفة أو تضاف الفلسفة إلى القرآن..

(٢) يقصد بالأولى العلم المادى التجريبى الذى فوضه الرسول الكريم للعقل البشرى بقوله « أنتم أعلم بأمور دنياكم» أما الثانية فيقصد بها حقائق العقيدة والشريعة .

فيها أيضا، إما بمنهج متطابق معها وإما بمنهج مخالف، فظهر العلم النظرى»[1] .

كما يقول الدكتور محمد البهى رحمه الله ما نصه « أن النبى ﷺ لم يقف عند وصف من أوصاف القرآن والحديث لذات الله تعالى [2] ، ليخرج من هذا الوصف مذهبا أو مذاهبا فى فهم العقيدة – كما حاول بعده المسلمون – بعد أن تفرقوا وتحزبوا مستندين إلى عبارة أو عبارات وردت فى القرآن أو الحديث يصح أو يحتمل أن يمال بها إلى رأيهم الخاص ومذهبهم الشخصى، ولكنه ﷺ لم يثر مثلا حول الآيات الظاهرة للإختيار والأخرى الظاهرة للجبر مثل ما أثاره حولها ،فيما بعد، بعض المعلقين والمتفهمين من القدرية والجبرية، ولم ير ﷺ كذلك بين النوعين من الآيات تضادا حاول أن يرفعه كما صنع بعض متفهمى العقيدة أو بعض المفسرين . لم يعمد ﷺ إلى التخريج إذاً كما عمد المسلمون من بعده، ولم يشأ أن يبحث ويتعقب فى آى الذكر الحكيم الذى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات » [3] لأن مثل هذا التخريج أو التنقيب يستلزم حياة رغدة آمنة، خالية من الجهاد ولأن هذا أيضًا لم يكن من الخير للأمة الإسلامية الناشئة، التى كانت فى ذلك الوقت أحوج ما تكون إلى الوحدة الفكرية الكاملة .

---

(١) د. النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ٤ ط . الإسكندرية ١٩٦٥ .

(٢) أتحفظ أيضاً بقوة عن قوله(أوصاف لذات الله)فالصفات والأفعال هى لله ﷻ وأما الذات الإلهية المقدسة فهى فى عماء العماء وغيب الغيب وظلمة الظلمة..

(٣) د . محمد البهى : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٤٠ .

والآن وقد كثر خصوم الإسلام وهجومهم عليه، وتزاحمت منذ صدر الإسلام حتى الآن الملل والنحل والفلسفات والمبادئ تريد كلها أن تنقص منه كعقيدة صالحة للحياة والبقاء، أما وقد كان ذلك، فقد أصبح لزاما على علماء الإسلام، أن يذودوا عن دينهم ويبرزوا حقائقه كاملة شاملة من القرآن والسنة وبالمنهج النبوى الكريم، أى أن واجبنا أن نتخطى كل المناهج التى استخدمها مفكروا الإسلام المختلفون مقتصرين على أسلوب الرسول الكريم والصحابة المهديِّين من بعده فى تعاملهم مع كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة . ولن يتسنى لهم هذا الأمر إلا بإفراد القرآن والسنة مصدراً وحيداً للبحث ،وذلك بخلع ونقض كل آثار وأفكار ونظريات الثقافات البشرية ،والإقبال على القرآن بعقول خالية وناصعة مستعدة للتلقى، وليست متحفزة للإضافة والتحريف .

إن إفراد الله ﷻ بالإلوهية والربوبية يوجب إفراد الوحى مصدراً للعقيدة والشريعة .

علينا إذن أن يكون بحثنا فى القرآن الكريم خالصا من آثار ونتائج مباحث الفرق الإسلامية التى ظهرت بعد عصر الصحابة والتابعين، وخالصا أيضا من الأفكار والنظريات الحديثة ،التى يظن البعض أنها إسلامية، لوجود بعض الشبه بينها وبين بعض مبادئ الإسلام، معتمدين فى فهمنا للنصوص على دلالات الآيات حسب قواعد اللغة العربية .

ومن ثم فالأمر الذى يجب أن نتوخاه فى المنهج هو ألا نقبل على القرآن وفى أذهاننا فروض وحقائق مسبقة غريبة عنه ومستمدة من أى مصدر آخر، ثم نبحث بين آياته ونصوصه عن كل ما يؤيد ما فى أذهاننا من حقائق وأفكار ، لأن الذى أدى بالمسلمين إلى الاختلاف فى فهم العقيدة وحقائق القرآن فى المقام الأول هو « محاولة جلب نصوص العقيدة إلى رأى أو آراء أو حقائق مُعَيَّنة حدَّدتها أهداف وبواعث أخرى – غير العقيدة ذاتها – كان

أهمها أهداف سياسية واجتماعية وغيرها، وسيطرت على طائفة أو طوائف من المسلمين » [1] .

القاعدة الرابعة :

الوحى والعقل ومنهج التأويل العقلى

وهذه القاعدة خاصة بتحديد إمكانية العقل البشرى وحجم دوره حيال النص الإلهى[2] فالإسلام يقرر ابتداء وجود عالمين على الفرد أن يؤمن بهما كشرط لقبول إسلامه، هما : عالم الغيب وعالم الشهادة، حيث تقول الآيات الأولى من الكتاب ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [3] .

وعالم الغيب هذا خارج عن نطاق وحدود الزمان والمكان البَشِرِيَّيْن : الظرفيْن اللذيْن يعمل من خلالهما العقل، واللذيْن لابد أن يكون موضوع تفكيره واقعا تحتهما . أما عالم الغيب : الله والملائكة والسموات السبع أى عالم الملكوت والجن والآخرة فهذه أمور لا يدركها العقل، ولا يستطيع أن يعرفها معرفة تفصيلية بنفسه، وإنما دوره حيالها هو التلقى والفهم والتصديق، وما عدا ذلك، أى عالم الشهادة وهو العالم المحسوس الذى تقع موضوعاته وأجزاؤه تحت الزمان وفى المكان ،فللعقل أن يبحث فيه ويصل إلى حقائقه .

ومن ثم فحقائق الغيب لا تناقش مناقشة عقلية منطقية، وإنما نعرفها بأَنْ نَتَلقَّاها من النصوص ثابتة كما هى، ويقتصر دور العقل فيها على

---

(١) د . محمد البهى : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٣٢ .

(٢) انظر كتاب : « خصائص التصور الإسلامى » للأستاذ سيد قطب رحمه الله « كلمة فى المنهج » .

(٣) سورة البقرة الآية رقم « ١ - ٤ » .

التصنيف والتقسيم والتبويب والتقنين ، حتى نخرج بحقيقة عامة كاملة متوازنة متناسقة، وغير منافية للعقل ولا للمنطق .

وعلى هذا فلا يعتبر العقل فى مستوى الوحى، إذ أن الحقائق الغيبية التوقيفية التى وردت فى القرآن والسُّنَّة فوق مستوى العقل البشرى، وغير داخلة فى نطاق عمله ومادة تخصصه . وقد نادى القرآن بالحقائق التوفيقية الحقائق التى للعقل مجال للنظر فيها، وقد اندفع العقل فى نطاقها فأبدع ، كما سنرى بعد العلم وأقام الحياة »[1] .

وما دمنا فى معرض الحديث عن العقل والوحى، فلا يفوتنا أن نذكر أن بعض مفكرى الفرق الإسلامية بدأوا البحث فى القرآن وفى أذهانهم مقررات عقلية سابقة، أو فروض يعملون على إثباتها – سواء كان مصدرها المفكر نفسه، أو أى مصدر أجنبى آخر من الفلسفات والثقافات الغريبة عن الإسلام ، فإن وجدوا بين آياته ما يؤيِّد هذه النظريات والفروض فبها ونعمة ، وإن لم يجدوا قاموا بتأويل الآيات والأحاديث تأويلا متعسفا لا تقبله الآية، ولا يحتمله متن الحديث . وبذلك انحرفوا بتأويلات النصوص القرآنية والنبوية ومفاهيمها انحرافا شديدا .

ومما لا شك فيه أن شيوخا فى الفكر الإسلامى مخلصين قد لجأوا للتأويل العقلى لحل مشكلات فكرية معينة . ولكن الذى حدث أن غيرهم من غير المسلمين أو غير المخلصين قد استخدموا هذا المنهج الفكرى استخداما يهدم الإسلام . فوضعوا به للقرآن تفسيرات باطنية وعلمية وعقلية، جعلت منه أكثر من قرآن وليس قرآنا واحدا . وذلك هو السبيل الذى لجأوا إليه فى محاولةٍ منهم، لتغيير القرآن وتحريفه وتبديله، عبثا بالمعنى، بعد أن قهرهم اللفظ المنطوق والنص المكتوب ،فعجزت أصابعهم أن تمتد إليه .

(١) د . النشار / نشأة الفكر جـ ١ ص ٢ .

وما وقع فيه بعض المخلصين من علماء الإسلام، نتيجة إيمانهم الشديد بالعقل، واعتباره فى مرتبة مساوية مع الوحى، هو محاولة إخضاع الوحى لمقرراته حتى تبدو حقائقه معقولة ومقبولة، مسايرة منهم لروح الحضارة السائدة فى عصرهم، دفاعا عن الإسلام وحرصا منهم على نشره.

بيد أن نتائج هذا المنهج كثيرا ما تكون خاطئة وخارجة عن المضمون الحقيقى للحقائق القرآنية، ومن ثم يأتى النسق الفكرى الإسلامى غير متوافق ولا متوازن ولا متساند، ويحمل فى طياته كثيرا من الثغرات ووجوه النقد، ومثال هؤلاء فى القديم : الجهمية والمعتزلة، والشيعة والخوارج والمتفلسفة والباطنية.

و نأخذ مثلَيْن على ذلك من مفكرِيْن حديثين هما : الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا، وهما من العلماء الصالحين المخلصين ولا نُزَكِّيهما على الله ﷻ فهما مِمَّن أعلوا العقل على النقل، أو على الأقل، جعلوا كل واحد منهما عِدْلاً للآخر، إذ مسايرة لروح العصر نجد الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ سورة الفيل(٣-٥)

يفسر الحجارة من سجيل بأنها « ما يسمونه اليوم بالميكروب » أما عن الطير، فقد أجاز لنا أن نعتقد أنه « من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل الجراثيم » ،ومن ثم تكون هذه الحجارة من سجيل هى جراثيم « مرضى الجدرى أو الحصبة » حيث بسببهما يتساقط لحم البشر بدليل قوله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ .

ولو جادلناه بالعقل لقلنا له أن مرضىْ الجدرى والحصبة يحتاج كل منهما إلى زمن طويل لكى يهلك جيشا جرَّارًا كاملا . وقد أثبتت الروايات التاريخية أن هذا

الجيش كان على بعد ساعات من الكعبة حين نزلت الطير عليهم بالحجارة من سجيل . فلو كانت جراثيم لاحتاجت وقتا حتى تتغلب على مناعة ومقاومة الجسم لتمرضه . ولكن الذى حدث أنه بمجرد حضور هذه الطير وإلقائها بالأحجار على الجند والفيلة هلك كثير منهم والباقون فروا ورجعوا متهالكين .

وما الدليل على أن معنى الطير الأبابيل فى اللغة هو الذباب ؟ ! إن هذا التأويل ،علاوة على أنه يخرج اللفظ عن معناه اللغوى،يتضمن إنكاراً لقدرة الله تعالى المطلقة ويوحى بأن الله عندما يريد أن يفعل شيئا يتحتم عليه أن يفعله حسب القوانين والسنن الطبيعية والكونية ،وهو قول يؤدى ويلزم فى النهاية بإنكار المعجزات . ولكنا لا نجادل بالعقل ولا نقول بالرأى فى كتاب الله تعالى ، إنما أردنا أن نبين فساد هذا المنهج فقط .

هذا مثال يوضح لنا كيف حرص الشيخ محمد عبده رحمه الله على أن يكون النص القرآنى ملائما كل الملائمة للعلم الحديث، وموافقا مع سمة الحضارة المادية العقلية لعصره، وجعله يتأول النصوص تأويلا غريبا عن مدلولات الآيات بحسب اللغة فقط . فماذا لو عاش الإمام إلى أيامنا هذه، حيث القنابل الذرية والهيدروجينية والغازات السامة والقنابل الحارقة ؟ أيتغير إذاً معنى الحجارة من سجيل لتصبح شيئا عصريا، أم ماذا سيكون معناها فى المستقبل ؟

إن هذا السبيل فى التفسير يجعل المعانى للآيات متغيرة ومختلفة وخاضعة لمكتسبات العلم وسمة الحضارة لكل عصر من العصور .

أما المثال الذى اخترناه عن تلميذه الشيخ رشيد رضا رحمه الله هو ذكره فى تفسير المنار أن الملائكة هى القوى والأفكار الموجودة فى النفوس. وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير هذه القوى للإنسان فى هذه الحياة . وأن قصة آدم بما فيها

من محاورة الملائكة وتعليمه الأسماء، وسجود الملائكة له من باب التمثيل لم تقع بالفعل .

وهكذا نجد أن مدرسة تفسير المنار التى جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل أو العلم الحديث، كما أسرفت فى الحذر من تقبل حقائق الغيب التى قد لا تتمشى مع عقلية العصر وسمة الحضارة المادية .

وقد حدث ذلك فى معرض محاولة الشيخ رضا نفى طوفان الخرافات الإسرائيلية، وغيرها التى تسربت إلى رحائب التفسير، وجعل أحكام الدين وحقائقه ومقرراته معقولة للفهم البشرى، وربما كان له الحق فى ذلك ولكن نهجه الذى احتكم فيه إلى العقل فى كل حقائق الوحى خاطئ حيث حاول أن يقضى على كل الغيبيات الوارد التسليم بها، ورفض أن يقف عند الحقائق التوقيفية، وعالجها باعتبارها توفيقية حيث نسى أن يرجع لفهم كل حقيقة فى ضوء كل الحقائق والآيات القرآنية الأخرى . وإلا فكيف يستقيم مفهومه للملائكة مع قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ .. ﴾[1]، ومع قوله ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ .. ﴾[2]

أى الملائكة الحفظة، ومع وصف الله سبحانه لهم بقوله تعالى ﴿ ...جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ... ﴾[3].

وإذا جاز أيضا ما يقول ،فإن الشيطان أيضا يكون معنى وقوى شريرة

(١) سورة الحج الآية رقم « ٧٥ » .

(٢) سورة الرعد الآية رقم « ١١ » .

(٣) سورة فاطر الآية رقم « ١ » .

غير مرئية[1]، بينما كل النصوص الواضحة الصريحة تثبت بما لا يدع مجالا للاختلاف ،أنه من الجان وهو مخلوق كالإنسان يأكل ويشرب ويتزوج وينسل ويؤمن ويكفر ويدخل الجنة للنعيم والنار للعذاب ، حقًا إن

(١) من مثل هذه التأويلات المتعسفة ما ذهب إليه فكر الدكتور محمد البهى فى تفسيره لسورة « الجن »، فقد صادم فى تأويلاته هذه صريح القرآن والسنة .
ذلك أنه أنكر وجود عالم ثالث يتميز عن عالم الملائكة وعالم الأنس ويتقابل تماما مع كل منهما هو : « عالم الجن »، فالملائكة والجن – عنده – من طبيعة واصل واحد وهو : « النار »، فالنار منبع النور، والنور عرض ومظهر للنار !! فترتب على ذلك اضطرابه وتخليطه فى تفسير السورة، فذهب بعقله مثلا عندما فسر قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ .. ﴾ سورة الجن آية « ١ » إلى أن الفريق الذى تخفى ولم يكن معروفا للمكيّين – حتى كذلك لرسول الله ﷺ – عند سماعه القرآن بمكة هو من « البشر » وليس من القوى النارية « الجن »!! ولو أخذ « الدكتور » بصريح القرآن وصحيح السنة النبوية لما أنكر شيئا علم ثبوته من الدين بالضرورة، فقد ثبت بالدليل القطعى الذى لا احتمال فيه والخبر الصادق الذى رواه أحمد ومسلم – رضى الله عنهما – عن رسول الله ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق الإنسان مما وصف لكم » والذى يجب أن نسلم به بالنسبة للنور الذى خلقت منه الملائكة والنار التى خلق منها الجان إنهما سر من أسرار الله ولا سبيل لعقولنا وحواسنا فى إدراكهما . وعليه فيكون من التعسف ألاّ نسلم بوجود الجان كعالم متميز فى أصله وطبيعته وخصائصه، وبذلك يكون النفر الذين استمعوا القرآن من قبيل.
« الجن» وليسو من البشر، ويكون إبليس من الجن تسليما بصريح قول الله تعالى: ﴿ .. إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ.. ﴾ سورة الكهف الآية رقم « ٥٠ » وليس من الملائكة ومن الجن فى آن واحد كما ذهب الدكتور البهي فى تأويلاته.

كل ما جاء عن الملائكة والجن يثبت أنهما ذوات حية عاقلة ولـيس ثـمَّ مجال لغير هذا المفهوم .

أما أمثلة التفسيرات الخارجة باللفظ عن معناه الواضح الصريح،وتحميله مالا يحتمل فمنها تفسير بعض الصوفية لقوله تعالى ﴿ .. إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ... ﴾[(1)]، أى النفس

وقد لا نستطيع التحدث عن خطورة منهج التأويل العقلى والرمزى بين أيدى المخلصين من شيوخ الإسلام ومفكريه، مراعاة لظروف عصورهم ودواعى استعمال ذلك المنهج وتوفر حسن النية عندهم . ولكن أحدا من المفكرين الإسلاميين المخلصين لا يستطيع السكوت على بعض الذين يلحدون فى آيات القرآن الكريم بهذا المنهج، حيث يعبثون بالمعنى بعد عجزهم عن العبث باللفظ، ومن أمثله ذلك حديثا تفسير البهائية المائدة التى نزلت على عيسى والحواريين من السماء بأنها غذاء الروح والعقل، وإحياء عيسى عليه السلام للموتى بأنه اخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وهكذا يؤولون كل المعجزات التى حدثت حدوثا حسيا واقعيا مخالفا للعادة على أيدى الأنبياء والمرسلين فيجعلونها أمورا معنوية يقدر عليها كل مصلح اجتماعى أو أى بشر عادى ،ولجأ البهائيون وأكثر مدعى النبوة بسبب إدعاء مؤسس كل فرقة النبوة، ولأنه كاذب ولا يمكنه الإثبات بالمعجزة التى تثبت صدقه لأنه لا نُبُوَّة بعد رسول الله ﷺ لذا يلجأ كل كاذب مدعى للنبوَّة إلى تأويل المعجزات الحسية إلى معنوية . .

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٦٧ » .

ومثله، ميرزا غلام أحمد القادياني، الذى ادعى النبوة فى الهند فى القرن الماضى، وفسر لإتباعه كون الرسول ﷺ خاتم الأنبياء بأنه معتمدهم بخاتمه وليس آخرهم .

كل ذلك يحتم علينا الحذر من منهج التأويل العقلى، والالتزام بمدلول الألفاظ والعبارات حسب دلالاتها اللغوية، وقواعد اللغة العربية . واقفين بالعقل عند حدوده [1]، مميزين بين ما هو توفيقى وما هو توقيفى من الحقائق، فلا نهمل أى واحد منهما أو نبخسه قدره بل نضعه فى موضعه الذى خلق لأجله

القاعدة الخامسة :

المعرفة بالوحى والمعرفة بالعقل

وتتلخص فى أننا يجب ألا نقبل على القرآن بغية البحث فيه عن أدلة لإبطال آراء الخصم، أو مفاهيم – رأينا فى خالص فكرنا أنها خاطئة – وذلك

---

(١) يراجع بتوسع كتاب : « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين » للعلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام السابق فى دولة الخلافة العثمانية، وهذا الكتاب فى جملته مجموعة من المواقف الفكرية الجليلة، تصدى فيها شيخنا العظيم لتيارات الإلحاد وفتنة قداسة العقل عند مشاهير المؤلفين المعاصرين فى الوطن الإسلامى، المفتونين بفتوحات العقل فى حضارة الغرب المادية، لكى يرد إلى قيم الإسلام وعقائده صفاءها ومكانتها فى النفوس .كما يراجع فصل : تربية العقل فى كتاب « منهج التربية الإسلامية » للأستاذ محمد قطب، فقد توسع فى بيان حدود العقل ومجالات عمله .كذلك تحدُّثا بنعمة الله تعالى علَىَّ أنا العبيد الخويدم الفقير إليه سبحانه أنه ﷻ قد مَنَّ علىَّ بكتابين يتناولان هذا الموضوع بتأصيل وتوسع هما:"الأصول الاعتقادية لنظرية المعرفة فى الإسلام" وكتاب "الإسلام ومنهج العلم التجريبى" والحمد والشكر لله رب العالمين.

لدحضها وإبطالها . لأن ذلك النهج الفكرى ينحرف بالباحث عن إدراك الحقيقة القرآنية فى ذاتها . فالحقيقة القرآنية هى المعيار الذى توزن به مسائل المذاهب والنظريات والفلسفات الأخرى، أو هكذا يجب أن تكون، ما دمنا فى نطاق الفكر الإسلامى الخالص .

ومن ثم وجب معرفتها كاملة وبطريقة مباشرة من القرآن والسنة وذلك بعكس سبيل الفكر البشرى الحر الذى يتدرج فى اكتشاف الحق فى المسألة تدرجا بطيئا حيث يعجز وحده عن معرفة الحقيقة دفعة واحدة .

فالدارس لمسارات الفكر البشرى فى فلسفات وعقائد الحضارات الجاهلية المختلفة قديمها وحديثها يرى أن العقل الإنسانى يكتشف الفكرة أو المبدأ أو التفسير أو النظام لما يبدو في كل منها من حق وخير ويعتنقها زمنا ما، ولأنها أفكار ونظم بشرية فلا مناص من تلبس الحق بالباطل والخير بالشر فيها، ومن ثم لا يلبث العقل إلا قليلا حتى يكشف الأخطاء والأضرار فيما ظنه حقا محضا وخيرا كاملا، فيندفع بعد ذلك – فى محاولة لعلاج الخطأ وتلافى الأضرار – إلى نقيض الفكرة الأولى أو النظام السابق وهو لا يدرى أنه باندفاع هذا من النقيض إلى النقيض قد استبدل خطأ بخطأ وشرا بشر وتخطئ بذلك الحق الكامل والخير الخالص .والذين درسوا الفلسفة اليونانية يدركون إلى أى حد ينطبق هذا القول على تاريخها وتناقض مذاهبها .

حتى نستطيع أن نرى مسار العقل اليونانى وانتقاله فى تفسيره للوجود باعتماده على مبدأ التغير إلى الثبات ومن التعدد إلى الوحدة، ومن المادية المحضة إلى التَّصَوُّرِيَّة الصرفة، ومن الجزئية إلى الكلية، ومن إنكار القدر والعناية الإلهية للعالم إلى الإيمان بالقدر الصارم الذى يخضع له كل شئ حتى الإله نفسه، وهكذا حتى

انتهت الفلسفة اليونانية على غير اتفاق، وكذلك كل الفلسفات، وعلة ذلك تكمن فى تكليف العقل البشرى بما لا يطيق، وبما ، لم يخلق من أجله، فقد كانت الفلسفة اليونانية هى نفس موضوعات الوحى، فلو خلق الله تعالى العقل البشرى مُؤهلاً لهذه المواضيع لما جاءت الرسل للبشرية، ولكن الرسالات السماوية نزلت من السماء حتى لا يبرر أحد من الناس يوم القيامة ضلاله وفسوقه بالجهل ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . ﴾ (١) فلو كان العقل وحده كفيلا بهداية الإنسان للحق الكامل والخير الخالص لما جاز للناس أن يحتجوا بعدم إرسال الرسل . ولكن الله تعالى الذى خلق الإنسان وعقله وفكره جعل لعقله حدودا وموضوعات خاصة تليق به، وجعل حقائق الغيب والتشريع خارج هذه الحدود ومخالفة لموضوعات العقل، شاء سبحانه أن يرسل الرسل حتى لا تكون هناك حجة للناس لعلمه تعالى أنه بدون الوحى السماوى لا يهتدى الإنسان إلى الحق أبدا ولا يصل إلى الخير المنشود فى دنياه وآخرته .

لقد أدركنا الغرور، ونحن نرى العقل البشرى يبدع فى عالم المادة، ويأتى بما يشبه الخوارق من مكشفات ومخترعات . فوهمنا أن العقل الذى يبدع الطائرة والصاروخ ويحطم الذرة وينشئ القنبلة الهيدروجينية « ويرتاد الفضاء » ويعرف القوانين الطبيعية ويستخدمها فى هذا الإبداع .... وهمنا أن هذا العقل جدير بأن نكل إليه كذلك وضع « نظام » الحياة البشرية ... وقواعد التصور والاعتقاد وأسس الأخلاق والسلوك .. ناسين أنه حين يعمل فى « عالم المادة »، فانه يعمل فى عالم يمكن أن يعرفه، لأنه مجهز لإدراك قوانينه .. أما حين يعمل فى « عالم الإنسان »

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٦٥ » .

فهو يعمل فى متاهة واسعة بالقياس إليه . هو غير مجهز ابتداء بادراك حقيقتها الهائلة الغامضة [1]

والذى فعله الإنسان بتجربته البشرية فى الفلسفة اليونانية هو أنه وضع عقله أمام موضوعات لم يخلق لها وليست فى طاقته . وليس معنى ذلك أننا نقلل من شأن العقل والفكر . كلا . فالعقل أو الفكر أو الذكاء البشرى بخاصة وجميع أجهزة الإدراك البشرية بعامة هى أعظم ملكات الإنسان وقدراته، وهى خطيرة الشأن فى وجوده، فبدونها لا يستطيع أن يحقق هدفا من أهدافه الكونية العظمى التى خلقه الله من أجل تحقيقها . ولكن الإنسان – بعقله وأجهزة إدراكه جميعا – يعجز عجزا تاما عن ادراك ومعرفة حقائق الغيب والتشريعات المنظمة لحياته الفردية والاجتماعية إذا ترك العقل البشرى وحده دون توجيه وتعليم وترشيد من السماء، وهذا يعنى أن للعقل دورا رئيسيا وهاما فى معرفة حقائق الغيب والوحى والتشريع، ولكن الخطأ يكمن فى محاولة العقل البشرى معرفة ذلك وحده دون قيادة الوحى وتوجيهه والتلقى منه ابتداء .

أن السائح الذى يريد أن يعتمد على نفسه فى اكتشاف الأماكن السياحية والأثرية التى جاء من أجل زيارتها رافضا الدليل السياحى مخطئ حيث من المؤكد أن مدة زيارته ستنتهى دون معرفة هذه الأماكن بل ربما ينتهى عمره كاملا دون أن يصل إليها جميعا . حقيقة أنه من المحتمل أن ينجح فى التعرف على بعضها ولكن من المؤكد أنه لن يصل إلى زيارتها كلها ومعرفتها المعرفة التى يمكن أن يجنيها من مرافقة المرشد السياحى . والسائح هنا هو العقل البشرى عندما يرتاد الأمور

(١) عن كتاب : « المستقبل لهذا الدين » للأستاذ سيد قطب عفا الله عنه .

والمسائل الكونية والوجودية والمرشد هو الوحى والوحى من عالم الغيب ولـذلك فهو المصدر الوحيد للإنسان لمعرفة هذا العالم معرفة كاملة وحقيقية يقينية .

وعندما يقبل السائح مختارا مرافقـة المرشـد حيـث سيعطيه مـن المعرفـة والهداية فى وقت قصير ما لا يستطيع أن يجنيه فى عمر طويل وحده يقبل إختياراً أو طواعيةً التزامه بطاعته ويترك له قيادته وتنظيمه ويسلم بما يلقنه اليه من معلومات تاريخية وأثرية ويقتصر دوره على التلقى والفهم والاستجابة .

وهذا هو المطلوب من العقل البشرى حيال الوحى الإلهى الهادى إلى الحق والمرشد إلى الخير : التلقى والفهم والتسليم والاستجابة . فالإسلام هو استـسلام الإرادة لله فى السلوك والمعاملات واستـسلام العقـل إلى الـوحى فى مجـال المعرفـة وإدراك الحق . ولن يتم أحدهما إلا بالآخر .

ولا شك أننى عندما أخضع عقلى، كانسان، لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إيمانا بأن فيهما كل الحق، ولا حق فيها سواه إذا كان يخـالفهما ، فـإننى فى الواقـع أُحَرِّرُه ولستُ أخضعه،أو أقلل من شأنه، لأن الاستسلام لله وحده تحرر واستعلاء على ما سواه . والعقل وقوانينه الفكرية من صنع الله، ومـن ثـم فخـضوعه للحـق وتوافقه مع الحق الآتى إلينا من الله واستسلامه له وأخذه عنه إنـما هـو تكـريم لـه وليس تقليلا من شأنه، وليس هناك تكريما لكائن أعظـم مـن وضـعه فى موضـعه المناسب له الذى خلقه الله من أجله .

ننتهى إذن إلى تقرير نتيجة هامة وصحيحة، تتلخص فى قولنا : أن ما يظل العقل وحده باحثاً عنه قروناً طويلة دون الاهتداء إليه، يتلقاه تَلَقِّيًا مباشرا وسريعا وكاملا من الوحى الإلهى، وفى هذا رحمة وخلاص للنـاس وهدايـة لهـم إلى الحـق والخير اللذين لا تستغنى عنهما البشرية .

ومن ثم ينجو الإنسان بذلك من التخبط بين الأفكار المتناقضة والنظم المختلفة، كما حدث فى الفلسفات والعقائد الوضعية قديما وحديثا ومعنى هذا أننا يجب أن نتلقى الحقائق القرآنية باعتبارها حقائق كاملة وليست حقائق جزئية ناقصة تنتظر منا استكمالها والإضافة إليها أو تعديلها، لأننا عندما نكون بإزاء حقائق القرآن الكريم، فإننا نتلقى ونسمع من الله ﷻ، بعكس سبيل العقل البشرى فى التفكير حينما ينتقل من فكرة إلى نقيضها أو من فكرة إلى فكرة مكملة لها أو من معنى إلى معنى يتداعى وراءه وبسببه.

فإذا نحن حاولنا معرفة حقائق الوجود والغيب من القرآن بهذا السبيل الفكرى الذى يغلب على طبيعة العقل البشرى فى بحثه فاننا سنقع لا محالة فيما وقع فيه مفكرو الإسلام قديما مما أدى بهم إلى الفرقة والتقابل والتناقض فى المذاهب والاتجاهات حيث نجد نماذج من هذا الخطأ المنهجى فى التفكير الإسلامى قديما عند الفرق، بل إن منشأ الفرق ذاتها، ووجودها لم يكن إلا نتيجة لهذا الخطأ فى تطبيق المنهج . لأن تطبيقه على الحقائق التوقيفية، يؤدى حتما إلى التخبط وإلى الحصول على نتائج خاطئة . وهذا ما وصلت إليه فعلا بعض أو معظم الفرق الإسلامية . فهناك فرق قامت كوجه مقابل وكرد فعل لفرق أخرى، رأت الفرق التالية خطأ الأولى، بل فسوقها أو كفرها ،فإذا بها تذهب إلى الطرف الآخر من القضية متعدِّية الحقيقة ،المتمثلة فى الصراط الوسط بينهما.

ومثال ذلك ظهور فرق الخوارج التى انشقت على سيدنا على بن أبى طالب ﷺ، وغالى بعضهم حتى قال بكفره فتبع ذلك ظهور الشيعة الذين تشيعوا له، ويغالى أيضا بعضهم حتى ذهبوا إلى تأليهه، والحقيقة تجافيهما فما هو بكافر ولا هو باله ﷺ وأرضاه وكرم وجهه وقدَّس سره.

مثال آخر، يتمثل فى تفشى القول بالجبر فى عهد بنى أمية إذ أخذ الناس يتعللون ويحتجون عن معاصيهم بالقدر الإلهى المكتوب، وهذا خطأ وضلال دفع تابعيا صدوقا هو معبد الجُهَنىُّ إلى مقاومته فقال : « لا قدر والأمر أُنف » وأنكر القدر – فوقع فى خطأ آخر لإنكاره القدر وهو أصل من أصول الإيمان فى الإسلام

وهذا يثبت أن معبدا حينما أخطأ فى محاولته معالجة هذا الانحراف كان خطؤه منهجيا قبل أن يكون موضوعيا . حيث لم يعد إلى آيات القرآن يستلهمها الرأى، وإنما جاءت محاولته للبحث فى الموضوع قاصرة ناقصة على غير أساس منهجى سليم، مدفوعا بالرغبة فى مقاومة الإتجاه الآخر، ومعالجة الانحراف العقدى والخلقى الناتج عنه، فأنكر القدر انكارا تاما، وذلك بسبب استخدام عقله وفكره استخداما مستقلا مغفلا لنصوص الوحى وتوجيهه .

وخلاصة القول : أنه كما يتعين علينا ألاَّ نُقْبِل على القرآن الكريم بمقرارات عقلية أو فروض ذهنية مسبقة باحثين فيه عما يؤيدها بتأويل نصوصه أو بغير تأويل، كذلك يجب علينا ألا نقبل عليه وفى أذهاننا من الأفكار والنظريات والفروض والآراء التى نعتقد أنها خاطئة ومنحرفة – بغية البحث بين آياته عما يدفع هذه الأفكار ويدحضها .

القاعدة السادسة :

ضرورة توافق
الحقيقة المستنبطة من البحث فى القرآن المجيد
مع غيرها من الحقائق القرآنية المتفق عليها والثابتة

وهذه القاعدة فى هذا المنهج هى قاعدة معيارية ،بمعنى أنه ينبغى علينا أن نزن الحقائق التى نصل إليها بعد البحث ،بمعيار يكون نابعا من القرآن أيضا وليس معيارا أجنبيا عنه، أى أنه لابد أن تكون الحقيقة المستخلصة من الآيات متوافقة مع بقية حقائق القرآن بصفة عامة من ناحية، كما تكون متوافقة ومُتَّسقة ومتساندة مع كل سورة وكل آية من آياته جميعا، وليست متعارضة مع آية واحدة، وإلا بطلت هذه الحقيقة المستخلصة على الفور ورفضت رفضا تاما وقاطعا .

وذلك لازم من مسلمتين هامتين [1] يؤمن بهما المسلمون، وتؤيدهما المناهج العلمية للنقد التاريخى أولاهما : أن القرآن كله مُنزَّل بجميع آياته من عند الله سبحانه، وأن الله سبحانه وتعالى وعد البشرية بحفظه من التبديل والتغيير والضياع قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ .. ﴾ [2] . وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [3] . وهذا يعنى يقينا أن ما بين أيدينا من القرآن، هو بكامله وبرمته كتاب الله لا

---

(١) القول بأن هذه مسلمة إنما هو فى نطاق العقيدة الإسلامية وبين المسلمين حيث التسليم بأن القرآن وحى الهى، أما حيال غير المسلمين وفى مجال الفلسفة العامة فإن هذه القضية يجب أن تقدم بأدلتها العقلية والتاريخية والاعجازية للقرآن الكريم فهى مسلمة بالنسبة للمسلمين وغير ذلك بالنسبة لغيرهم .

(٢) سورة الكهف الآية رقم « ٢٧ » .

(٣) سورة الحجر الآية رقم « ٩ » .

زيادة فيه ولا نقصان ولا تحريف فيه ولا تبديل، وكذلك السنة النبوية تدخل في وعد الله تعالى بحفظ الذكر .

وهذه المسلمة يؤدى تجاهلها أو إنكارها إلى خروج منكرها عن محيط الدائرة الإسلامية : «إن القرآن كتاب منزل من عند الله تعالى» ومن ثم فكل ما جاء فيه حق كامل، وكل ما أرشد إليه خير تام وكل ما نهى عنه شر مؤكد . والقول بغير ذلك أو رفضه كفر بالقرآن وتكذيب به وتكذيب برسالة سيدنا محمد ﷺ .

ومن ثم لا يمكن اعتبار أى بحث فى القرآن والسنة لا يقوم على هذه المسلمة بحثا إسلاميا ،حتى لو استدل على نتائجه بآيات قرآنية، ولتوضيح ذلك نقول : إن الباحث الإسلامى يجب أن لا يُقبل على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المحقَّقة باعتبارأنهما كتابان من الكتب والمصادر الكثيرة التى يرجع إليها، فكل المصادر سوى القرآن والسنة يخير فيها الباحث الإسلامى بين الأخذ والترك . والحق فيها مرهون بنتائج البحث وخاضع لقواعده المنهجية، أما القرآن الكريم فلا يملك المسلم حين يتلوه أو يبحث فيه إلا أن يعتقد ويسلم ابتداء بصحة كل ما جاء فيه، وبصدقه وبأحقيته، وكذلك السنة المحققة الصحيحة . والذى يتناولهما بقصد أخذ ما يتفق مع مذهبه ،وترك مالا يتفق ليس باحثا إسلاميا، وثمة شك فى إسلامه لو علم خطأ ما يفعل وأصر عليه ، ولا فرق بينه عندنا وبين المستشرقين اليهود والصليبيين الذين يبحثون فى أصول الإسلام ليس بقصد معرفة الحق ولكن بقصد الانتقاء من آياته ما يخدم أهدافهم وإخفاء وتجاهل ما يتعارض معها ،إلَّا من رحم الله منهم واهتدى به.

وثانى المسلمتين : هى أن القرآن يوافق بعضه بعضا، ولا يضرب بعضه بعضا، فهناك اتفاق واتساق وتوازن وإحكام بين آياته، وبالتالى بين حقائقه، ومن ثم فإنه يلزم من هاتين المسلمتين أن تكون الحقيقة المستخلصة

من الآيات متمشية ومتوافقة مع باقى الحقائق والآيات، سواء أكانت تلك الحقائق خاصة بعالم الغيب، أم بعالم الشهادة، أم فى مجال التاريخ والأخلاق والتشريع .. هذا هو المعيار الأول، ودليله قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١)

أما المعيار الثانى . فهو قائم على هذا الأول، ذلك أن القرآن الكريم يقدم لنا حقائق كثيرة، ولكنها يمكن أن تصنف دراسيا إلى حقائق نظرية، وأخرى عملية . وهو ما عرف عند علماء الإسلام – أصوليين وفقهاء – بالتوحيد وأبحاث الفقه والتشريع . وهما فى القرآن مرتبطان يقوم الثانى على الأول ويكمل أحدهما الآخر، فالنظم العملية متفقة ومتساندة وقائمة على الحقائق الإعتقادية حيث نجد التشريعات العملية فى الإسلام قائمة ومرتكزة على التوحيد وحقائق العقيدة الإسلامية ارتكاز البناء على أساسه فى باطن الأرض، كما أن المسلم لا يكتمل إيمانه وتزكو نفسه إلا بالتطبيق العملى للتشريع القرآنى الفردى منه والجماعى على حد سواء .، وهذا بقدرما يستطيع حسب ظروفه الاجتماعية والتاريخية .

فالقرآن الكريم يقدم لنا عقيدة تصورية محضة فى الإلوهية والعالم والإنسان، ولكن هذه العقيدة التصورية ليست مجرد موضوعاً للذهن البشرى يتعامل معه ويقف عند هذا التعامل الذهنى التصورى ، بل إنه يعتبر الأساس الفكرى الذى تقوم عليه التشريعات الخلقية والاجتماعية والإنسانية فى الحياة البشرية واليومية والجيلية منها على حد سواء . فالعقيدة التصورية للفرد هى أصل الدوافع النفسية للعمل وللحياة، وهى بالنسبة للمجتمع

(١) سورة النساء الآية رقم « ٨٢ » .

أساس النظم القائمة فيه . فالقرآن الكريم ليس كتابا فى الميتافيزيقا [1] والأبحاث الكونية أو الفيزيقية، الهدف منها المعرفة المجردة للثقافة والتثقف فقط .

ومن دعاء رسول الله ﷺ المأثور « اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع »، « اللهم إنى أسألك علما نافعا »، ولا علم أعلا وأنفع من توحيد الله ﷻ وتوحيده معرفته والعلم به سبحانه، وهو أساس العقيدة الإسلامية، وكل ما فى القرآن والسنة الصحيحة حق وعدل، أما الحق فهو تصورات وأقوال تعبر عن حقائق كائنة وموجودة فى العالم، وليست تعبر عن أوهام أو أساطير أو خرافات، وإلاً لما كان حقا ، والحق ليس مجرد علم نظرى تصورى فقط، بل هو الأساس الذى تقوم عليه السموات والأرض أى العالمين .

وهذه المعرفة ليست من نوع المعارف النظرية والظنية عند الفلاسفة والمفكرين .

ويعتبر التوحيد هو أساس الحق فى عقيدة القرآن، وهو أيضا أساس الحق فى العالم وقوانينه التى تحكمه، ومن ثم فمعرفته ليست مجرد علم للثقافة والمعرفة النظرية بل أنه يترتب عليه السلوك الفردى والإجتماعى فى الحياة البشرية ويتحقق به الخير والعدل .

أما العدل، فهو السلوك العملى للأفراد والجماعات الذى يحقق الخير للإنسان فى الدنيا والآخرة، ولا عدل إلاً عدل القرآن، ولا عدل بدون الحق . ومن ثم لا يتمثل الحق كقيمة والعدل كنظام وعمل إلا بالتوحيد .

---

(١) الميتافزيقا : كلمة يونانية ترجمتها « ما بعد الطبيعة »، وكان فلاسفة اليونان عادة يقسمون مباحثهم الفلسفية إلى مباحث فى الطبيعة الفيزيقا وما بعد الطبيعة « الميتا فيزيقا » والاثنان عندهم يشكلان العالم أو الوجود ،وثمّ اختلاف بين هذا التقسيم وبين مفهوم العالم والوجود فى الإسلام .

فالتوحيد أو عقيدة الإسلام مرتبط أوثق ارتباط بالعمل، والعدل والخير يقومان عليه قيام البناء على الأساس ،أو الشجرة على الجذور الممتدة فى باطن الأرض، وتعتبر السعادة والحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة هى الثمرة التى يجنيها الإنسان من هذه الشجرة الطيبة .

ومن ثم فإن السنة هى التطبيق العملى للقرآن حيث كان الرسول ﷺ النموذج البشرى الحى لهذا التطبيق، إذ كان خلقه القرآن، كما أن الصحابة عليهم رضوان الله فى مجموعهم كانوا هم النموذج البشرى الحى لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنسانى ، حتى أنه يمكن القول أن الرسول ﷺ والصحابة معه فى مجتمع المدينة قد عاشوا الحقائق الكونية كما عاشوا وتمثلت فيهم الحقائق الإنسانية : الخلقية والاجتماعية فى القرآن ، وتلك ظاهرة تاريخية، ربما أمكن القول، إنها لم تتكرر كثيرا حيث وحَّد القرآن بين قبائل وشعوب وأمم ومجتمعات متغايرة بتأسيسه نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والخلقية فى المجتمع الإسلامى على تصور اعتقادى واحد هو : حقيقة التوحيد، ومن ثم تحقَّق الحق الكونى فى واقع الحياة البشرية متمثلا فى العدل القرآنى أو الشريعة الإسلامية .

ننتهى من هذا إلى أن حقائق الإسلام كلها بتساندها وترابطها، إنما هى حقائق عملية فى المقام الأول حتى حقائق الكون الغيبية فيه . وكذلك الحقائق الإنسانية التى تحدد ماهية الإنسان وغايته فى الكون وتعلل وجوده فى هذه الحياة .

نخلص من ذلك كله أنه يتحتم علينا إذا وصلنا إلى مفهوم ما عن الإنسان وحريته مثلا – نتيجة بحثنا فى القرآن والسنة – أن ننظر فى النهاية إن كان هذا المفهوم وما يستتبعه من نتائج عملية يتمشى مع الغاية والمفهوم اللذين يحددهما القرآن الكريم لجميع الحقائق الكونية الآخرى، أم لا ؟ وذلك قبل أن نعتبر ما وصلنا إليه حقيقة قرآنية ثابتة ونهائية .

فإذا وجدنا هذه المفاهيم الإنسانية ومفهوم الحرية مثلا، لا يتعدى الجانب التصورى النظرى وأنه ليس له صلة ولا رابطة بالغاية من الحياة البشرية، التى لا تتحقق إلا بالعمل، ولا يكون له المشاركة والدور الرئيسى فى تحقيق الغاية البشرية من الوجود الإنسانى بعامة، والحياة البشرية بخاصة والتى تعمل وفقها جميع المخلوقات حسب حقائق وجودها كما هى فى القرآن، فإن هذا المفهوم خاطئ لا محالة، حيث أنه يصطدم مع الغاية التى تؤدى إليها بقية حقائق القرآن الغيبية والطبيعية والإنسانية متكاتفة ومتوازنة فى تناسق وإحكام لأن الغاية واحدة والمنهاج للوصول إليها واحد .

فإذا خرجنا من بحثنا عن حقيقة النبوة مثلا بنتائج لا تعدو وأن تكون مناقشات ومحاورات ومجادلات فلسفية لا تتعدى ظاهر الصفحات، وبطون الكتب إلى واقع الحياة فلا يكون هذا البحث ونتائجه بحثا صحيحا بالقياس إلى صبغة القرآن وروح الإسلام .

فكم من مفاهيم فلسفية عن الكون والإنسان ظلت هكذا منذ وضعها واضعوها ملتصقة بصفحاتها ومدادها لا تعدوها إلا إلى رؤوس دارسى الفلسفة، ثم لا يكون لها أى أثر على حياتهم الخلقية، وبالتالى تكون مقطوعة الصلة بينها وبين مجتمعات هؤلاء الفلاسفة والدارسين ، وخير مثال على ذلك هو مفهوم الإلوهية عند معظم فلاسفة اليونان، حيث لا نجد له أى تأثير عملى على سلوك الناس فى الحياة، بعكس حقيقة الإلوهية فى الإسلام، التى إذا آمن بها مجتمع ما كان لها أكبر الأثر بل كل الأثر فى تنظيم حياة أفراده ومجموعاته وأجياله تنظيما دقيقا تستقيم معه حياتهم ويهنأ به عيشهم

وكذا كل الحقائق الكونية النظرية فى القرآن، كان لها كل الفضل فى تشكيل وتخطيط الحياة اليومية فى المجتمع الإسلامى بمنهاج القرآن القويم وبسيرة سيدنا رسول الله ﷺ باعتبار أنه الأسوة الحسنة لنا .

وأخيرا يمكننا صياغة هذه القاعدة المنهجية المعيارية الأخيرة للبحث فى القرآن بالقول :بأنه إذا كان بديهيا أن لا يأتى البحث عن حقيقة ما من حقائق القرآن بمفهوم متعارض مع نصوصه وآياته جميعا، فإنه يلزم أيضا أن تكون هذه الحقيقة المستخلصة من سوره وآياته غير متعارضة أو منافية أو مناقضة معه ككل، أى مع ما يمكن تسميته بروح القرآن أو صبغته أو اتجاهه العام من ناحية، كما يلزم أن تكون غير متضاربة ومتناقضة مع بقية حقائقه ومفاهيمه الصحيحة الأخرى من ناحية ثانية . فيكون المفهوم عن هذه الحقيقة موضوع البحث نابعا ومشتقا من هذه الروح القرآنية أو الصبغة الإلهية، إشتقاق الفرع من الجذع، معها تماثل الثمرة والشجرة، فنعلم حينئذ باطمئنان ويقين أن ما وصلنا إليه من نتائج ومفاهيم إنما هى مفاهيم صحيحة عن حقيقة قرآنية مضيئة .

القاعدة السابعة :

إخلاص النية وسلامة القصد

وتتلخص فى ضرورة صدق النية فى ابتغاء الحق ،والحق وحده عند البحث فى القرآن الكريم، فالإنسان يجب أن يتنزَّه عن الهوى ويخلص نفسه من التحيز والتعصب القومى أو العنصرى أو العقدى أو غير ذلك مما يقف حاجزا بين الإنسان وبين إدراك الحقيقة المنشودة .

وإخلاص النية وصدقها و ابتغاء الحق وحده عند البحث فى القرآن أمر نفسى خلقى وليس أمرا فكريا منهجيا . ولكن الإنسان وحدة واحدة وأجهزته تعمل جميعها حين يعمل أعلى الاعمال وأرقاها وتعمل جميعها حين يقوم بأدناها، والفصل بين أجهزته وملكاته فى تفسير النشاط الإنسانى سبيل خاطئ . ومن ثم لا يصح أن نلغى أو نتجاهل عمل الإرادة عند تفسير

النشاط المعرفى، كما لا يصح أن نتجاهل أجهزة الإدراك الإنسانية عند تفسير النشاط الخلقى .

وليس كل من قرأ القرآن اهتدى به، بل ثمَّ من الناس من يضله الله به، فالناس تقرأه فيضل الله به البعض ويهدى به البعض الآخر.

ولكن من الذى يضله الله بالقرآن ومن الذى يهديه الله بالقرآن ؟

تأتينا الإجابة بقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾(1) ،ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(2) وقال تعالى أيضاً ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾(3)أى بينا الآيات والأمثال والوعد والوعيد ليتَّعظوا، ولكن ذلك لا يزيدهم إلا بعدا عن الحق ونفورا منه .وكذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(4)فيبين سبحانه فى هذه الآية من كتابه العزيز، أن الله يهدى بالقرآن ويضل به، أى بآياته ووعده ووعيده، ويشقى به ويزيد به نفور النافرين منه والمحاربين له، كما أثبت سبحانه بصراحة ووضوح أنه لا يضل به إلَّا الفاسقين ومن ثم يهدى به

(١) سورة الإسراء الآية رقم « ٤٥ – ٤٦ » .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم « ٨٢ » .

(٣) سورة الإسراء الآية رقم « ٤١ » .

(٤) سورة البقرة الآية رقم « ٢٦ » .

غيرهم، أو كل من سوى الفاسقين لقوله تعالى ﴿ .. وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ فقصر الإضلال به عليهم .

وحيث أن الفسق صفة سلوكية خلقية إرادية تتم باختيار الإنسان فإنه من ثَمَّ ليس التعامل مع القرآن الكريم من خلال العقل أو الفهم وأجهزة الإدراك البشرية فقط ، بل إن الإرادة الإنسانية المختارة تعتبر عاملا حاسما فى تقبل الحق والهدى والخير النازل فيه، أو الصرف عنه .

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [1] يدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء المكذبين والكافرين بالحق لا يكذبونه بسبب نقص فى المعرفة أو بعد عقلى عن الحق، وإنما بإرادتهم يكذبون جحودا ونكرانا وعنادا وإصرارا على الهوى وحرصا على الدنيا . إذن : فالعلة فى كفرهم وتكذيبهم، هى إرادتهم الحرة وليس قصورا فى إدراك الحقيقة والحق .

فإذا عدنا إلى الآية التى ذكرناها وما بعدها من سورة البقرة وهى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ (٢٦) ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [2] نجد أن نقض العهد والميثاق ومعصية الله والإفساد فى الأرض، ينتهى بقارئ القرآن وسامع ما يضربه الله للناس من أمثال فيه إلى الضلال وليس إلى الهدى ما دامت هذه حالته، ويهدى الله بالقرآن وبهذه الأمثال المؤمنين لإيمانهم .

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم « ٣٣ » .

(٢) سورة البقرة الآية رقم « ٢٦ - ٢٧ » .

والإيمان والكفر فعلان نفسيان إراديان اختياريان للناس [١]

ومن ثم تكون معرفة الحق والخير – وهما مطلب العقل البشرى وأجهزة المعرفة الإنسانية – مرهونة بالإيمان وعمل الخير فى الأرض، وهنا تخضع المعرفة للأخلاق فى الإسلام، وليس كما ظن فلاسفة اليونان حيث أخضعوا الأخلاق للمعرفة . ونعنى بخضوع المعرفة للأخلاق، أن إدراك الحقيقة ومعرفتها مرتبط أوثق ارتباط باختيار الإنسان المتمثل فى النية والقصد إلى الخير أو إلى الشر، فمن يقبل على القرآن الكريم وفى نفسه ابتغاء معرفة الحق وحده، يُهْدِه الله ويفتح له كنوز معرفته بقدر تقواه ،ومن يقبل عليه وفى صدره حرج منه وشك وريبة وهو يقرأه وقد عزم على تكذيبه، ومن ثم يبحث فيه عن تناقضات وهمية بين آياته أضله الله به، قال تعالى : ﴿ ..وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ .. ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ ..وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ .. ﴾[٣]وهذه القاعدة ليست قاعدة منهجية فكرية لأنها لا تتم بالفكر ولا يُطلب من الفكر تطبيقها . ولكنها قاعدة خلقية سلوكية تتم بإرادة الإنسان وإختياره للخير وإبتغائه للحق، وليس فى مقدور القواعد المنهجية والأساليب الفكرية أو غيرها الزام أحد باختيار الخير دون الشر أو العكس ،ولكن ليكن معلوما أن القرآن الكريم لا يكرم الله به إلا أهله، المؤمنين به، والمسلِّمين بصدق وصحة كل ما جاء فيه، العاملين بشريعته فى حياتهم العامة والخاصة، وغير هؤلاء ليس لهم من آياته وحقه نصيب .

وهذه القاعدة التى تقوم على التجرد لله بغية معرفة الحق عند البحث فى القرآن، هى أول القواعد وأحقها بالالتزام وأجدرها جميعا بالتمسك لأنها مفتاح البحث القرآنى ،فمفتاح فهم أسرار القرآن قوله

(١) راجع كتاب القضاء والقور فى الإسلام الجزء الأول باب الاختيار .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٨٢ » .

(٣) سورة التغابن الآية رقم « ١١ » .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢

فالعمل الذى لا تسبقه النية الواضحة الخالصة لله لا يقبله الله . والبحث فى القرآن الكريم عبادة من أجل العبادة لو خلصت فيه النية لابتغاء الحق والخير وتقوى الله. ومن ثم فهى تسبق كل القواعد وتتقدم عليها فى خطوات البحث . ولكنى أوردتها باعتبار أنها خاتمة لكل القواعد السالفة من حيث كونها ليست قاعدة منهجية معرفية بقدر ما هى سلوكية خلقية وأن كانت شرطا لازما لمعرفة الحق والخير القرآنيين .

الفصل الثانى

قاعدة جديدة لازمة من الإعجاز العددى لكلمات القرآن الكريم

القاعدة الثامنة : [1]

الدلالة اللغوية للكلمة القرآنية وتوافقها مع الدلالة الحسابية لعدد مرات ذكرها فى القرآن الكريم :

لقد ثبت أن للقرآن الكريم وجْهاً من أوجه الإعجاز العلمى يمكن أن تُطلق عليه الإعجاز العددى أو الحسابى لسور القرآن الكريم وآياته وكلماته وحروفه، والإعجاز العددى متعدد الأوجه، والوجه الذى نحن بصدده متمثل فى الصلة بين عدد ذكر الكلمة القرآنية وبين معناها اللغوى، وهو إعجاز بحق، لأن أدباء اللغة العربية وأرباب البلاغة وعلوم الصرف والمعاجم لو اجتمعوا على أن يكتبوا موضوعا فى صفحات بحيث يكون عدد مرات ذكر كل كلمة مرتبطاً بمعناها ودلالتها لعجزوا، وليس هذا بالنسبة للغة الضاد فقط بل لجميع لغات البشر .

ولا شك أن كشف هذا الموضوع فى القرآن الكريم كله وبكلماته جميعا يحتاج إلى وقت وجهد يستغرق عمر الباحث بل أعمار باحثين كثيرين ويحتاج إلى مجلدات كثيرة جدا لتدوينها، ويكفينى هنا للتدليل على وجود هذا

---

(١) أفردتُ هذه القاعدة فصلا خاصا لاستحداثها على هذا الباب بسبب اكتشاف هذا الوجه من أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم بعد وجود الحاسب الآلى الذى ساعد على اكتشاف الإعجاز العددى لألفاظ القرآن لأننى حين كتبتُ القواعد السبع المذكورة فى الفصل السابق لم يكن الحاسب الآلى موجوداً،لأننى كتبتُ بفضل الله الفصل السابق عامى١٩٦٨ و١٩٦٩ميلادية فصلا من فصول رسالة الماجيستير التى نوقشت عام ١٩٧١م ولله الحمد والمنة.

النوع من الإعجاز العلمى الحسابى فى القرآن الكريم أن أذكر بعض الأمثلة التى يتيح لنا المجال ذكرها .

أولاً: دلالة عدد الكلمات فى الكتاب: وهذا المثال متعلق بوحدات القياس الزمنى الثلاثة:-

وأولها وأكبرها : السَّنَة أو العام، وثانيها الشهر، وثالثها اليوم

أولاً: عدد ذكر كلمة يوم: ونبدأ باليوم لنجد أن كلمة « اليوم » فى حالة كونها مرفوعة « يومٌ » أو مكسورة « يومٍ » وردت ثلاثمائه وثمانية وأربعين مرة « ٣٤٨ » مرة ومنصوبة « يوماً » وردت ستة عشر مرة « ١٦ » مرة ومن ثم يكون المجموع ثلاثمائة وأربعة وستين مرة « ٣٦٤ » [١]

وحيث قد وردت عبارة « بعض يوم » ثلاث مرات فى قوله تعالى ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢] وقوله ﷻ عن أهل الكهف ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[٣] ، والثالثة قوله سبحانه وتعالى ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟

(١) هذا الإحصاء مأخوذ من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ / محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله صـ ٣٩٠ .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٥٩ » .

(٣) سورة الكهف الآية رقم « ١٩ » .

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ولأن عبارة"بعض يوم" لا تعدل يوما كاملا، بل تساوى جزءًا من اليوم، فإننا نكون بإزاء ضرورة ، وهى محاولة معرفة القيمة الوقتية لعبارة"بعض يوم" ، حتى نحسب عدد الأيام أو الساعات فى هذه المرات الثلاث لكى نضيفها على رقم"٣٦٤"وهو الإحصاء الذى إنتهينا إليه لعدد ذكر لفظ يوم في القرآن المجيد العزيز ماعدا هذه الأبعاض الثلاثة من اليوم. وقد علمنا أن مدة "بعض يوم" فى هذه المرات الثلاث تصدق على فترة النوم الذى نامها النبى عزير عليه السلام وأهل الكهف رضى الله عنهم وأهل النار والعياذ بالله عن مدة مكوثهم أو مدة لبثهم فى الدنيا فكانت إجابة كل منهم (يوما او بعض يوم).

فبالنسبة لعزير عليه السلامفيدل النص الخاص به على أنه كان مسافراً فمر على قرية أثرية فقال(أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها؟)يسأل عن الكيفية متعجبا وليس مُنكرًا،فأماته الله مائة عام ثم بعثه فقال له(كم لبثتَ؟) فكان رده بعد أن نظر يمينا وشمالا مستطلعا الوقت من النهار ومتذكرا للوقت الذى نام أو مات فيه ثم أجاب (يوما أو بعض يوم)وذلك لأنه كان مسافرا والمسافر يكون متعبا فإذا نام فإن نومه لاريب يزيد عن ٨ساعات حتى أنه قد يصل إلى ما يزيد عن عشر ساعات وكذلك الحال بالنسبة لأهل الكهف الذين تسلّلوا خارج المدينة تحت جنح الظلام طلبا للنجاة من جنود الإمبراطور المشرك إلى كهف فكانوا أيضا متعبين، وعادة الإنسان فى مثل هذه الظروف المقلقة والمرهقة أن يكون نومه فى المتوسط الساعات العشر ،او تزيد قليلا وأمَّا قول أهل النار عن مدة لبثهم فى الدنيا عدد سنين(لبثنا يوما أو بعض يوم فسأل العادين)فيدل على أن مكثهم فى الحياة الدنيا قد مرَّ عليهم كأنه يوم أو بعض

(١) سورة المؤمنون الآية رقم « ١١٢ – ١١٤ » .

يوم يقظة ومناما وعلى هذا فإن عبارة "بعض يوم" بمقياس نوم أهل الكهف أو عزير تقدر بعشر ساعات،فإذا أضفنا إلى هذا أن متوسط نـوْم الإنـسان فى اليوم وهو طفل حديث الولادة من ١٦ إلى ١٨ ساعة تقل تدريجيا كلـما تقـدم فى العمر حتى يصل نومـه فى عمـر الثامنـة عـشر ليكـون مـن ٩ سـاعات إلى ١٠ ساعات يوميا فى المتوسط وهكذا حتى يصل فى المتوسط على مدى مراحل حياته بعد الثامنة عشر إلى ثمانى ساعات ،فلنا ان نتوقع أن يكون متوسط نوم البشر على مدى عمرهم هو عشر ساعات يوميا كـما أشـارت إلى هـذا الـرقم تقريبا عبارة بعض يوم فى الآيات الثلاث آنفا.

ومن ثم تكون الدلالة الزمنية لعبارة (بعض يوم)هى عشر ساعات مـضروبا فى ٣ فتكون النتيجة ٣٠ساعة أى يوم كامل وربع يوم وحيث أن إحصاء عدد مرات ذكر يوم فى القرآن عندنا هو ٣٦٤يوما فإن إضافة هذا اليوم وربع اليوم إلى عدد هذه المرات يعطينا نتيجة واضحة وهى ٣٦٥يوم وربـع اليـوم وهـو عدد أيام السنة الشمسية بدقة بالغة.

وهكذا نجد تطابقا تاما بين الدلالـة المعنويـة لكلمـة يـوم فى القـرآن الكـريم وعددها فى السنة وبين الدلالة العددية لها وهذا هو القصد من مطابقة المعنـى اللغوى للكلمة القرآنية لعدد مرات ذكرها فى القرآن الكريم وهو وجه جديد مذهل للإعجاز فى القرآن العزيز المجيد

ثانيا:عدد ذكر كلمة شهر:أما الوحدة الزمنية الوسطى ألا وهى « الشهر » فقـد وردت فى الآيات القرآنية التالية إثنتـا عـشرة مـرة وهـى فـيما يـلى ، بحـسب ترتيبها فى المصحف:

الآية الأولى : المرة رقم:١، ٢ – فى قوله ﷻ ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ

ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] وفيها نجد أنه ذُكِرَ لفظ الشهر مرتين ،وهما المرة الأولى والثانية فى ترتيب المصحف.

الآية الثانية، المرتان .الثالثة والرابعة وهما فى قوله تعالى ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وفى هذه الآية جاء ذكر لفظ « الشهر » مرتين أيضا .

الآية الثالثة المرة الخامسة فى قوله ﷻ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ .. ﴾[3]

الآية الرابعة،المرة السادسة فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ .. ﴾[4]

الآية الخامسة المرة السابعة ففى قوله تعالى ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ .. ﴾[5]

الآية السادسة ، المرة الثامنة ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً .. ﴾[6]

---

(١) سورة البقرة الآية رقم « ١٨٥ » .

(٢) سورة البقرة الآية رقم « ١٩٤ » .

(٣) سورة البقرة الآية رقم « ٢١٧ » .

(٤) سورة المائدة الآية رقم « ٢ » .

(٥) سورة المائدة الآية رقم « ٩٧ » .

(٦) سورة التوبة الآية رقم « ٣٦ » .

الآية السابعة ،المرتان التاسعة والعاشرة فى قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ .. ﴾(١)

الآية الثامنة المرة الحادية عشرة فى قوله تعالى ﴿ .. حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا .. ﴾ (٢)

الآية التاسعة ،المرة الثانية عشر فى قوله تعالى ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾(٣)

والملاحظ أن السادسة تتضمن ذكر لفظ « الشهر » للمرة الثامنة فى المصحف كله، تنص على أن عِدَّة الشهور عند الله ﷻ يوم أن خلق السماوات والأرض مُذْ كان هذا العدد فى كتاب الله الذى نزل بعلم الله تعالى ،تنص على أن عِدَّة الشهور هى إثنا عشر شهرا فى السنة، وهذه الدلالة بنص المعنى اللغوى للآية ،وهو نص محكم قطعى الدلالة، وثمَّ دلالة أخرى على عدة الشهور عند الله فى كتابه ﷻ ألا وهى أن عدد ورود لفظ « الشهر » فى القرآن كله هو إثنتا عشرة مرة .

وهذا هو ما قصدنا إثباته وهو مطابقة الدلالة اللغوية لآية عدة الشهور وهى اثنا عشر شهرا مع الدلالة العددية لعدد مرات ذكر لفظ الشهر وهو اثنتا عشرة مرة، وهما معا متطابقان للواقع المعلوم المعاش عند الناس، وهو أن عدد شهور العام أو السنة هو اثنا عشر شهرا وهو ما شاءه الله سبحانه وتعالى وقضاه يوم خلق السماوات والأرض بقوله تعالى فى الآية السادسة من الآيات المذكور فيها لفظ الشهر ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ

---

(١) سورة سبأ الآية رقم « ١٢ »

(٢) سورة الأحقاف الآية رقم « ١٥ » .

(٣) سورة القدر الآية رقم « ٣ » .

ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً .. ﴾ ، وهذا كله والله إعجاز مذهل وبخاصة لمن يكابد الكتابة .

ثالثا: عدد ذكر كلمة سنة وعام: أما الوحدة القياسية الثالثة للزمن فهى السنة أو العام فهل يُوجد توافق وتطابق بين الدلالة الحسابية لمعنى السنة أو العام فى اللغة وبين عدد ذكر كل لفظ من هذيْن اللفظيْن فى القرآن الكريم ؟

أما عن دلالة لفظ السنة أو العام فى اللغة فأقول : إن الوحدة الزمنية التى تتضمن أو تنطوى على إثنى عشر شهرا قمريا أو ثلاثمائة وأربع وخمسين يوما وجزء من اليوم، أو إثنى عشر شهرا شمسيا تنطوى على ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع اليوم تقريبا بفارق إحدى عشر يوما تقريبا بين العام الشمسى والقمرى، وهذه الحقيقة دلت عليها آيات « الشهر » وآيات" اليوم "وعدد كل منهما فى القرآن الكريم .

لكن المطلوب الآن هو معرفة عمَّا إذا كان عدد مرات ذكر لفظ « السَّنَة » ولفظ « العام » يتطابق مع عدد السنين أو الأعوام كما وجدناهذا التطابق بالنسبة للشهر وبالنسبة لليوم أم لا يتطابقان؟!

وحيث أن الدلالة اللغوية لكلمة « السنة » تَصدق تماما على دلالة كلمة « العام » فإنه، إن صَحَّ ما ذكرناه عن الإعجاز العددى لألفاظ القرآن الكريم، فلابد أن يكون عدد مرات ورود لفظ « السَّنَة » فى القرآن الكريم هو بالضبط عدد مرات ورود لفظ « العام » فيه مادام يوجد ارتباط معنوى بين دلالة كل منهما اللغوية وبين عدد مرات ورود كل منهما فى القرآن الكريم، وهذا ما سنتحقَّق منه بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه بعد .

الأمر الثانى أن عدد سنوات أو أعوام الدنيا منذ أن خلقها الله تعالى إلى قيام الساعة من الكثرة بحيث قد لا يكفيها جميع ألفاظ القرآن الكريم مجتمعة، وربما أضعافها، فكيف يكون ثَمَّ ارتباط معنوى بين دلالة كل لفظ منهما وبين عدد ورود كل منهما فى القرآن الكريم ؟!

للإجابة على هذه الأسئلة أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد :

أولا : عدد مرات ورود لفظ « السَّنَة » فى القرآن الكريم هو سبع مرات، وهى ما يلى على سبيل الحصر :

١- الآية الأولى فى قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

٢- والآية الثانية فى قوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(٢)

٣- والثالثة فى قوله ﷻ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٣)

٤- والرابعة فى قوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(٤) لاحظ أن هذه الآية الكريمة تضمنت ذكر السَّنة مرة والعام مرة واحدة أيضا، وحيث أن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه، فإن هذا يدل على أن لفظ السنة مرادف للفظ العام ولهما دلالة واحدة ، لقوله تعالى (ألف سنة إلا خمسين عاما) ولم يقل إلا خمسين سنة وهذا يدل على أن دلالة كل منهما واحدة

٥- والخامسة فى قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٩٦ » .

(٢) سورة المائدة الآية رقم « ٢٦ » .

(٣) سورة الحج الآية رقم « ٤٧ » .

(٤) سورة العنكبوت الآية رقم « ١٤ » .

(٥) سورة السجدة الآية رقم « ٥ » .

٦- والسادسة فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ .. حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

٧- والمرة السابعة والأخيرة التى ذكر فيها لفظ « سنة » فى القرآن الكريم هى قوله تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢)

والمفاجأة أن كلمة « عام » قد وردت فى القرآن الكريم « ٧ » سبع مرات أيضا، وهذا لا يكون بالصدفة أبدا، حاشا لله تعالى أن تكون كلمة واحدة أو حرف واحد فى كتابه صدفةً أو عشوائية (٣).

وهذا التطابق فى عدد مرات ذكر كلمة « عام » مع عدد مرات ذكر كلمة « سنة » ما هو إلا لأن لهما دلالة لغوية واحدة ،ولأنهما أيضا بهذا العدد لكل منهما ، أقول لأنه لابد أن يكون ثَمَّ تطابق بين الدلالتيْن اللغوية والحسابية أو العددية للكلمتين من ناحية، وبينهما وبين عدد سنين أو أعوام الدنيا من ناحية أخرى .

وقبل بيان هذا كله نعرض الآيات التى ورد فيها لفظ « عام » عرضا إحصائيا كاملا :

الآية الأولى وفيها المرة الأولى والثانيةو هما فى قوله عز من قائل ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ

(١) سورة الأحقاف الآية رقم « ١٥ » .

(٢) سورة المعارج الآية رقم « ٤ » .

(٣) مع أن كتب البشر مليئة بالحروف والكلمات والجمل العشوائية ،ولا تخلو منها كتبى التى كل ما جاء فيها من حق فهو من الله تعالى ومن كتابه ،وكل ما أصاب كتبى من أخطاء وعشوائيات فهو من نفسى ومن الشيطان.

مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

الآية الثانية وفيها الثالثة والرابعة وردتا فى قولـه تعـالى ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢)

الآية الثالثة وفيها المرة الخامسة ففى قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٣)

الآية الرابعة وفيها المرة السادسة وقد جاءت فى قولـه تعـالى ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (٤)

الآية الخامسة وفيها المرة السابعة والأخيرة وهى قوله تعـالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾(٥)

ويبقى بيان المطابقة بين الدلالة المعنوية لكلمتى « السنة » و « العـام » مع الدلالة العددية من ناحية، ثم بينهما وبين عدد سنين عمر الـزمن أو عـدد أعوام الحياة الدنيا من ناحية أخرى، أى المطابقة بين عمر البشرية بـل وأجـل الدنيا مع الدلالة اللغوية لهذه الوحدة القياسية الكبيرة للزمن وهى السنة، أو العام مع الدلالة الحسابية أو العددية لورودها فى القرآن الكريم ،وقـد علمنـا

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٢٥٩ » .

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٣٧ » .

(٣) سورة التوبة الآية رقم « ١١٦ » .

(٤) سورة يوسف الآية رقم « ٤٩ » .

(٥) سورة العنكبوت الآية رقم « ١٤ » .

أنهما قد وردتا سبع مرات ، فهل تتطابق دلالة هذا العدد مع عدد سنوات الزمن أو عمر الحياة الدنيا ؟!

فالسبع هو لفظ يدل على العدد أو الرقم الواقع بين الرقم "ستة" والرقم "ثمانية"، أى أن كلمة سبع تدل على رقم من الأرقام ،و"سبعون" عشرة أضعاف "سبع" وقد ورد الرقم "سبع" فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم وكذلك ورد الرقم "سبعون"، وكذلك الرقم "سبعمائة" وورد فى السُّنَّة الشريفة سبعون ألف.

ويقول المفسرون واللغويون أن الأعداد سبعا وسبعين وسبعمائة وسبعين ألفا لها دلالة أخرى غيْر دلالتها على أنها مجرد رقم من الأرقام .

ففى قوله تعالى ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] قال القرطبى رحمه الله عن هذه الآية فى تفسيره « بيَّن تعالى أنه وإن استغفر لهم لم ينفعهم ذلك، وإن أكثر من الاستغفار ، قال القشيرى : ولم يثبت ما يروى أنه قال « لأزيدن على السبعين » قلت : وهذا خلاف ما ثبت فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما« وسأزيد على سبعين » وفى حديث ابن عباس « لو أعلم أنى إن زدُت على السبعين يغفر لهم لزدتُّ عليها ». قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ،[2] أى المتَوَفَّى الذى كان يُظَنُّ أنه منافق، والذى يمكن فهمه من قوله ﷺ « لو أعلم أنى لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدتُ عليها » هو أن النبى ﷺ فهم من ذكر الله تعالى للرقم « سبعين » أنه للدلالة على الكثرة غير المحدودة حسب لغة العرب، ومع هذا فقدصلى النبى

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٨٠ » .

(٢) القرطبى / الجامع لأحكام القرآن المعروف باسم تفسير القرطبى تحقيق : عماد زكى وخيرى سعيد نشر المكتبة التوفيقية الجزء الثامن صـ ١٨٩ وقال المحققان عن هذا الحديث : أخرجه البخارى « ٤٦٧١ » كتاب التفسير .

ﷺ على هذا الذى كان يُظن أنه منافق، بل على كبيرهم عبد الله بن أُبى بن سلول ،مخالفا مشورة عمر بن الخطاب ﷺ بترك الصلاة عليه وترك القيام على قبر هذا المنافق ،وعلى قبورهم، قائلا ﷺ لعمر ﷺ : لقد خيَّرنى ربى بين أن استغفر لهم أولا أستغفر فأستغفر النبى ﷺ لهم، ففعل وإن كان يعلم بمقتضى ذكر الرقم « سبعين » أنه سبحانه لن يقبل استغفاره لهم ،ومن ثم قال ﷺ « لو أعلم أنى لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدتُ عليها » لأن فى لغة العرب العدد سبعة والعدد سبعين والعدد سبعمائة والعدد سبعين ألفا وهكذا كلها تدل على الكثرة غير المحدودة والمعنى: أنه مهما استغفرت، ومهما كان عدد استغفارك، فلن أغفر لهم ،وهذا ما قرره بوضوح ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية بقوله « يخبر تَعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، وقد قيل إن السبعين إنما ذُكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم لأن العرب فى أساليب كلامها تذكر السبعين فى مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها»(١)

وبناء على هذا، فإن ورود كلمة عام وسنة فى القرآن الكريم سبع مرات يدل على الكثرة التى لا حَدَّ يُعلم لها لعدد سنين الحياة الدنيا حسب لغة العرب وأساليب كلامها حيث تذكر هذا العدد، فالسبعون إذن للمبالغة بالكثرة ولا يُريدون التحديد بها ومن ثم فَسَّر بعض المفسرين قوله تعالى « سبع سماوات » أيضا للدلالة على الكثرة التى لا يُعلم لها حدٌ، إذ أحيانا تأتى بدلالة الآفاق أو مستويات الارتفاع فوق الرؤوس بدليل قوله تعالى : ﴿ ..فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ .. ﴾ (٢) أى فليعلق حبلا فى سقف بيته ، فكم سماء إذاً فوق رؤوسنا بَدْءًا من سقف البيت إلى النجوم وما بعد النجوم

---

(١) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم المجلد الثانى ص ٣٧٦ نشر دار الفكر بيروت .

(٢) سورة الحج الآية رقم « ١٥ » .

وهكذا الأمر بالنسبة لكلمة « عام » الواردة فى القرآن سبع مرات أيضا .

ومن ثم يتطابق عدد مرات ذكر كلمة سنة مع ذكر كلمة عام،وهو سبع مرات بسبب مطابقة الدلالة اللغوية لكل منهما على الأخرى ،وكذا مطابقة المعنى اللغوى للكلمتين باعتباره تعبيرا عن وحدة زمنيه كبرى يتعامل بها الناس فى حياتهم منذ آدم مع العدد سبعة الذى يفيد الكثرة التى لا يعلم حدٌ لها، ومن ثم قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ (١)

وهذا هو الذى قصدنا إليه من هذا البحث وهو أن الدلالة اللغوية للكلمة القرآنية تصدق وتنطبق على الدلالة الحسابية لعدد ذكرها فى القرآن الكريم،مع مطابقة هذه الدلالة مع الواقع الكونى أيضا، وهو إعجاز بالنسبة للقول والتأليف يعجز عنه الإنس والجن ولو اجتمعوا ما حَقَّقُوه، ولو فى صفحات قليلة ،تتحدث عن موضوع أو مواضيع قليلة وهذه الحقيقة الإعجازية الثابتة فى كتاب الله تعالى سنحاول أن نستفيد بها فى بحثنا فى القرآن الكريم والسنة عن مواضيع ومسائل الحقيقة المحمدية فى هذا الجزء، وفى سائر الأجزاء التى بعده بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه .

ثانيا: الدلالة العددية برقم الكلمة فى السورة وعدد الحروف

ثم مثال آخر فى كتاب الله ﷻ عن تطابق رقم الكلمة فى السورة على الدلالة اللغوية وعدد الحروف أيضا وهو أوضح ما يكون فى سورة القدر قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ

(١) سورة الإسراء الآية رقم « ١٢ » .

أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾(القدر ١ : ٥)

ومن الراجح ان ليلة القدر هى الليلة السابعة والعشرون من ليالى شهر رمضان الكريم فإذا رقَّمنا كلمات السورة بدءا من (إنا)برقم واحد و(أنزلناه)برقم اثنين ،وهكذا سنجد أن كلمة (هى)التى هى ضمير الغائب يعود على ليلة القدر رقم(٢٧)وهذا يثبت أن التفسير الراجح هو القائل بأنها ليلة السابع والعشرون من ليالى رمضان .

أما بدلالة الحروف فنجد أن عبارة (ليلة القدر)تسعة حروف وقد وردت ثلاث مرات فى السورة فيكون عدد حروف عبارة(ليلة القدر) فى السورة تسعة مضروبا فى ثلاثة يكون عدد الحروف(٢٧) وهذا يثبت ان الحروف أيضا تنطق وتدل على أن ليلة القدر هى الليلة السابعة والعشرون من ليالى الشهر الكريم.

فالدلالة اللغوية للكلمة فى القرآن ليست بعدد الكلمات فقط، بل وبعدد الحروف أيضا.

الباب الثانى

سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله هو وحده رسول الله وهو وحده رسول الرسل وهو وحده نبى الأنبياء بمقتضى الدلالتين اللغوية والعددية لآيات وألفاظ القرآن الكريم

الفصل الأول

بمحض الدلالة اللغوية رسول الله ﷺ نبى الأنبياء
ورسول الرسل صلى الله عليهم جميعا وسلم

الفصل الثانى

توافق الدلالة العددية لكلمتى « الرسول » و« رسول »
فى الكتاب مع الدلالة اللغوية

الفصل الثالث

الدلالة العددية لكلمة « رسول » مُعَرَّفةً بالإضافة إلى لفظ الجلالة « الله »
أى عبارة « رسول الله » فى الكتاب

الفصل الرابع

عبارتا « رسولنا » و« رسوله » وردتا كلتاهما للدلالة على سيدنا محمد ﷺ وحده

الفصل الخامس

الدلالات العددية لكلمتىْ « النبى » و« نبى » فى الكتاب ،
تثبت أنه ﷺ هو وحده النبى ومن سواه نبى

الفصل السادس

المقام الأحمدى والأحوال المحمدية فى الكتاب إعتراض على النتيجة اللازمة فى الفصول السابقة وهى أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو وحده الرسول وهو وحده النبى والرد عليه

الفصل السابع

تطابق الدلالة اللغوية مع الدلالة العددية تثبت تفرده ﷺ
بأنه العبد ومن سواه عبد

الفصل الأول
نبى الأنبياء ورسول الرسل

سيدنا محمد هو رسول الله إلى الإنس والجن أجمعين من لدن آدم إلى يوم الدين بما فيهم النَّبيِّين : فرسول الله ﷺ هو رسوله للنَّبيِّين أحمدياً ورسوله للنا س ولأمته محمدياً

والدليل على هذه الحقيقة الأحمدية المحمدية قول الله ﷻ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[1] ويمكن إستنباط النتائج التالية من منطوق هذه الآية لتُساعدنا على تفسيرها :

١ - أن محور هذه الآية الكريمة ميثاق وإقرار وشهادة أخذها الله تعالى على النَّبيين، ولفظ « النَّبِيِّين » يشمل المرسلين بغير عَكس، لأن كل المرسلين نَبِيُّون فى حين أن النَّبِيِّين ليسوا جميعا مرسلين . من ثم فالإقرار والميثاق والشهَادة، هذه الثلاثة التى أخذها الله تعالى على النبيِّين أخذها على الأنبياء والرسل جميعا ما عدا رسول واحد ،هو الذى سيجئ بعدهم وهو الذى طُولبوا وأُمِروا أن يؤمنوا به وينصروه، وأن يشهدوا مع الله بأنه رسوله إليهم

٢- موضوع الميثاق والإقرار والشهادة هو الإيمان برسول يأتى من بعدهم جميعا، ويأتيهم ويأتى الناس بكتاب وبرسالة شاملة ومتضمنة لكل ما جاءوا به جميعا لأقوامهم ،بدليل قوله تعالى

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ٨١ » .

﴿ ... مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ .. ﴾ ، فهذا الميثاق مأخوذ منهم لـه ﷺ بأن يؤمنوا به رسولا من الله سبحانه وتعالى إليهم .

٣- ويتضمن الميثاق والإقرار أيـضا التعهـد بنـصرته ﷺ وآلـه عنـد أقوامهم بعد الإيمان به رسولا من الله تعالى إليهم، ونصرته لدى أقوامهم تكون ببيان فضله عليهم ،وعلى الخلـق ،وأنـه إمـامهم وأكرمهم عند الله تعالى ،وصاحب المقام المحمود يوم القيامة

٤- بعد أن طلب الله تعالى منهم الإقرار فأقَرُّوا أمرهم سبحانه بـأن يشهدوا معه بـأن رسـول الله الكـريم الـذى سيأتي بعـدهم فى الزمان بكل ما آتاهم الله به جميعا من كتب وحِكَـم أمـرهم بـأن يشهدوا معه سبحانه بأنه رسول الله تعالى إليهم، فـشهدوا بهـذا كما شـهد الله ﷻ بـه معهـم، فمـضمون هـذه الـشهادة أن هـذا الرسول الذى سيأتى بعدهم جميعا أى الخاتم هو رسـول الله إلى الرسل وبالتالى نبى الله إلى الأنبياء .

قال الطبرى فى تفسير هذه الآية « وأولى الأقوال فى تأويـل هـذه الآية أن يكون قوله « لَمَا » بمعنى « لَمَهْمَا » » فيكون المعنى : مهـما كان الكتاب والحكمة التى تنزل على كل رسـول أو نبـى مـنكم عظيما فى هداية البشر، فسيأتيكم رسول بكتاب يتضمن كـل مـا آتيتكم من الكتب وبِسُنَّة أو بحكمة تجمع كـل مـا أتيـتكم مـن حكمة أيضا .

٥- قوله تعالى بعد أن أقـرّوا « قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ .... » يدعونا أن نتساءل : يشهدوا بماذا ؟ لا إجابة عـلى هـذا التَّساؤل إلاّ بالقول : أمرهم الله تعـالى بـأن يقولـوا : نـشهد أن الرسول الذى سيبعث بعد بعثنا جميعا وبرسالة جامعة لرسـائلنا جميعا هو رسولك يا رب إلينا أمرتنا أن نؤمن به وأن ننصره عند

أقوامنا بذكره وذكر مكانته عندك، باعتباره رسولك إلينا نحن الرسل ونَبِيًّا لنا وللأنبياء فقال الله تعالى شاهدا معهم ﴿ ..وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أى على هذا الذى أشهدتكم عليه وأقررتم به .

أليست هذه شهادة « بأنَّ محمدا رسول الله » قد شهد بها الله ﷻ وشهد بها النَّبِيُّون، فهو وحده ﷺ رسول الله ﷻ للإنس والجن، وهم جميعا عليهم الصلاة والسلام رسل الله لأقوامهم بتلقى رسالاتهم منه ﷺ بدليل قوله سبحانه وتعالى ﴿ ..ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ .. ﴾ فرسالاتهم جميعا من رسالته الجامعة ومُصَدَّقٌ عليها منه ﷺ ولقد قَام مشكل حول فهم هذه الآية ألاَ وهو :

كيف يكون بعثه بعدهم جميعا فى الزمان ،ومع هذا يكون هو ﷺ رسول الله ﷻ إليهم ؟! .

وكيف أُخذ عليهم الإقرار والميثاق والشهادة له، وهم جميعا يكونون موتى حين يكون هو حيا ومبعوثا إلى الناس كافة فى الأرض إلى قيام الساعة؟!

وكيف أخذ عليهم جميعا هذا الميثاق ولكل منهم عصره وزمانه ؟!

وكيف تكون نصرتهم له ﷺ مع إختلاف أزمانهم مع زمن بعثته ؟

الإجابة التى تَرْفع جميع علامات الإستفهام هذه، هى أن الله تعالى قال فى أول الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ .. ﴾ « وإذ » إذا دخلت على فعل ماض تكون بمعنى : « وإذكر يا محمد » يوم أخذ الله تعالى على النبيين ميثاقهم لك، فى وجودهم وحالهم الأحمدى، وفى حالك الأحمدى الروحانى، إذ أنت يومئذ أحمد الروح الكلى،فهو هنا فى الحياة الدنيا وبنزول القرآن الكريم عليه يُذكِّره بهذه الآية بأنه سبحانه وتعالى أخذ عليهم له هذا الميثاق فى عالم الأرواح،أو فى عالم الملكوت فى يوم : « ألستُ بربكم »، ومن ثم تكون نُصْرتهم له ،أى عند

أقوامهم بدءاً من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام بأن يَذْكُروا ويُبَيِّنوا مكانته عند الله، وبأنه رحمته للعالمين، وبأنه أكرم خلق الله تعالى على الله تعالى وأحبهم إليه، وبأنه هو صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين أى المقام المحمود ،وهو بإذن الله صاحب الدرجة العالية الرفيعة ، وغير ذلك مِمَّا مَنَّ الله تعالى به عليه وآثره به على سائر خلقه بعامة ،وعلى النَّبِيِّين بخاصة، فقد أو رد الإمام الطبرى فى تفسيره قول سيدنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه، قال : لم يبعث الله عز وجل نبياً آدم فمن بعده إلاَّ أخذ عليه العهد فى محمد : لئن بعث وهو حى ليؤمنَنَّ به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه .

وأورد الطبرى قول الحسن فى هذه الآية قال : أخذ الله ميثاق النَّبِيِّين : ليُبَلِّغَنَّ أولكم آخركم ولا تختلفوا .

وقال آخرون : معنى هذا أن الميثاق على النبِّيين وأممهم، ولكنه إكتفى بذكر النَّبِيِّين عن ذكر أممهم، لأن فى ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع ،أوعلى التُّباع، لأن الأمم هو تُبَّاع الأنبياء .

والذى أرجحه هو أن هذا العهد والميثاق كان قبل خلق البشر فى هذه الحياة الدنيا مثله مثل الميثاق الذى أخَذه الله على بنى آدم يوم قوله تعالى لبنى آدم ﴿ ..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ .. ﴾ [1]، ومثله أيضا مثل الميثاق الذى أخَذَه الله عز وجل من النبى ﷺ ثم من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ومن سائر النَّبِيِّين عليهم جميعا الصلاة والسلام ففى القرآن أربعة [2] مواثيق أخذها الله تعالى على عباده فى يوم المواثيق وكلها تبدأ بقوله تعالى للرسول ﷺ فى الأول(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين)، والثانى(وإذ أخذنا من النَّبِيِّين..) ،والثالث بقوله(وإذ أخذ ربك من بنى آدم..) ،والرابع (وإذ أخذ الله ميثاق

(١) سورة الأعراف الآية رقم « ١٧٢ » .

(٢) إرجع إليها فى الجزء الثانى مذكورة تفصيلا،وإنما ذكرت آياتها فقط هنا للتذكير بها

الذين أوتوا الكتاب..) وكلها بمعنى واذكر يا محمد حين أخذ الله ميثاق كذا.وهى فيما يلى :

أولها : الميثاق الذى أخذه الله تعالى على النَّبِيِّين للنبى الخاتم بالإيمان به وبنصرته وهى الآية التى نحن بصددها

وثانيها : قوله تعالى فى ثانى المواثيق ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[1] وهذا من كل الأنبياء والمرسلين جميعا وعلى رأس القائمة رسول الله صلى الله عليهم بالتبليغ والبيان أقوالا وأفعالا لأقوامهم .

وثالثها : قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2] وهذا ميثاق على جميع بنى آدم بألا يشركوا مع الله ربا أو إلها غيره .

وفى رابعها : أخذَ الله تعالى على العلماء ميثاقا أن يُبَلِّغوا كتابه الذى تلقوْه من رسولهم الذى بعثهم الله إلى أقْوامهم وأن يُبَيِّنوا ما فيه لهم ولا يكتمونه قال ﷻ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[3]

والثمن القليل الذى يبيعون به الكتاب هو الدنيا أى دنيا هؤلاء العلماء الذين خانوا هذا العهد والميثاق الذى أخذه الله تعالى عليهم قبل مجيئهم إلى هذه الحياة الدنيا، فلم يبيِّنوا ما فيه من الحق والهدى للناس بل كتموهما وأخفوهما عنهم . وهذا الميثاق أخذه الله على علماء كل أمة أنزل الله

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٧ » .

(٢) سورة الأعراف الآية رقم « ١٧٢ - ١٧٣ » .

(٣) سورة آل عمران الآية رقم « ١٨٧ » .

تعالى على رسولها إليها كتاباً بأن يُبَيِّنوا لأقوامهم ما فيه من الحق والهدىٰ فيه ولا يكتمونه عنهم .

وحيث أن هذه المواثيق الأربعة قد بدأ الله تعالى آياتها بقوله سبحانه وتعالى « وإذ أخذ الله ميثاق النَّبِيِّين » فإنها خطاب تذكيرى لرسوله ﷺ وللنَّبِيِّين وللعلماء، ثم لكل بنى آدم بمواثيق أخذها عليهم سبحانه وتعالى قبل خلقهم فى هذه الحياة الدنيا، وميثاق الله تعالى على الرسل والأنبياء بالإيمان بالرسول الخاتم ونصرته عند أقوامهم وإقرارهم، ثم أَمْر الله تعالى لهم بأن يشهدوا بهذا وهو سبحانه يشهد معهم، كل هذا يفيد إفراد الرسول الذى يأتى بعدهم جميعا، أى يكون خاتما لهم ،بأنه وحده رسول الله ﷺ للرسل والأنبياء أولا ،ثم هم رسل لله من قبله ﷺ لأقوامهم، فهم رسل وأنبياء مبعوثون من الله ﷻ ، إلى أقوامهم ولكن بالوكالة أو بالنيابة عن رسول الله ﷺ الذى هو رسول الله إليهم وإلى أقوامهم أحمديا ورسول الله إلى أمته فى حياته الإنسانية البشرية محمديا .

ولا يمنع هذا الإيمان بأن لله تعالى رسلا وأنبياء أرسلهم الله تعالى لأقوامهم، ولكن ليس ثَمَّ واحد منهم هو رسول الله بالمعنى المطلق ، ولكن هم رسل وأنبياء لأقوامهم من رسول الله الأوحد للعالمين بالرحمة وهو ﷺ الخاتم للنبيين فى الزمان، والمخلوق قبلهم لقوله ﷺ « كنتُ أول النَّبِيِّين فى الخلق وآخرهم فى البعث »[1] ومن ثم تكون أولية خلقه دليلا على أنه رسول الله تعالى إليهم ،وإن كان خاتمهم فى البعث، ولكنه كان معهم يوم أخذ الله تعالى الميثاق عليهم بأن يؤمنوا به رسولاً من الله تعالى إليهم وبأن ينصروه

(١) أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردوية وأبو نعيم فى الدلائل والديلمى وابن عساكر عن طريق الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله « وإذا أخذنا من النبيِّين ميثاقهم ومنك ومن نوح .... » عن الدر المنثور للسيوطى .

وبأن يشهدوا بأنه رسول الله ﷺ للعالمين بالرحمة وللتقلين بالرسالة، فهو ﷺ رسول الله إلى الرسل أحمديا وروحيا وخاتمهم محمديًا.

أفليس هذا دليلا على أنه صلى الله عليه هو وحده رسول الله ﷺ؟ وأليس هذا تفسيرا وتعليلا بأنه ﷺ هو وحده الذى رفع الله ذكره بأن جعل إسمه يُذكر مع اسمه سبحانه بقول كل المؤمنين « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؟ وبدليل أن الشهادتيْن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » مكتوبتان على عرش الرحمن ؛ وهذا ما أورده السيوطى فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ « لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال أسألك بحق محمد إلاَّ غفرتَ لى، فأوحى الله إليه : ومن محمد ؟ فقال : تبارك اسمك لما خلقتنى رفعتُ رأسى إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعلمتُ أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا مِمَّن جعلتَ إسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه : يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك وإن أمته آخر الأمم ولولاه ما خلقتك »[2] فليس ثمَّ رسول لله ﷺ على سبيل الإطلاق إلا محمد ﷺ، لأن شهادة « لا إله إلا الله » على سبيل الإطلاق ومن ثم تكون « محمد رسول الله» مطلقة أيضا .

ولم يرد فى كتاب سماوى، لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى كتب أنبياء بنى إسرائيل أى عبارة تقول لا إله إلا الله موسى رسول الله أو لا إله إلا الله عيسى رسول الله أو غيرهما من الرسل والنَّبِيِّين، لأن شهادة « محمد رسول الله » بعد شهادة « لا إله إلا الله » تفيد أن لعبارة « محمد رسول الله » دلالة مطلقة أى غير مُقَيَّدة بزمان أو محدودة بمكان أو مخصوصة بقوم دون سائر الأقوام .

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٣٧ » .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى حديث(٦٥٠٢).

فمعنى شهادة « محمد رسول الله » بجانب شهادة « لا إله إلا الله » هو أن دلالتها مطلقة لأن دلالة الشهادة الأولى مطلقة ومن ثم لم يرد عن رسول من الرسل أو نبى من الأنبياء قوله لقومه : قولوا : لا إله إلا الله نوح رسول الله أو لا إله إلا الله هود رسول الله أو لا إله إلا الله إبراهيم رسول الله أو موسى رسول الله بجانب شهادة لا إله إلا الله .

ولكن الذى ورد عنهم فى القرآن الكريم قول كل منهم لقومه « إنى لكم رسول أمين » فحدد رسالة كل منهم بزمانه وبقومه فهو رسول من عند الله إلى قومه فى زمانه وليس رسول الله مطلقا، وهذا بدليل قوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[2] وقوله تعالى أيضا ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[3] وقوله تعالى أيضا ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[4] وقوله تعالى أيضا ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[5]

فإذا تدبرنا قول كل رسول للمبعوث إليهم « إنى لكم رسول أمين » لوجدنا أن كل رسول لم يقل أنه رسول الله بل قول كل منهم « إنى لكم رسول أمين » . ولو تدبرنا قول كل منهم « لكم » لوجدنا أنه دليل على أنه ليس رسولا لغيرهم : فنوح لقومه وهود لعاد وصالح لثمود ولوط لقومه

(١) سورة الشعراء الآية رقم « ١٠٥ — ١٠٧ » .

(٢) سورة الشعراء الآية رقم « ١٢٣ — ١٢٥ » .

(٣) سورة الشعراء الآية رقم « ١٤١ — ١٤٣ » .

(٤) سورة الشعراء الآية رقم « ١٦٠ — ١٦٢ » .

(٥) سورة الشعراء الآية رقم « ١٧٦ — ١٧٨ » .

وشعيب لقومه أصحاب الأيكة وهم أهل مدين وكلاً من موسى وعيسى أيضا عليهما الصلاة والسلام مرسل إلى قومه بنى إسرائيل فحسب قال ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾(١) فموسى عليه الصلاة والسلام رسول الله إلى قومه بنى إسرائيل فحسب ؟ وكذلك عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) فعيسى رسول مبعوث لبنى إسرائيل فقط، بل كل أنبياء بنى إسرائيل داود وسليمان وأشعياء وحزقيال ودانيال وغيرهم عشرات هم فقط لبنى إسرائيل دون غيرهم من الشعوب والقبائل، وحتى خليل الله إبراهيم ﷺ أرسله الله ﷻ إلى قومه بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣)

هذا بالنسبة لكل المرسلين والنَّبيِّين، أما سيدنا رسول الله ﷺ فله شأن متميز عنهم جميعا فهو ليس مبعوثا إلى قومه فقط مثلهم، وإنما هو مبعوث للناس جميعا، بل للإنس والجن، وقد يتبادر إلى الذهن أنه ﷺ مبعوث للإنس والجن منذ بعثه إلى نهاية الدنيا فقط، وهذا غير صحيح أو غير دقيق لأنه ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن منذ بدء خلقهما إلى نهاية الدنيا، وهذا ما سنقيم عليه الأدلة من بعد .

بل إن الذين أرسله الله تعالى إليهم أوسع وأكثر من الثقلين أى هذين المخلوقيْن المبتليَيْن بكثير جدا، كما سنرى بإذن الله وعونه وتوفيقه

---

(١) سورة الصف الآية رقم « ٥ » .

(٢) سورة الصف الآية رقم « ٦ » .

(٣) سورة العنكبوت الآية رقم « ١٦ » .

صحيح أن الله ﷻ لم يكلفه بانذار وتبليغ وهداية الناس أجمعين فى أول عهده بتلقى الوحى، وإنما كلفه بالتبليغ مُتَدَرِّجًا من عشيرته بقوله تعالى له ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (١) ثم قومه العرب، ثم كل الذين حول جزيرة العرب ثم كل الناس على وجه الأرض ثم ورد النص على أنه مبعوث لهم منذ آدم،أى أن التكليف نزل عليه متدرجا من الأخص إلى الخصوص ثم إلى العموم ثم إلى الأعم

أما بالنسبة لعشيرته الأقربين فالدليل ما كتبه السيوطى فى تفسيره قال « أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخارى ومسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردوية والبيهقى فى شعب الإيمان وفى دلائل النبوة للبيهقى عن أبى هريرة ﷺ قال : « لما نزلت هذه الآية » ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا، وعَمَّ وخَصَّ فقال يا معشر قريش : انقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بنى كعب بن لؤى : انقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بنى قُصَيٍّ : انقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضُرًّا ولا نفعا، يا معشر بنى عبد مناف : انقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعا، يا بنى عبد المطلب : أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضَرّاً ولا نفعا، يا فاطمة بنت محمد : إنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك ضرا ولا نفعا ،إلاَّ أن لكم رحما وسأبلها ببلالها »(٢) .

فقوله ﷺ لعشيرته ثم لفاطمة « إنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك ضرا ولا نفعا » تفسيره : إسلمى يا فاطمة وقُولى : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإن لم تقوليها فإنى لا أملك لك ضرا ولا نفعا، وكذلك قوله لسائر عشيرته ،وإلاَّ فهو يملك بأمر الله وبإذنه الشفاعة لكل من يقول الشهادتين،

(١) سورة الشعراء الآية رقم « ٢١٤ » .

(٢) السيوطى / الدر المنثور المجلد الخامس صــ ١٠٤ .

أما الذى يموت على الشرك أى الذى يرفضها فلا شفاعة له ولا ينفعه رسول الله ﷺ ،ولا يمنع عنه عذابا حتى ولو كان أقرب الناس إليه، لأن الله تعالى لا يغفر أن يُشرك به ،ومن ثم قال (إلَّا أن لكم رحما وسأبلها ببلالها).

أما بالنسبة لكونه ﷺ مرسلا بعد عشيرته إلى العرب الذين هم قومه فالدليل قوله ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) والأميون هم العرب أرسل الله تعالى لهم الرسول النبى الأمى ﷺ، ولما كذَّبوه ،ورفضوا القرآن فى أول بعثه إليهم إشتكى إلى ربه هجر قومه للقرآن ،قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (٢) لكنهم ما لبثوا بعد هجرته ﷺ وبجهاده بالقرآن وبالسيف، ما لبثوا أن آمنوا ودخلت القبائل العربية فى دين الله أفواجا، لتبدأ مرحلة جديدة فى نشر الإسلام وتبليغه والجهاد فى سبيل الله، ألاَ وهى مرحلة تبليغه لغير العرب من الشعوب التى حول جزيرة العرب أولا فقال تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٣).

ثم المرحلة التى بعد ذلك إلى كل الناس المعاصرين له وإلى قيام الساعة قال تعالى ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤)

---

(١) سورة الجمعة الآية رقم « ٢ » .

(٢) سورة الفرقان الآية رقم « ٣٠ » .

(٣) سورة النساء الآية رقم « ٧٩ » .

(٤) سورة الأعراف الآية رقم « ١٥٨ » .

فإذا تَدَبَّرنا أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يعلن للناس بأنه رسول الله إليهم جميعا، ولفظ « الناس » هنا يصدق على البشر الذين عاصروه ﷺ ومن بعدهم إلى قيام الساعة لوجدنا أن هذا النداء الذى أعلنه الله تعالى للناس بأنه ﷺ قد جاءهم بالحق من الله ﷻ بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (١) هو أيضا للناس جميعا إلى يوم القيامة.

ومن ثم قال الله ﷻ للمؤمنين بدءاً بجيل الصحابة بعد إسلام أكثر العرب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢) وقال النبى ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .... » (٣) إلى آخر الحديث .

هذه الآيات الكريمة تدل على أن دعوته ﷺ للناس جميعا حسب ما أمره الله ﷻ وهو واقع مستمر وما دام القرآن الكريم الذى يحمل هذه النداءات والبلاغات باقيا فى الحياة الدنيا ومنشورا بين الناس باللغة العربية التى نزل بها وبلغات بقية الشعوب بتَرجمة معانية إلى أكثر اللغات الحية، وهذا لا ريب فيه، ولا جدال حوله، فهو مرسل لكل الناس إلى قيام الساعة ليؤمن من يؤمن وليكفر من يكفر .

ليس هذا فحسب ،بل إن الذى يثبته ويتضمنه القرآن أنه مرسل لهم منذ آدم، أى أنه ﷺ مبعوث للناس شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، أى أنه مبعوث فيهم أحمديا بمقتضى الخلقة بنفخ الروح فى كل جنين،

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٧٠ » .

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ١٢٣ » .

(٣)أخرجه مسلم حديث (٢٩) كتاب "الإيمان" باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "

ومرسل للناس جميعا محمديا ،بعد بعثه ،فمن آمن به وصَدَّقه وأطاعه فهـو ﷺ مبعوث نورا فى قلبه أحمديا ،ومرسل إليه محمديا تبليغيًّا، وفمن يكفر به وكذبه فهو مرسل إليه محمديا وتبليغيا فقط لإقامة الحجة عليه يـوم الـدين والأدلـة القرآنية على هذه الحقيقة الأحمدية متعددة :

أولاً : قولـه ﷻ للرسـول ﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] وتفسير قوله تعـالى « إلا كافة للناس » هو وما أرسلناك إلا لتكون رسـولا لكافـة النـاس أى إلى الناس كافة ولفـظ « النـاس » يـصدق عـلى الآدميِّـين منـذ آدم عليه السلام إلى قيـام الساعة، وكون النبى ﷺ مرسلاً كافة للناس يدل على أنه لا يُستثنى منهم أحد على الإطلاق، فيشمل كل الذين ولدوا قبله والذين عاصروه والذين يولدون بعده وسيولدون إلى آخر الدنيا، فالناس جميعا قومه، فالذين آمنوا منهم أمته.

أى أنه ﷺ مرسل ومبعوث إلى كافة الناس، بما فيهم الرسل وعددهم ثلاثمائة وخمسة عشر ،وبما فيهم الأنبياء وعددهم مائة ألف وأربعة وعـشرون ألف نبى، كما أنه مبعوث أيضا ومرسل لأقوام هؤلاء الرسل والنَّبيِّـين، وقـد ثبت لنا هذا بقوله تعـالى فى آيـة الميثـاق ﴿ ..لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ.. ﴾[2] فهو رسول الله تعالى إليهم ومن ثـمَّ يكـون بالتـالى هـو أيـضا رسـول الله إلى أقوامهم وأممهم، وهم رسل إلى أقوامهم بالوكالة أو بالنيابة عنه ﷺ

ثانيا : يوم الدين هو اليوم الذى يقف الإنس والجن جميعـا فى صـعيد واحد بعد أن يُغيِّر الجبارﷻ الكرة الأرضـية مـن الـشكل الكُـرىِّ إلى شـكل الرغيف المستدير الكبير بعد أن يدكُّها دَكًّا دَكّاً ويقف أهل المحشر عليها صَفًّا صَفًّا ويبدأ الحساب بسؤال الأمم وبسؤال رسلها بإعتبار أن كل رسول شاهد على أمته فى هذا المشهد.

(١) سورة سبأ الآية رقم « ٢٨ » .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم « ٨١ » .

والشاهد بمعنى الحجَّة عليهم قال تعالى مخاطبا الأمة المحمديَّة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) فرسول الله ﷺ شهيد، علينا نحن أمته المحمدية، ووسطية هذه الأمة الخاتمة للأمم، واصطفاؤها على الأمم، وجعلنا الله تعالى بهما شهداء على الناس، أى حجة لله ﷻ عليهم يوم القيامة ،كما أن الرسول ﷺ شاهد وحجة علينا أيضا . فأية البقرة هذه تثبت شهادته ﷺ على أمته المحمدية .

بيد أن آية النساء التالى ذكرها تثبت أن كل رسول أو نبى حجة على أمته، وشاهد عليها يوم القيامة ،كما تثبت شاهدية أو حجية أخرى لرسول الله ﷺ على أمة أخرى له ﷺغيرنا نحن أمته المحمدية فما هى هذه الأمة ؟

الإجابة فى قول الله ﷻ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾(٢) والمعنى أن الله ﷻ سيأتى يوم القيامة بشهيد على كل أمة منها، هو نبيها أو رسولها وسيأتى أيضا بشهيد على هؤلاء، « وهؤلاء » إسم إشارة للجمع القريب يعود إلى أقرب مذكور فى الآية، وأقرب جمع مذكر مذكور فى هذه الآية، وإن كان ذِكره مضمرا، هو تقديرا « الشهداء على الأمم » فقوله تعالى ﴿ .. وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ أى جئنا بك على هؤلاء الذين هم شهداء على الأمم شهيدا عليهم . فهو ﷺ شهيد على الشهداء، أى أنه شهيد على الرسل والأنبياء .

(١) سورة البقرة الآية رقم « ١٤٣ » .

(٢) سورة النساء الآية رقم « ٤١ - ٤٢ » .

وحيث أن الشهيد رسول أو نبى الذين هو شهيد عليهم يوم القيامة، ورسول الله ﷺ شهيد على كل الرسل والأنبياء، فهو ما صار شهيدا عليهم إلا لأنه رسول الله إليهم ،فأحمد ﷺ شهيد على هؤلاء الرسل والنبيين يوم القيامة، ومحمد ﷺ شهيد يوم القيامة علينا نحن المسلمين أمته المحمدية المبعوث فيها والمرسل إليها فى هذه الحياة الدنيا مُحَمَّديا، فهو شهيد على النبيين أحمديا وعلى أمته محمديا، فشهادته على شهداء الأمم شهادة له بأنه رسول الله ﷻ لكل الناس أولهم وآخرهم .

ثانيا : ويدل على هذا الإطلاق لرسالته ﷺ كذلك أى على أنه رسول الله ﷺ لكل الأمم منذ آدم إلى قيام الساعة يدل عليه ويثبته أيضا قول الله ﷻ يوم القيامة عن كل الكافرين ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ .. ﴾ وحيث أن عبارة الذين كفروا يومئذ تستغرق جميع كفار الإنس والجن يوم الدين وكلهم سيتمنَّوْن أن تُسوَّى بهم الأرض، أى يتمنى الكفار جميعا يوم الدين أن يكونوا ترابا فتسوّى بهم الأرض، لأنهم سيعلمون عندما يروْن رسول الله ﷺ شهيدا على أنبيائهم ورسلهم، سيعلمون أنهم لما عَصَوْا رسلهم،إنما عصوْا فى الحقيقة الرسول الأعظم أى رسول الله ﷺ المطلق أو صاحب الرسالة المطلقة، الذى لا يُرفَع اسم بجوار "لا إله إلا الله" إلا اسمه هو "محمد رسول الله" ومن ثم يدركون فداحة الجرم الذى ارتكبوه فيقول الكافر منهم ﴿ ..يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (١) أى تُسوَّى بهم الأرض لأنهم أدْركوا أنهم ما عصوْا بكفرهم نبيهم أو رسولهم المرسل اليهم فحسب، وإنما عصوْا الرسول الذى أرسله الله تعالى إلى رسلهم وهو ﷺ وحده الذى الكفر به كفر بالله ﷻ، وبكل ما أمر الله تعالى أن نؤمن به ،والإيمان به إيمان بالله ﷻ، وطاعته طاعة لله ﷻ، ومن ثَمَّ فمعصيته معصية لله ﷻ .

(١) سورة النبأ الآية رقم « ٤٠ » .

ومن ثم سيكون من الواضح لكل الناس يوم القيامة بعد هذا المشهد أن الرسل والنَّبيِّين لما أُرسلوا وبُعثوا إلى أقوامهم كانوا بمثابة وكلاء أو نواب عن الرسول ﷺ.

أى أنهم قد تيقنوا جميعا أن سيدنا محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب هو الرسول « بألف ولام » التعريف الإستغراقية وكل من سواه من الرسل رسول فلا يصح أن يكون الرسول غيره ﷺ كما لا يصح أن يكون ثم غيره « الرسول » أيضا، كما لا يصح أن يكون أحدهم الرسول بألف ولام التعريف الاستغراقيه معه لأن الاستغراق لا يكون إلا لواحد فقط، ولا يصح أن يقال لغيره رسول الله بشهادة ثانية بعد الشهادة الأولى « لا إله إلا الله » مثله ﷺ.
فكونه رسول الله لهم ينفى أن يكون له مثيل أوند أو نظير، فلا يجوز هذا إلا له وحده ﷺ، ومن ثم جاء ذكره فى الآية بقوله تعالى ﴿ ...وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ ... ﴾ بألف ولام التعريف الاستغراقية التى لم ترد فى كتاب الله ﷻ إلا له وحده ﷺ. كما سنثبت هذا بمنهج إحصائى شامل لكلمة « الرسول » فى كتاب الله ﷻ.
رابعا: ومثلها قوله ﷻ ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(١) وهذه مثل سابقتها تخبرنا بما سيكون من كل ظالم أى مشرك بالله تعالى و مكذب برسوله ﷺ يوم الدين بدءا من عهد آدم إلى قيام الساعة، أقول: سيكون، بعد أن يعلم، هذا المشرك أنه هالك لمعصية الرسول ﷺ، وأن الذين آمنوا بالرسول ﷺ وأطاعوه ناجون، سيكون منه أن يعض على يديه ندما ويقول ﴿ .. يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ فإن كان من الأمم السابقة على الأمة المحمدية يكون هذا إدراكاً منه بأنه لو آمن وصدق برسوله المرسل إليه وإلى قومه سواء كان نوحا أو هوداً أو صالحا أو إبراهيم أو غيرهم عليهم الصلاة والسلام، أقول: يكون إدراكا من الظالمين بأنهم هلكوا لأنهم لمّا كذب كل قوم منهم رسولهم، فإنهم إنما قد كذبوا فى

(١) سورة الفرقان الآية رقم « ٢٧ ».

الحقيقة الرسول ﷺ ولم يتخذوا معه سبيلا من السبل الهادية التى تلقاها رسولهم من الرسول ﷺ.

خامسا : وحتى بالنسبة لأهل النار المعذبين فيها، فإنهم يدركون أن ما هم فيه من العذاب إنما أصابهم لأنهم ما أطاعوا الرسول، قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (١) فالأمم كلها فى النار تتمنى لو كانت أطاعت الله و أطاعت الرسولا، ولم يقولوا « رسلنا » فالذين تُقَلَّب وجوهم فى النار هم كل الذين كفروا وماتوا على كفرهم منذ آدم إلى قيام الساعة ومن ثم فقولهم ﴿ .. يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ هو بالنسبة لرسول واحد معرف بألف ولام التعريف الإستغراقية، فلا يذكر اسم الله تعالى ومعه إسم رسول أو مخلوق آخر إلا رسوله الأوحد ﷺ، فهو وحده الذى رفع الله ذكره باعتبار أنه الرسول أو رسول الله مُعَرَّفا بالإضافة، وبالتالى يكون ما سواه من الرسل لَمَّا أُرسِلوا إلى أقوامهم كانوا بمثابة وكلاء ونواب له ﷺ.

فقولنا ليس ثَمَّ أحدُ من الرسل يقال له « رسول الله » إلاَّ سيدنا محمد ﷺ قولٌ حق وهو كقولنا لا يُقال لأحد « الرسول » تعريفا مطلقا غير مقيد إلاَّ سيدنا محمد ﷺ فقولنا « رسول » تصدق على أى رسول أما قولنا « الرسول » فتعنى بالضرورة سيدنا وسيد الخلق والرسل وإما مهم محمد ﷺ.

سادسا : أما الدليل السادس فقوله تعالى عن يوم الدين وعن أهل المحشر ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٦٦ ».

(٢) سورة النبأ الآية رقم « ٣٦ - ٤٠ ».

فإذا تدبرنا قوله سبحانه وتعالى عن أهل المحشر أنهم جميعا لا يملكون من الله تعالى خطابا يتشفع به شافع لديه ﷻ لرفع الكرب الذى فيه أهل المحشر عنهم ، وحتى الروح والملائكة لا يتكلمون ولا يستطيعون شفاعة لديه ﷻ، لأنه تعالى لن يأذن إلاَّ لعبد واحد لله ﷻ هو الذى يأذن له الرحمن بالكلام فيقول صوابا وحقا مُتَضِّرعا لله ﷻ لرحمة أهل المحشر ليبدأ الحساب، هذا العبد المتفرد وحده دون الخلائق جميعا بهذا المقام المحمود هو رسول الله ﷺ، حينئذ يعلم الذين كذَّبوا رسلهم وأنبياءهم أنهم إنما كذبوا رسول الله، ومن ثم فإنهم حينئذ يدركون أنهم كفروا وكذبوا بالله تعالى مالك يوم الدين وأيقنوا بالهلاك فسيقول حينئذ كل كافر منهم ﴿ ..يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ وهى التى فى سورة النساء ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ لأنه لا يوجد اختلاف بين دلالة التعبيرين ﴿ ..يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ وتمنى الذين كفروا وعصوْا الرسول ﷺ « لو تُسوَّى بهم الأرض » لأن أهل المحشر عند ما يرون ويدركون أن الله ﷻ مالك هذا اليوم وحده لم يأذن بالشفاعة إلاَّ لعبد واحد سيتيقَّنوا أنه أحب خلقه إليه ،وأنه ﷺ هو رسول الله وحده ،وأنه هو الرسول فى حين أن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل والنبيين عليهم الصلاة والسلام دونه فى هذا المقام، لأنه فى حين أن كل واحد منهم رسول أو نبى لقومه، فإنه هو وحده فى الدنيا المبعوث للثَّقلين منذ آدم إلى يوم الدين، وهو صلى الله عليه وحده الذى تقبل منه الشفاعة يوم الدين حتى للنَّبيين، إذ أنه لن تقبل الشفاعة إلاَّ منه وحده ﷺ

والنتيجة النهائية اليقينية القطعية أن سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو وحده رسول الله وهو وحده الرسول ﷺ

هكذا ثبتت لنا هذه النتيجة الرئيسية والنتائج المتفرعة منها بآية ميثاق النبيين وآيات أخرى وهذا كله بالدلالة اللغوية للآيات بمقتضى محض معانى اللغة العربية .

فهل حقا سنجد بالمنهج الإحصائى الشامل لعدد مرات كلمة الرسول ورسول والنبى ونبى وغير هذا النتائج التى تتطابق مع هذه الدلالة اللغوية؟!

الفصل الثانى

توافق الدلالة العددية للفظى " الرسول " و " رسول " فى كتاب الله ﷻ مع الدلالة اللغوية

الدلالة العددية لكلمة « الرسول » معرفة بألف ولام التعريف الإستغراقية، وكلمة « رسول » بصيغة النكرة فى القرآن الكريم تثبتان أن سيدنا محمداً ﷺ هو وحده رسول الله ﷺ ، وهذا يطابق الدلالة اللغوية التى وضحت لنا في الفصل السابق.

ورد لفظ « رسول » مُنكَّرًا ولفظ "الرسول" معرَّفًا بألف ولام التعريف الإستغراقية معا فى القرآن الكريم مائة وأربعين مرة .

أولا : المعرف منها تسع وخمسون مرة يخص سيدنا محمد ﷺ منها سبع وخمسون مرة بعضها بألف ولام التعريف الاستغراقية وبعضها للعهد الذهنى، فلم يرد ذكر رسول واحد من الرسل الذين ذكرهم الله ﷻ بأسمائهم فى القرآن الكريم معرفا بألف ولام التعريف الاستغراقية ولا مرة واحدة لغير سيدنا محمد ﷺ ، ولكن منها مرة واحد لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهى ليست الاستغراقية ولكنها للعهد الذهنى بحسب سياق الآية، ولم ترد لنوح أو إبراهيم أو عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام ، وكذلك الرسل الكبار هود وصالح ولوط وشعيب وكذا إسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان ويحيى وزكريا وسائر رسل وأنبياء بنى إسرائيل، لم يُذكر أحدهم فى القرآن الكريم موصوفاً بأنه « الرسول » على سبيل الإطلاق ولو لمرة واحدة .

ونأخذ بعض الأمثلة من هذه المرات السبعة والخمسين التى اقتصر فيها لفظ « الرسول » معرفا بالألف واللام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ

(أ)- منها قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] لاحظ دلالة لفظ "الرسول" على سيدنا محمدﷺ من غير ذكر اسمه وهو ما نقصده بتعريفه بألف واللام الإستغراق.

(ب)- ومنها قوله ﷻ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2] وهذه مثل سابقتها لانه إذا ذكر لفظ"الرسول" معرَّفا فلا ينصرف إلا إليه ﷺ وحده من غير ذكر اسمه.

(ج)-وقوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3] وهذه مثل سابقتها.

(د)-وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[4]

(هـ)-وقوله ﷻ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[5]

فلفظ الرسول فى جميع هذه الآيات جاء مطلقا لاقترانه بلفظ الجلالة « الله » وهو اسم الخالق سبحانه الذى يدل على ذاته ﷻ موصوفة بالكمالات المطلقة، ومن ثم فاقتران لفظ الرسول به يفيد إطلاق دلالته أيضا وهذا

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ٦١ » .

(٢) سورة النساء الآية رقم « ٦٩ » .

(٣) سورة المائدة الآية رقم « ٩٢ » .

(٤) سورة الأنفال الآية رقم « ٢٤ » .

(٥) سورة محمد الآية رقم « ٣٣ » .

ماوضح من هذه الآيات فى قوله تعالى ﴿ ..إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ .. ﴾ و ﴿ ..وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ.. ﴾ و ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ .. ﴾

وإتماما للإحصاء الشامل أورد بيانا بأرقام الآيات والسور الوارد فيها لفظ الرسول بهذه الدلالة الإستغراقية المطلقة التى تصدق على سيدنا محمد ﷺ ولا تصدق على رسول آخر من الرسل غيره صلى الله عليه وعليهم جميعا وسلم.

ومنها الآيات الخمس آنفة الذكر، والتى تتضمن الآية الثالثة منها « كلمة » « الرسول » مرتين علما بأن لفظ « الرسول » ورد فى القرآن الكريم « ٥٩ » تسعة وخمسين مرة منها « ٥٦ » مرة لسيدنا محمد ﷺ و « ٣ » مرات تصدق على غيره، والتالى البيان الإحصائى بعدد مرات ذكر لفظ « الرسول » المعرف بألف ولام العهد أو الاستغراق فى القرآن الكريم وهو « ٥٧ » مرة وكلها تصدق على رسول واحد هو سيدنا محمد ﷺ.

رقم مسلسل	طرف الآية	اسم السورة	رقم الآية
١	﴿ ..تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ .. ﴾	النساء	٦١
٢	﴿ ..وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ .. ﴾	النساء	٦٤
٣	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ .. ﴾	النساء	٦٩
٤	﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ .. ﴾	النساء	٨٠
٥	﴿ ..وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ .. ﴾	النساء	٨٣
٦	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ .. ﴾	النساء	١١٥
٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ .. ﴾	النساء	١٧٠

٨	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ .. ﴾	المائدة	٤١
٩	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ .. ﴾	المائدة	٦٧
١٠	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ .. ﴾	المائدة	٨٣
١١	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	المائدة	٩٢
١٢	﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ .. ﴾	المائدة	٩٩
١٣	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ .. ﴾	المائدة	١٠٤
١٤	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ .. ﴾	الأعراف	١٥٧
١٥	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾	الأعراف	١٥٨
١٦	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ .. ﴾	الأنفال	١
١٧	﴿ .. اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ .. ﴾	الأنفال	٢٤
١٨	﴿ .. لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ .. ﴾	الأنفال	٢٧
١٩	﴿ .. فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ .. ﴾	الأنفال	٤١
٢٠	﴿ .. وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ .. ﴾	التوبة	١٣
٢١	﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ .. ﴾	التوبة	٨٨
٢٢	﴿ .. قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ .. ﴾	التوبة	٩٩
٢٣	﴿ .. وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ .. ﴾	الحج	٧٨
٢٤	﴿ .. آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا .. ﴾	النور	٤٧

٢٥	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	النور	٥٤
٢٦	﴿ .. وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	النور	٥٤
٢٧	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	النور	٥٦
٢٨	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا .. ﴾	النور	٦٣
٢٩	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ .. ﴾	الفرقان	٧
٣٠	﴿ .. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾	الفرقان	٢٧
٣١	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي .. ﴾	الفرقان	٣٠
٣٢	﴿ .. وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ .. ﴾	العنكبوت	١٨
٣٣	﴿ .. وَشَاقُّوا الرَّسُولَ .. ﴾	محمد	٣٢
٣٤	﴿ .. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	محمد	٣٣
٣٥	﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ .. ﴾	الفتح	١٢
٣٦	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ .. ﴾	الحديد	٨
٣٧	﴿ .. وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ .. ﴾	المجادلة	٨
٣٨	﴿ .. فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ .. ﴾	المجادلة	٩
٣٩	﴿ .. إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا .. ﴾	المجادلة	١٢
٤٠	﴿ .. مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ .. ﴾	الحشر	٧
٤١	﴿ .. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ .. ﴾	الحشر	٧
٤٢	﴿ .. وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴾	البقرة	١٤٣

٤٣	﴿ ..إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ .. ﴾	البقرة	١٤٣
٤٤	﴿ ..حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ .. ﴾	البقرة	٢١٤
٤٥	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ .. ﴾	البقرة	٢٨٥
٤٦	﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ .. ﴾	آل عمران	٣٢
٤٧	﴿ ..وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ .. ﴾	آل عمران	٥٣
٤٨	﴿ ..وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ .. ﴾	آل عمران	٨٦
٤٩	﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ .. ﴾	آل عمران	١٣٢
٥٠	﴿ .. وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ .. ﴾	آل عمران	١٥٣
٥١	﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ .. ﴾	آل عمران	١٧٢
٥٢	﴿ ..وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ .. ﴾	النساء	٤٢
٥٣	﴿ ..أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ .. ﴾	النساء	٥٩
٥٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ .. ﴾	النساء	٥٩
٥٥	﴿ ..يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ .. ﴾	الممتحنة	١
٥٦	﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ .. ﴾	التغابن	١٢

ثانيا : بيان بعدد مرات ذكر لفظ « الرسول » المعرفة بالألف واللام ولا تخص سيدنا محمد ﷺ وهى ثلاث مرات فقط.

أ- الأولى فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾(١).

ولفظ الرسول هنا يصدق على مبعوث الملك ليوسف عليه السلام ليخبره بأن الملك يريده وأمر بالإفراج عنه من السجن، فرد عليه يوسف عليه السلام على رسول الملك بأنه يريد منه أولا أن يسأل النسوة اللائى قَطَّعن أيديهن لاثبات براءته، ومن ثم « فألف ولام » التعريف هنا هى للعهد الذهنى المذكور أنفا وليستا الاستغراقية ،فلفظ « الرسول » فى الآية يعنى الرسول الذى أرسله الملك إلى يوسف عليه السلام.

وليس رسولا من النبيين، وهذا يخرج الآية عن موضوعنا فى هذا الفصل.

ب- وأما الثانية ففى قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾(٢)

فمن المقصود بالرسول فى قول السامرى هذا ؟

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره « يقول موسى عليه السلام للسامرى : ما حملك على ما صنعت (٣)، وما الذى عرض لك حتى فعلت ما فعلت ؟ قال محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان السامرى رجلا من أهل باجر، وكان من قوم يعبدون

---

(١) سورة يوسف الآية رقم « ٥٠ » .

(٢) سورة طه الآية رقم « ٩٥-٩٦ » .

(٣) أى العجل الذى له خوار وسجد له كثير من بنى إسرائيل .

البقر، وكان حب عبادة البقر فى نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بنى إسرائيل، وكان اسمه موسى بن ظفر.

وفى رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان، وقال قتادة كان من قرية سامرًا « قال بصرتُ بما لم يبصروا به » أى رأيتُ جبريل حين جاء لهلاك فرعون « فَقَبَضْتُ قبضة من أثر الرسول » أى من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم »[1] .

وقول أكثر المفسرين من أثر فرس الرسول إذن أى من أثر الفرس الذى كان يركبه جبريل أثناء عبور بنى إسرائيل بقيادة موسى وهارون عليهما السلام البحر، بعد أن إنفلق فكان كل فلق كالجبل العظيم . فأخذ السامرى الرمال أو التراب التى كانت تحت حوافر الفرس واحتفظ به ثم ألقاه على الذهب الذى فى النار فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار، ومن ثم فالرسول فى هذه الآية هو جبريل عليه السلام وليس أيضا رسولا من النبيين أو المرسلين للبشر .

حـ- والثالثة فى قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[2]

ومعلوم من الآية الثانية أن لفظ الرسول الذى عصاه فرعون هو المذكور فى الآية الأولى وهى قوله تعالى ﴿ ..كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا .. ﴾ بالنِكرة ومعلوم من الدين ومن القرآن الكريم بالضرورة أنه موسى عليه السلام ،وإن جاء ذكره هنا غير معرّف بالألف واللام، ومن ثم لما قال تعالى بعدها ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ جاء لفظ الرسول معرفا بألف ولام العهد الذهنى نتيجة ذكره فى الآية الأولى فهذا التعريف للفظ الرسول الذى يصدق على موسى عليه الصلاة والسلام، ليس تعريفا مطلقا لأنه أى

(١) انظر تفسير ابن كثير وغيره لهذه الآية.

(٢) سورة المزمل الآية رقم « ١٥ - ١٦ » .

الرسول الذى أرسله الله إلى فرعون بقوله(كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) مرتبط بذكره مُنكَرًا فى الآية السابقة، ولأنه من المعلوم بالضرورة لكل مسلم بل ولكل كتابى أن الذى أرسله الله تعالى إلى فرعون هو موسى عليه الصلاة والسلام، فقوله « الرسول »فقد جاء معرفا بألف ولام العهد الذهنى أما بالنسبة للمرات الست والخمسين للفظ الرسول معرفا التى تخص سيدنا محمد ﷺ فى القرآن الكريم؛ فكلها مطلقه، وألف ولام التعريف إما استغراقية وإما للعهد الذهنى كما وضحتُ من قبل ببعض الأمثلة.

ومن ثم يمكن القول باطمئنان أنه ليس أحد من الرسل الكرام يصدق عليه لفظ « الرسول » معرفا تعريفا مطلقا بحيث إذا قيل « الرسول » إنصرف دلالة اللفظ عليه لزوماً إلاَّ سيدنا محمد ﷺ وحده .

وهذا يتطابق مع ما توصلنا إليه من أنه هو وحده الرسول فى حين إن كل ما سواه من الرسل رسول . وثم فرق كبير بين دلالة اللفظ مُعَرَّفًا بألف ولام التعريف الاستغراقية التى تفيد أنه ﷺ حاز رسالة الله ﷻ إلى الناس كلها فى حين أن كل رسول غيره ما حاز إلا جزءاً منها أو بعضها

فهذا يتطابق تماما مع قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[1] فقوله ﷻ عن الرسول الذى سيأتى بعدهم أنه مصدق لما معهم دليل على أنه ﷺ قد حاز رسالة الله ﷻ كلها إلى الإنس والجن ومن ثم فهو الرسول المستغرق لرسالة الله ﷻ وما سواه من الرسل رسول فحسب.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ٨١ » .

من أجل ذلك لم يرد لفظ الرسول معرفا بـألف ولام التَّعريـف التـى هى لإستغراق المعنى كله إلا للدلالة عليه هو ﷺ وهـذا مـن توافـق الدلالـة اللغوية مع الدلالة العددية للكلمة فى القرآن الكريم.

وليس هذا مجرد مصادفة فى كتاب الله ﷻ الذى ينطق بالحق ولا ينطق إلا بالحق لغويا وحـسابيا وعـدديا، بالـسورة وبالآيـة وبالكلمـة وبـالحرف، مرسوما ومقروءاً ومَتْلُوًّا ومرتلا ومحفوظـا فى المـصحف وفى الـصدور، فهـو دائم باقى لأنه كلام الدائم الباقى، وهو حق لأنه قول الحق ﷻ، وهو نور لأن مُنَزِّلَه سبحانه نور السماوات والأرض، وهو هـدى لأنـه كتـاب الله الهـادى، وهو الحكمة العالية لأنه من الحكيم المتعال، وهو الصدق كل الصدق، ومـن أصدق من الله قيلاً ؟

وهو الكتاب المهيمن العزيـز لأنـه كـلام المهـيمن العزيـز سـبحانه، وكلامه قوله سبحانه وتعالى، وقوله ﷻ فعل ذاتى له، وصفاته العليا، تجليات أفعاله الذاتية سبحانه، وأسماؤه الحسنى مجالى صفاته العليـا، وصـفاته العليـا كمالات وجلالات وجمالات الذات القدوسية العلية الـسبوحية المحتجبـة فى غيب الغيب وظلمة الظلمة وعماء العماء، محتجبة بـصفاته العليـا، التـى هـى أيضا أى الصفات مستترة بأسمائه الحسنى ،وهذه الأسماء أيضا متوارية خلف آياته الكونية فى الآفاق والأنفس، والمفصحة عنها آياته القولية المنزلة فى كتابه بعلمه فما فَرَّط فيه ﷻ من شئ ،ولم ولا ولن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حاشاه أن يأتيه الباطل، وهو من لدن العزيز الحكـيم العلـيم سـبحانه وتعالى .

ثانيا:الآيات التى جاء فيها لفظ « رسول » منكَّرا وعددها إحدى وعشرون و لم تصدق على رسول الله ﷺ إلاَّ مره واحدة :

رقم مسلسل	الآية أو طرفها	رقمها	اسم السورة
١	﴿ ..أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾	٨٧	البقرة
٢	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ .. ﴾	١٤٤	آل عمران
٣	﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ .. ﴾	١٨٣	آل عمران
٤	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ .. ﴾	٦٤	النساء
٥	﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾	٧٠	المائدة
٦	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	٤٧	يونس
٧	﴿ ..وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾	٣٨	الرعد
٨	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ .. ﴾	٤	إبراهيم
٩	﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	١١	الحجر
١٠	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٢٥	الأنبياء
١١	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٥٢	الحج

١٢	﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾	٣٠	يس
١٣	﴿ ..وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾	٧٨	غافر
١٤	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾	٥٢	الذاريات
١٥	﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴾	٢٦ - ٢٧	الجن
١٦	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	٣٦	النحل
١٧	﴿ ..وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	الإسراء
١٨	﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾	٩٤	الإسراء
١٩	﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾	١٣٤	طه
٢٠	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ مُّرۡتَابٌ ﴾	٣٤	غافر
٢١	﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾	٥١	الشورى

فلفظ « رسول » بالنكرة فى هذه الآيات الإحدى والعشرين جاء على أربعة أنحاء بأربعة دلالات :

الأول : اسم جنس يفيد العموم وعددها عشر آيات منها قوله تعالى على سبيل المثال ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1) وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ .. ﴾(2)

وهذه الآيات جاء فيها لفظ « رسول » إسم جنس يفيد الجمع فيصدق على عموم الرسل بلا استثناء لأى رسول لله ﷺ وعددها إثنتا عشرة آية وبيانها فيما يلى :

١- الآية ٦٤ من سورة النساء
٢- والآية ٣٨ من سورة الرعد
٣- والآية ١١ من سورة الحجر
٤- والآية ٥٢ من سورة الحج
٥- والآية ٧٨ من سورة غافر
٦- والآية ٩٤ من سورة الإسراء
٧- والآية ٤٧ من سورة يونس
٨- والآية ٤ من سورة إبراهيم
٩- والآية ٤٥ من سورة الأنبياء
١٠- والآية ٣٠ من سورة يونس
١١- والآية ٥٢ سورة الذاريات
١٢- والآية ٢٧ من سورة الجن

(1) سورة إبراهيم الآية رقم « ٤ » .
(2) سورة النحل الآية رقم « ٣٦ » .

والثاني : بدلالة جمع الخصوص وليس جمع العموم ،وعددها ثلاث آيات ومنها على سبيل المثال قول الله ﷻ لبني إسرائيل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[1] فقوله تعالى(جاءكم رسول) هو اسم جنس يفيد جمع الخصوص، ومن ثم فهو لجمع الخصوص وليس جمعا يفيد العموم وهذه الآيات الثلاث هي : ٨٧ من سورة البقرة، ١٨٣ من آل عمران، ورقم ٧٠ من المائدة .

والثالث : والنحو الثالث جاء لفظ « رسول » المنكَّر بمعنى رسول من الرسل وهذا يدل على رسول فرد، بمعنى « أيِّ رسول » .

ومثالها قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[2] أي لقالوا لو أرسلت إلينا رسولا من الرسل لأتبعناه ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[3] فقوله تعالى ﴿ .. قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا .. ﴾ أي لن يبعث من بعد يوسف عليه السلام أي رسول أي لن يبعث رسولا واحدا .

وهذه الآيات عددها خمس وهي : رقم « ٤٧ » من سورة يونس، و « ٣٤ » من سورة طه، و « ٣٤ » من سورة غافر، والآية « ٣٦ » من سورة النحل، والآية « ١٥ » من سورة الإسراء

---

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٨٧ » .

(٢) سورة طه الآية رقم « ١٣٤ » .

(٣) سورة غافر الآية رقم « ٣٤ » .

رابعاً : ورد وصف رسول الله ﷺ بأنه « رسول » بصيغة التنكير الأمر الذى يفيد أنه مجرد رسول كغيره من الرسل فى قوله ﷻ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ .. ﴾(١)

وخلاصة هذا البحث الإحصائى هى :

جاء لفظ « رسول » مُنكَّراً فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة على النحو التالى :

أ- إثنى عشرة مرة بصيغة جمع العموم بإعتبارها إسم جنس فتصدق على كل الرسل

ب- ثلاث مرات بصيغة جمع الخصوص وتخص رسل بنى إسرائيل فقط

ج- خمسْ مرات بصيغة الإفراد .

د- وصف سيدنا محمد بأنه رسول كغيره من الرسل الذين جاءوا قبله لا يتعارض مع قولنا بأن رسول الله ﷺ هو الرسول وليس مثله ولا نظيره رسول آخر ،لأنه رسول الرسل بألف ولام التعريف الاستغراقيه لحقيقة الرسالة الربانية لأن رسول الرسل هو سيدنا أحمد، أما سيدنا محمد فهو الرسول حالة كونه بشرا خاضعا لسنن الحياة والموت فى هذه الحياة الدنيا والحقيقة المحمدية التى هى إمتداد كونى للحقيقة الأحمدية تنفى أنه مجرد رسول كسائر الرسل إلاَّ فى طبيعته البشرية فقط وسنعود لتوضيح هذه الحقيقة الخاصة بالمراحل الوجودية للحقيقة المحمدية فى الفصل السادس من هذا الباب بإذن الله تعالى

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ١٤٤ » .

الفصل الثالث

توافق الدلالة اللغوية مع الدلالة العددية للفظ « رسول » معرفا بالإضافة إلى لفظ الجلالة « الله » أى «رسول الله»

٥- جاءت عبارة « رسول الله » فى القرآن الكريم المعرف فيها لفظ رسول بالإضافة إلى لفظ الجلالة « الله » ﷻ بالمعنى المطلق إثنتى عشرة مرة وجميع هذه المرات تخص سيدنا محمد ﷺ وحده وهى فيما يلى :

الأولى : فى قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

فهو ﷺ رسول الله إلى البشرية جميعا من آدم إلى آخر من يولد من الناس وهذا يتوافق مع ذكره ﷺ فى القرآن الكريم مرات عديده بألف ولام التعريف الإستغراقية . ومن ثم فكل مرة يرد فيها ذكره ﷺ بلقب رسول الله، أو بهذا الوصف هو بهذه الدلالة الإستغراقية، كما ذكرتُ هذا من قبل حتى يصح القول بأنه ليس لأحد من الرسل غيره هذا الوصف أو هذا اللقب بهذه الدلالة الاستغراقية فليس ثم فى العالمين من يقال له رسول الله سواه بهذه الدلالة المطلقة ﷺ .

الثانية : فى قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١)

فلنتدبر قوله ﷻ عنه ﷺ فى أول الآية ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ .. ﴾ ثم قوله فى آخرها ﴿ ..وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ .. ﴾ ﷺ،

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٦١ » .

والنبى بالف ولام التعريف المُستَغرقة للنبوة وآخر الآية يدل على أن رسول الله هو النبى والنبى هو رسول الله ﷺ .

الثالثة : فى قوله تعالى ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ (١) وهو فى هذا الموضع سيدنا محمد ﷺ بإجماع المفسرين رحمهم الله

الرابعة : فى قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) وهو سيدنا محمد ﷺ باتفاق واجماع المفسرين رحمهم الله، وهو أسوة حسنة لنا نحن الأمة المحمدية ،بل أسوة حسنة للثقلين، والمرسلين جميعا باعتبار أنهم أمته الأحمدية فهو ﷺ الأسوة الحسنة للإنس والجنس جميعا .

الخامسة : فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣) وهذه الآية تثبت أن رسول الله وخاتم النبيين هو وحده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ﷺ ، فتفرده بأنه خاتم النبيِّين التى لا يمار فيها أحد يتضمن إضافة صفة إليه ﷺ وهى تفرُّدُه ﷺ بأنه وحده رسول الله ﷺ.

السادسة : فى قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٨١ » .

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم « ٢١ » .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم « ٤٠ » .

أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾(١)

وفى هذه الآية يذكر الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ بلقب النبى بألف ولام التعريف الإستغراقية أيضا مرتين وهذا ليس لأحد سواه ﷺ، كما سنرى بعد، ثم جاء ذكره فى آخر الآية بلقب « رسول الله » ﷺ وآله، فهو النبى وهو الرسول وهو رسول الله وكلها بالدلالة الاستغراقية المطلقة .

السابعة : فى قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢)

وفى هذا الموضع شهادة ربانية بأن محمداً ﷺ رسول الله، ولم يرد فى القرآن الكريم شهادة بالاسم مثلها لأحد من الرسل إلاَّ هو ﷺ .

الثامنة : قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) وخفض الصوت عنده ﷺ دليل التقوى والإيمان ورفع الصوت عنده عمدا جراءة عليه مُحبط للعمل ،وهذه ليست لأحد من الرسل غيره فهى له وحده ﷺ

التاسعة : فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٥٣ » .

(٢) سورة الفتح الآية رقم « ٢٩ » .

(٣) سورة الحجرات الآية رقم « ٣ » .

(٤) سورة الحجرات الآية رقم « ٧ » .

وهو فينا نورٌ وهداية، بـه أحببنـا الإيـمان وكَرِهنـا الكفـر والفسـوق والعصيان، كما علمنا هذا تفصيلا من الجزء الثانى، وهـذا الحـال الروحـانى النورانى فى المؤمنين هو لرسول الله وحده ولا يشاركه فيه غيره من الرسل ﷺ

العاشرة : فى قوله تعـالى ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾(١)

الحاديـة عـشرة : فى قولـه تعـالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢)

الثانيـة عـشرة : فى قولـه تعـالى ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(٣)

هذه المرات الإثنى عشرة التى ورد فيها قوله تعالى«رسول الله» والتى جاء فيها لفظ « رسول » مُعَرَّفا بالإضافة إلى لفظ الجلالة « الله » هـى جميعهـا لسيدنا محمد ﷺ، بل إن الآية السابعة ورد فيها قوله تعالى « محمد رسـول الله » هكذا تتضمن شهادة من الله ﷻ بأنه رسـوله سـبحانه وتعـالى بـدون تحديـد لزمان أو لمكان، وبدون قصر رسالته ﷺ على أمة من الأمم دون سـائر الأمـم ،وهذا ليس لرسول من الرسل سوى سيدنا محمد ﷺ، وهذا يتوافق ويتطـابق تماما مع آية الميثاق المُثْبِتة أن سيدنا ومولانـا محمـد ﷺ رسـول الله إلى الرسـل، ومن ثم يتطابق أيـضا مـع تفـرده ﷺ وحـده باسـم « الرسـول » بـألف ولام إستغراق الرسالة الربانية للناس أو بالأحرى للإنس والجن .

(١) سورة المنافقون الآية رقم « ١ » .

(٢) سورة المنافقون الآية رقم « ٥ » .

(٣) سورة المنافقون الآية رقم « ٧ » .

الآيات التى فيها لفظ « رسول » معرفة بالإضافة إلى لفظ الجلالة « الله » أى عبارة « رسول الله » وتصدق على غيره ﷺ من الرسل ولكن بالدلالة المقيدة وبالمعنى المحدود :

وجاءت فى كتاب الله ﷻ خمس مرات فى عيسى وموسى وصالح عليهم الصلاة والسلام وهى :

الآية الأولى : هى قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (1) فمن سنن الله تعالى فى النبوة والرسالة أنه ﷻ يأذن يقتل النبيين ولا يأذن يقتل الرسل، والضمير « هم » فى قوله تعالى (وقولهم) يعود على بنى إسرائيل المبعوث عيسى عليه السلام إليهم فهو رسول الله تعالى إلى بنى إسرائيل ولكن ليس بالمعنى المطلق ،وإنما ناسب وصفه بأن رسول الله إليهم ليبطل زعمهم بقتله.

الآية الثانية : وهى قَوْله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾(2) قوله تعالى عن عيسى عليه السلام رسول الله ليس لقبا مطلقا ،إنما هو وصف له لأنه مرسل إلى قوم محددين فى زمن محدد ومكان محدد وهم بنو إسرائيل فهو ليس بالدلالة المطلقة التى لسيدنا محمد ﷺ وهذا واضح تماما من ألفاظ وسياق الآيتين السالفتين، ،والآية التالية التى ستنص على هذا صراحة

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٥٧ - ١٥٨ » .

(٢) سورة النساء الآية رقم « ١٧١ » .

الآية الثالثة : وهـي قولـه ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]

فقول عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل أنه رسول الله إليهم فقط يدل دلالـة قطعية على أنه رسول الله لهم فحسب ،ومن ثم فهو رسول الله نيابة وبالوكالة عن رسول الله المطلق المرسل لكل الناس ،ولكل الرسل والنَّبيِّين

الآية الرَّابعة : وهـي قولـه ﷻ فى موسـى عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2]

وهذه أيضا تثبت أن موسـى عليه السلام رسـول الله ولكـن إلى قومـه بنـى إسرائيل، كما أنه أُرسل إلى فرعون ولأهل مصر من قبل لـيس أصـالة إلـيهم، ولكن ليطلب من فرعون أن يرسل معه بنـى إسرائيـل ،أى يـسمح لـه ولهـم بالهجرة من مصر، وهذا يدل على محدودية رسالة موسى كمحدودية رسـالة عيسى عليهما الصلاة والسلام، ومن ثم فهما رسولان لله بالنيابـة أو بالوكالـة عن رسول الله لكافة الناس والرسل والأنبياء .

الآية الخامسة : وهى قوله ﷻ عن النبى والرسـول صـالح عليه السلام أنـه رسول الله تعالى إلى قومه ثمود ،وما كان مـنهم نحـوه ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾[3] وكذلك قوله تعـالى فى نبـى الله صـالح المرسـل إلى قومـه ثمـود ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ .. ﴾ أى المرسـل إلـيهم

(١) سورة الصف الآية رقم « ٦ » .

(٢) سورة الصف الآية رقم « ٥ » .

(٣) سورة الشمس الآية رقم « ١٠ – ١٥ » .

فصالح وكل الرسل الذين بعثهم الله ﷻ من آدم إلى عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام مبعوثون إلى أقوامهم فقط فى مكان محدود وزمان محدد فقوله تعالى عن صالح ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ .. ﴾ أى رسول الله إلى ثمود وهود إلى عاد وموسى إلى بنى إسرائيل .... وهكذا، أما سيدنا محمد ﷺ فهو رسول الله اسماً ولقباً ووصفاً مطلقا، بلا قيد من زمان أو مكان أو أقوام، بل هو رسول الله إلى الرسل فهم نُوَّابه إلى أقوامهم وأممهم ، قبل مجيئه إلى الحياة الدنيا فقط.

الفصل الرابع

عبارتا " رسولنا " و " رسوله " وردت كلها للدلالة على سيدنا محمد ﷺ فقط .

٦- عبارة « رسولنا » معرَّفا بالإضافة وبالنسبة لضمير المتكلم سبحانه بصيغة الجمع تعظيما لله ﷻ :

جاءت فى كتاب الله عبارة « رسولنا » وهى لفظ رسول معرفا بالإضافة لله ﷻ المتكلم بصيغة الجمع تعظيما لله فى أربعة مواضع من كتابه ﷻ، وكلها لسيدنا محمد ﷺ وحده لأن هذه نسبة تشريف :

الآية الأولى : فى قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾(١)

فقوله تعالى رسولنا بدلالة « رسول الله » أى الرسول الذى كنتم تنتظروه وتعرفوه من كتابكم وأكد هذا المعنى لهم قوله تعالى تعقيبا وتأكيداً لهذا المعنى قوله تعالى ﴿ ..قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾

الآية الثانية : فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٢) يقول الله ﷻ لأهل الكتاب لقد مضت فترة من الزمان منذ عيسى لم يأتكم بشير ولا نذير وهذا هو رسولنا أى رسول الله الذى تنتظرونه بشيرا ونذيرا لكم .

الآية الثالثة : فى قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٣) تدبر قوله تعالى :

---

(١) سورة المائدة الآية رقم « ١٥ » .

(٢) سورة المائدة الآية رقم « ١٩ » .

(٣) سورة المائدة الآية رقم « ٩٢ » .

﴿ ..وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ .. ﴾ بالف ولام التعريف الاستغراقية التى له وحده دون سائر الرسل ثم قوله تعالى فى آخر الآية ﴿ ..أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ لنعلم أن « الرسول » و « رسولنا » ورسول الله أسماء له وحده ﷺ بالمعنى المطلق للرسالة الإلهية الربانية إلى الإنس والجن .

الآية الرابعة : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1] وهذه تأكيد مثل سابقتها لما تقرر فى صفته ﷺ

فلأن لفظ « رسولنا » فى هذه الآيات الأربع تنسب لله سبحانه وتعالى المتكلم بالقرآن بنون الجمع تعظيما لله ﷻ فإنه يكون نسبة تشريف له ﷺ، ومن ثم لا نجدها منسوبة لرسول آخر من الرسل حيث كلها لرسول الله ﷺ وآله، ومن ثمَّ فهى تتوافق وتتطابق مع آية الميثاق ومع وصفه بالرسالة بالدلالة المطلقة أيضا، وليس بالدلالة المقيدة الموصوف بها كل مَنْ سواه ﷺ من الرسل صلى الله عليهم وسلم جميعا .

٧- عبارة « رسوله » وهى لفظ « رسول » مُعَرّفاً بالإضافة إلى ضمير الغائب العائد عليه جل جلاله:

وردت عبارة « الله ورسوله » فى كتاب الله ﷻ أربعا وثمانين مرة ،كلها للدلالة على سيدنا ومولانا محمد ﷺ بلا إستثناء ،وبيان هذا انه ﷺ هو مجلى الذات العلية القدوسية المحتجبة فى عماء العماء وظلمة الظلمة وغيب الغيب وليس للغائب المحتجب من اسم سوى ضمير الغائب المفرد"هو" أما لفظ الجلالة" الله" فهو اسم للذات المتجلية بصفاتها الجلالية والجمالية والمحتجبة بها،ومن ثم لا نجد اسما يتقدم على لفظ الجلالة "الله" إلا "هو" يكون «مبتدأ» ولفظ الجلالة خبرا ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ

(١) سورة التغابن الآية رقم « ١٢ » .

ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر ٢٢: ٢٤.

وعلى هذا فإن عبارة "رسوله" لم تطلق إلا عليه ﷺ

فكلمة « رسوله » فى جميع هذه المواضع لا تصدق إلا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله وحده. وهذا تطابق عددى مع حقيقة تفرده بالرسالة من الحق سبحانه على الخلق ونأخذ منها بعض الآيات إذ يضيق المجال عن ذكرها جميعا، ولقد تَدَبَّرتُها كلها بعون الله تعالى ومدده، فوجدت أنها تنطق ببعض حقائق التوحيد وبعض خصائص الحقيقة المحمدية وهى فيما يلى :

أولا : أن طاعة الله ﷻ فى طاعة رسوله، وطاعة رسول الله ﷺ هى طاعة الله ﷻ، وهذه الخاصية من خصائص الحقيقة المحمدية ليست لغيره من الرسل، حتى ولا أولى العزم منهم قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(1) وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾(2) وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(3) وقال تعالى أيضا ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (4) فطاعة رسول الله ﷺ طاعة لله ﷻ.

ثانياً : لا يدخل الجنة إلا من أطاع الله ورسوله ﷺ قال تعالى

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٧٠ - ٧١ ».

(٢) سورة الأنفال الآية رقم « ٢١ ».

(٣) سورة الأنفال الآية رقم « ٤٦ ».

(٤) سورة النور الآية رقم « ٥٢ ».

﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] وقال تعالى أيضا ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2]

ثالثا : أن من يعصى رسول الله فإنما هو يعصى الله ومن يعص الله يكون أيضا بالضرورة عاصيا لرسوله ﷺ لأن أمر الله تعالى ونهيه لم يأتنا إلّا عن طريق رسوله ﷺ . قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3] وقال تعالى أيضا ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[4] وهذا يدل على أن كل ما أمر به رسول الله وكل ما نهى عنه وكل ما نطق به من حكمة إنما هو قول الله ﷻ أمراً ونهيًا.

والمعنى أن الذى يعصى رسول الله ﷺ يكون قد عصى الله سبحانه وتعالى ومن ثم يدخله الله تعالى نارا خالدا فيها، فكما أن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وآله لا تفترقان كذلك معصية الله تعالى لا تفترق عن معصية رسوله ﷺ ، فمعصية رسول الله ﷺ هى معصية لله سبحانه وتعالى

رابعاً : الذى يشاقق رسول الله ﷺ إنما يشاقق الله ﷻ والذى يحارب رسول الله ﷺ فهو يحارب الله ﷻ، ومن يحادد رسول الله ﷺ فهو يحادِدْ الله ﷻ:

قال تعالى ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٣ » .

(٢) سورة الفتح الآية رقم « ١٧ » .

(٣) سورة النساء الآية رقم « ١٤ » .

(٤) سورة الأحزاب الآية رقم « ٣٦ » .

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١)
فالذى يشاقق رسول الله ﷺ يكفر ويعاقبه الله تعالى أشد العقاب ،لأنه عندما يحارب أو يشاقق الرسول فإنه إنما يحارب ويشاقق الله ﷻ

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) ،فالخزى فى الدنيا بحدِّ الحرابة وفى الآخرة بالعذاب الشديد لمحاربتهم رسول الله ﷺ لان هذا محاربة لله تعالى أيضاً فمحاربة دولة الخلافة القائمة فى الأرض لهدمها محاربة لله تعالى ورسوله ﷺ.

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٣)،فما حارب أحدٌ أو جماعة الرسول ﷺ إلا كانت تلك الحرب حربا لله ﷻ ،ولم يكن هذا الرسول من السابقين.

فدلالة الآيتيْن جزما هى أن من يحارب رسول الله ﷺ وآله يُحارب الله ﷻ بنفس الحرب، حيث لم ترد نسبة فعل الحرب للمحارب لرسول الله وحده ، كما لم ترد تسبتها إلى الله ﷻ من غيره نسبتها لرسوله ﷺ وآله. ومثلها قوله تعالى فيمن يحادد الله ورسوله، وحيث أنه من المعلوم أن الذى يحاددْ إنما يحاددْ رسول الله ﷺ كما أن المشاقق يشاقق رسول الله ﷻ وكذلك المحارب له ﷺ فإن الآيات تنزل مُثْبتةً أن هذه الأفعَال التى كانت من المنافقين والكفار تجاه رسول الله ﷺ هى فى نفس الوقت تجاه الله ﷻ وفى هذه الحقيقة،قال تعالى

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ١٢ - ١٤ » .
(٢) سورة المائدة الآية رقم « ٣٣ » .
(٣) سورة التوبة الآية رقم « ١٠٧ » .

أيضا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١) وقال سبحانه وتعالى أيضا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾(٢) وقال تعالى أيضا ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾(٤)

خامساً : الهجرة إلى رسول الله ﷺ هي هجرة أيضا إلى الله ﷻ :

قال تعالى ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٥)

فالهجرة إذاً ليست الانتقال من مكة إلى المدينة فحسب، ولكنها النيّة الخالصة لترك كل ما لا يحبه الله ورسوله ﷺ إلى ما يحبه وما يرضيه ومن ثمّ فهي جهاد ونية لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فالمهاجر لرسول الله ﷺ مهاجر لله تعالى .

---

(١) سورة المجادلة الآية رقم « ٥ » .

(٢) سورة المجادلة الآية رقم « ٢٠ » .

(٣) سورة المجادلة الآية رقم « ٢٢ » .

(٤) سورة التوبة الآية رقم « ٦٣ » .

(٥) سورة النساء الآية رقم « ١٠٠ » .

سادساً : الاستهزاء برسول الله ﷺ استهزاء بالله ﷻ : قال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾(١)

ومن ثم فالاستهزاء به كفر بواح أو شهادة على المستهزئين بالنفاق لأن الاستهزاء من أشد الأذى، فهو أذى للرسول ﷺ وآله، ومن ثم فجزاء المستهزئ به هو جزاء الكافرين لأنه استهزاء بالله تعالى.

سابعاً : أذى رسول الله ﷺ أذى لله تعالى وكفر بواح : قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢)

فلنتدبر قوله تعالى عن أذى رسول الله ﷺ أنه أذى لله ﷻ فى نفس الوقت وبنفس الأذى، وما هو جزاء الذين يؤذون رسول الله ﷺ ؟

هو قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا .. ﴾ فهذا اللعن فى الدنيا والآخرة هو جزاء الكافرين فإيذاء رسول الله ﷺ كفر مخرج من الملة .

أما إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ذنب بأن نسبوا لهم ما لم يرتكبوا، فقد ارتكبوا إثما مبينا واحتملوا بهتانا عظيما ،أى أن إيذاءهم للمؤمنين والمؤمنات من الكبائر السبع الكبرى ،وليس كفراً بواحا موجباً اللعنة والعذاب الأليم مثل ما هو جزاء المؤذى لرسول الله ﷺ لأن المؤذى له هو مؤذى لله ﷻ ،وجزاؤه الخلود فى النار.

---

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٦٤ – ٦٥ » .

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم « ٥٧ – ٥٨ » .

ولو تَدَبَّرنَا أيضا جزاء إيذاء الرسل حتى ولو كانوا الأربعة أولى العزم لوجدنا أن هذا ليس إيذاء لله ﷻ وليس كفرا جزاؤه اللعنة فى الدنيا والآخرة، كما هو جزاء إيذاء رسول الله ﷺ وآله، فما هو جزاء الذين آذوْا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو كليم الله ؟

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾(1)

قال ابن كثير فى تفسيرها : « قال البخارى عند تفسير هذه الآية حديثا بسنده إلى أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلا حَيِيًّا سِتِّيراً لا يُرى من جلده شئ إستحياءً منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا : ما يتستَّر هذا التَّسَتُّر إلاَّ من عيبٍ فى جلده : إما برص وإما إدرة وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يُبَرِّئه مِمَّا قالوا لموسى ﷺ، فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم إغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثيابه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقُول : ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله ﷻ، وأبرأه مما يقولون . وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضَرْباً بعصاه، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضرب، ثلاثا أو أربعا أو خمسا قال : فذلك قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٩ ، قال ابن كثير رحمها الله تعقيبا بعد أن أورد حديث الإمام البخارى رحمها الله « وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من إفراد البخارى دون مسلم »(2)

فلنتدبَّر كيف أن الله ﷻ بَرَّأَ موسى مما أذاه به قَومه بأن بَـيَّن الله تعالى لهم كذبهم، بينما نزل القرآن الكريم بالحكم على كل من آذى رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٦٩ » .

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله مجلد صـــ

باللعنة و بالعذاب الشديد فى الدنيا والآخرة وجعل أذاه أذى لله ﷻ أما فى الآخرة فجزاؤه جزاء الكافرين وأما فى الدنيا فجزاؤه القتل وهذا مما اتفق عليه الجمهور فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[2] أقول : إن مما اتفق المفسرون والعلماء عليه هو أن جزاء شاتم الرسول السيف المسلول أى قطع الرقبة وقد أمر رسول الله ﷺ بأشخاص فى مكة آذوْه بالهجاء وبالإفتراء عليه بأن يُقتّلوا ولو تعلقوا بأستار الكعبة .

لأن شتم رسول الله ﷺ هو كفر بواح وعدوان وحرب لله ورسوله ﷺ وآله، فى حين أن الله ﷻ بَرّأ موسى عليه الصلاة والسلام أمام الذين آذوه، ولم يرد ما يدل على أنهم كفروا أو إنهم آذوْا الله ﷻ بإيذائهم موسى عليه الصلاة والسلام، وهذا يدل على أن سيدنا محمد ﷺ وآله ليس رسولا كسائر الرسل بل ليس له مثيل ولا نظير ولا ندُّ فى الرسل حتى ولا من الأربعة أولى العزم من الرسل : نُوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى سيدنا محمد الصلاة والسلام

ثامناً : لا يصح الإيمان بالله ﷻ واحداً لا شريك له إلا بالإيمان برسول الله ﷺ، وهذا بالنسبة لإيمان الأولين والآخرين سواء بسواء :

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٦١ »

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم « ٥٧ » .

وَرَسُولِهِۦٓۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

فقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ .. ﴾ قصر للإيمان على الذين يؤمنون بالله ورسوله ومن ثم فالإيمان بالله ﷻ والكفر برسوله ﷺ إيمان باطل غير صحيح وهو إيمان على سبيل الشرك من النوع الذى قال عنه الله ﷻ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2]

وهذا يوضح لنا عمق معنى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3]

إذ كيف يأمرهم بالإيمان بعد أن وصفهم به وناداهم بقوله تعالى لهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ .. ﴾ ؟ .

الإجابة هى أن قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ .. ﴾ للأمة المحمدية إلى آخر الدنيا . أما أهل الكتاب ومن قبلهم من الأمم السابقة على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام حتى قوم نوح وإدريس عليهما السلام فالنداء إليهم: (يأيها الذين آمنوا بنوح أو بهود أو بصالح أو بشعيب وهكذا حتى موسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بالنبى الأُمى الذى تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة و الإنجيل والكتب السابقة. . فيا من آمنتم بالله من قبل نزول القرآن سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم صَحِّحوا إيمانكم بالله تعالى بأن تؤمنوا برسوله ﷺ مع إيمانكم بالرسول المرسل إليكم نوح فمن بعده حتى عيسى عليهم الصلاة والسلام، لأنه لا يوجد فى الأرض معرفة

(١) سورة النور الآية رقم « ٦٢ » .

(٢) سورة يوسف الآية رقم « ١٠٦ » .

(٣) سورة النساء الآية رقم « ١٣٦ » .

صحيحة بالله ﷻ ولا يُعرف فيها توحيدٌ خالص له سبحانه إلاَّ الذى جاء به رسوله ﷺ ،هذا المعنى لنا نحن الأمة المحمدية ولأهل الكتاب المعاصرين

ومن ثم أمر المؤمنين بعد الأمر بالإيمان بالله ورسوله بالإيمان بالقرآن والإيمان بكل كتاب نزل من قبل وبكل أركان الإيمان الستة الواردة فى القرآن والسنة، وهذا يتوافق مع قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦ ، فمن يؤمن بالله من غير الإيمان برسوله، فليس مؤمنا به سبحانه، إلا وهو مشرك، سواء من الذين عاصروا النبى ﷺ أو الذين جاءوا بعده أو الذين خُلقوا قبله منذ آدم ﵇ وهذا يتوافق ويتطابق : بحق مع ما دلت عليه آية الميثاق التى أخذ الله تعالى حسب تفسيرها العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين بالإيمان برسول الله ﷺ ونصْرته عند أقوامهم وأممهم أى ذكره عندهم ليؤمنوا به رسولاً للرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم رسولاً لكل البشر وخاتما لكل الرسل ولكل النَّبيِّين . ولهذا فإن الإيمان الحق هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ، ولا يصح إيمان القائل : آمنتُ بالله ولم يؤمن برسوله .

ونأخذ مثالا من الأمم السابقة ، فبنى إسرائيل وقد أوجب كتابهم ورسولهم موسى عليهم الإيمان بسيدنا محمد رسول الله ﷺ فقال تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] فقوله تعالى ﴿ ...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا ... ﴾ لمن؟ الإجابة ﴿ ...لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾ ومن هم الذين يصدق عليهم هذا الوصف ؟ الإجابة هى :﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

فتدبر قوله تعالى لموسى عليه السلام والسبعين رجلا المختارين من قومه ﴿ ..ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ .. ﴾ منكم يا بنى إسرائيل ﴿ ..وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فمن هم هؤلاء ؟ الإجابة ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ .. ﴾ الآية إلى قوله تعالى(أولئك هم المفلحون) أى الذين آمنوا به سواء من بنى إسرائيل قبل نزول القرآن أو بعده أو من غيرهم من الأقوام الآخرين فلا فلاح إلا بالإيمان برسول الله والإيمان بنوره وإتباعه وينصره وبتوقيره ،فقوله الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ،دليل على أن الموحدين من اليهود ومن النصارى كانوا يؤمنون به وينصرونه ويعززونه ويوقرونه.

ومن ثم قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ

(١) سورة الأعراف الآية رقم « ١٥٤ - ١٥٧ » .

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١)

فهو مرسل للمعاصرين له ومن بعدهم، كما هو مرسل للأولين منذ آدم عليه السلام من خلال كل الأنبياء وجميع المرسلين مُبَلِّغين عنه ونُوّاباً له بمقتضى آية « ... لتؤمنن به ولتنصرنَّه » وإذا قال قائل: إن الله تعالى قد أمره فى هذه الآية أن يخبر الناس أنه رسول الله إليهم جميعا والناس الذين وصلهم أو يمكن أن يصلهم هذا النداء إنما هم المعاصرون له والذين من بعدهم، أما الذين من قبلهم فكيف يؤمر ﷺ أن يقول لهم قولا، وقد جاءوا وماتوا قبل بعثه ؟ الإجابة فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) قال إبن كثير رحمه الله تعالى « أى إلى جميع الخلائق من المكلفين »(٣) ويؤكد شمول من أُرسل إليهم ﷺ للأولين والآخرين فضلا عمن عاصروه قول الله ﷻ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٤) فليس بعد قوله تعالى عن رسوله ﷺ أنه نذير للعالمين مندوحة لمعترض على شمول رسالته ﷺ الإنس والجن جميعا من الأولين والاخرين أى منذ بدء الدنيا إلى نهايتها .

فهو رسول الله ﷺ وآله إلى من جاءوا إلى الحياة الدنيا قبل مجيئه إليها أحمديا باعتبار أنه رسول الله إلى الرسل والنبيِّين ، وهم مرسلون لأقوامهم قبله نوّاباً له، ثم هو رسول الله ﷺ وآله محمديًا أيضا منذ بعثه إلى يوم القيامة لكل المكلفين من الإنسَ والجن فقوله تعالى ﴿ ..إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ .. ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم « ١٥٨ » .

(٢) سورة سبأ الآية رقم « ٢٨ » .

(٣) تفسير ابن كثير / المجلد الثالث صـ ٥٣٨ نشر دار الفكر بيروت .

(٤) سورة الفرقان الآية رقم « ١ » .

بمقتضى بعثه أحمديا وبعثه ﷺ محمديا، يؤكد هذا الحديث الذى أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ وسلم قال « ما من أحد يسمع بى من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى إلا دخل النار »(١)

وهذه النتيجة تقطع بأنه لا يصح إيمان مؤمن يزعم أنه يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله ﷺ .

ويؤكد هذا أيضاً قوله ﷺ لسيدنا على بن أبى طالب ﷺ وكرم الله وجهه « يا على : ؛ فى العرش مكتوب « أنا الله محمد رسولى » »(٢)

فكونه مكتوب على العرش أنه رسول الله دليل على أنه مرسل للخلق جميعا لأن العرش فوق الخلق جميعا .

بل يقطع بصحة هذه العقيدة الهامة والحقيقة المحمدية الواضحة حديث أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ وآله « فُضِّلتُ على الأنبياء بستةٍ : أعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحِلَّت لى الغنائم، وجُعلت لِيَ الأرض طهورا ومسجدا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بى النَّبِيُّون »(٣)

فتدبر قوله ﷺ وآله « وأُرسلتُ إلى الخلق كافة » لنفهم به قول الله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٤)

لنعلم أنه مرسل بالرحمة لكل الخلق إرسالاً كونيا، ومن ذلك أيضا أنه مرسل بالهدَى الربانى للإنس والجن الكائنيْن المكلفيْن إرسالا تبليغيا

---

(١) كنز العمال المجلد رقم « ١١ » صـ ٤٥٣ وعزاه للحاكم .
(٢) كنز العمال المجلد رقم « ١١ » صـ ٤٥٣ وعزاه لأبى نعيم .
(٣) انظر كنز العمال المجلد « ١١ » صـ ٤١٢ حديث رقم « ٣١٩٣٢ » وعزاه لمسلم والترمذى عن أبى هريرة وأخرجه مسلم / كتاب المساجد رقم « ٥٢٣ ».
(٤) سورة الأنبياء الآية رقم « ١٠٧ » .

تعليميا بالقول والفعل وأسوة حسنة ﷺ وآله للمؤمنين منهما ومن ثم قال ﷺ « أنه ليس شئ بين السماء والأرض إلاّ يعلم أنى رسول الله إلاّ عاصى الجن والإنس »(١)

وفى رواية للطبرانى عن يعلى بن مرة أن النبى ﷺ قال « ما من شئ إلا ويعلم أنى رسول الله إلاّ كفرة الجن والإنس »(٢) فقوله هنا « ما من شئ » كل مخلوق ولم يستثن إلا كفرة الجن والإنس وما هذا إلاّ لأنه مرسل للخلق كافة

تاسعاً : موالاة رسول الله وآله موالاة لله ﷻ : قال الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ (٣)

الولاء هو الانتساب والإنتماء والحب والنصرة و الإعتزاز بالذين ينتسب وينتمى إليهم باعتبارهم قبيلته أو قومه أو شعبه أو أمته .

وفى قضية العقيدة والإيمان فى الإسلام يكون الولاء لحزب الله ﷻ، وحزب الله هو الله ﷻ ورسوله والمؤمنون، والمؤمنون هم أمة الإسلام، والمسلم هو الذى يشهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بقلبه ولسانه فهو من أمة الإسلام حيثما يكون فى أى موضع من الأرض، فمن وَالَىَ المؤمنين جميعا فقد وَالَىَ رسول الله ﷺ وآله، ومن والى رسول الله ﷺ وآله، فقد وَاِلَىَ الله ﷻ، ومن ثم فإنه – أى الذى يوالى الله ورسوله والمؤمنين – يكون من حزب الله .

وتعريف المنتمى لحزب الله هو الناطق بالشهادتين من قلبه فيكون لوجود الشهادتيْن فى قلبه من المقيمين الصلاة المؤدين للزكاة وبقية الفرائض والواجبات.

(١) كنز العمال المجلد (١١)حديث رقم(٣١٩٥٨)ونسبه لأحمد عن جابر والدارمى .

(٢) كنز العمال / المجلد « ١١ » حديث « ٣١٩٢٣ » صـ٤١١

(٣) سورة المائدة الآية رقم « ٥٥ – ٥٦ » .

وحيث أن النصرة من الموالاة، فإن من ينتصر للمؤمنين ويجاهد لنصرتهم ضد أعدائهم، فهو ينتصر ويجاهد لنصرة رسول الله ﷺ وآله، ومن يجاهد لنصرة رسول الله فهو مجاهد لنصرة الله ﷻ، قال تعالى عن المهاجرين وهم الطبقة الأولى من طبقات الإيمان والإسلام ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(١) فمن هاجر لنصرة رسول الله ﷺ وجاهد معه فقد والَى الله ﷻ وجاهد لنصْرته سبحانه وتعالى، ومن ثم فقد والَى الله ورسوله والمؤمنين .

عاشرا : البراء من المشركين وممَّن يحادد أو يشاقق أو يحارب أو يؤذى أو يستهزئ بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وبالمؤمنين :

قال الله ﷻ ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢)

تبرؤ الله تعالى من المشركين هو تبرؤ رسول الله ﷺ منهم، وهذا التبرؤ تمثل فى قوله تعالى ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)

وأرسل رسول الله ﷺ الإمام على بن أبى طالب إلى مكة فى موسم الحج الذى بعث رسول الله أبا بكر ﷺ أميراً للحج بالمسلمين فى العام السابق

---

(١) سورة الحشر الآية رقم « ٨ » .

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٣ » .

(٣) سورة التوبة الآية رقم « ٥ » .

على حجة الوداع، أرسل الإمام على ﷺ لكى يعلن فى الناس فى مِنَى يوم النحر أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

والذى يستحق التنويه به هو أن الله ﷻ لما نزلت الآية تخبر بأنه ﷻ برئ من المشركين ورسوله ﷺ، فرسوله برئ منهم بنفس براءة الله ﷻ

ومن ثم فإن المؤمن الصحيح الإيمان والمخلص يستحيل أن يواد من حادَّ الله ورسوله أى من يحارب الله ورسوله أو من يؤذى الله ﷻ ورسوله ﷺ وآله، قال تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(1) وقوله تعالى ﴿.. وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ..﴾ أى أن المؤمن المخلص يقاطع من يحادد الله ورسوله ﷺ وآله ،ولا يجعل له فى قلبه رضا ولاوُدًّا ولو كان بالنسبة له الأب أو الأخ أو الابن أو العشيرة ويحارب هؤلاء إذا حاربوا الله ورسوله ﷺ وآله .

حادي عشر : إغناء الله ﷻ ورسوله ﷺ وآله من فضل الله ﷻ وإيتاء الله ورسوله من فضل الله من يشاء الله ﷻ:

قال تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(2)

---

(١) سورة المجادلة الآية رقم « ٢٢ » .

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٧٤ » .

فتدبر قول الله ﷻ والفضل فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء ويغنى به من يشاء من عباده، إن الله ﷻ نسب فى هذه الآية الإغناء أى العطاء الذى أغنى به بعض الصحابة ،نَسَبَهُ لرسوله ﷺ كما نسبه لنفسه سبحانه، ومع هذا فقد نسب الفضل له وحده سبحانه ،لأنه هو الخالق وحده ،فقد نسب لرسوله ﷺ الإغناء والإيتاء معه لكل الخلق ولم يَنْسِب الله تعالى هذا لغيره ﷺ أى لأحدٍ من الخلق، الأمر الذى يدل على أن كل فضل وعطاء وخير ونعمة لأى مخلوق، هو من الله ﷻ للمخلوق خلقا وعطاء وفضلا وعن طريق رسوله ﷺ قسمةً، قال ﷺ « إنما أنا قاسم والله يعطى » (١) يؤيد هذا المعنى قوله تعالى عن بعض المنافقين ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾(٢)

فالعطاء من الله ﷻ لرسوله ﷺ وحده إبتداء ، ثم من رسوله ﷺ قسمة للخلق، وما يعطى رسول الله عطاءً إلا وهو عطاء من الله ﷻ، لأنه عطاء من فضل الله ﷻ ، ولا يعطى رسول الله ﷺ إلاَّ لمن يشاء الله تعالى، أن يكون له العطاء . ولو تدبرنا نصيحة ونـدب الآية المسلمين أن يقولوا « حسبنا الله سيؤتينا اللهُ من فضله ورسولهُ » وفيه الإيتاء لهم بفعل واحد هو من الله تعالى خلقا وفضلا وعطاء وَمنًّا ومن رسولهﷺ قسمة وتوزيعا ، لو تدبرنا هذا لعلمنا أن الإيتاء فعل واحد منسوب لله ﷻ ولرسوله، وهذا متكرر فى كتاب الله ﷻ، كما عرضنا من قبل الفعل الواحد مفعول لله ﷻ ولرسوله ﷺ .

فبعد أن سخر بعض المنافقين فى المدينة من النبى ﷺ بقولهم « هو أُذُنْ» وحلف بعضهم بالله تعالى لإرضاء الصحابة أنزل الله ﷻ قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخارى برقم(٦٩) ك.العلم ،باب من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين.

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٥٨ - ٥٩ » .

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] فقوله سبحانه وتعالى ﴿ ..أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ .. ﴾ وليس يرضُوهما يستحق التدبر والتوقف عنده للتأمل طويلا، إذ لم يقل الله ﷻ يرضوهما أو إذ لم يقل سبحانه « أحق أن يرضوا الله ويرضوا رسوله » وأقل ما يستنبط من قوله « أحق أن يرضوه » هو أن الذى يرضى الله ﷻ هو بعينه الذى يرضى رسوله ﷺ، وأن الذى يرضى رسول الله ﷺ هو بعينه الذى يرضى الله تبارك وتعالى، فالضمير فى قوله تعالى « يرضوه » يعود على الله ﷻ كما يعود على رسوله ﷺ.

فالفعل الذى يرضى الله تعالى يرضى رسوله ﷺ، وأيضا الفعل الذى يرضى رسول الله ﷺ يرضى الله ﷻ، وبالتالى فإن رضا رسول الله ﷺ على عبد أو على مسلم أو على فعل أو على شئ أو أى أمر هو رضا لله ﷻ عليهم جميعا فلا يُرضى الله ﷻ إلاَّ ما يرضى رسوله ﷺ ولا يرضى رسوله إلا ما يرضى الله ﷻ.

ومن ثم فإن رضا المؤمن أو المسلم عن رسول الله ﷺ رضا عن الله ﷻ ورضاؤه عن الله سبحانه وتعالى رضا منه عن رسوله ﷺ « .... ولو أنهم رضُوا ما Hتاهم الله ورسوله .... » ورضا المسلم عن عطاء رسول الله له رضا عن عطاء الله تعالى، ورضاؤه عن عطاء الله ﷻ رضاؤه عن رسوله ﷺ .

ثاني عشر : مبايعة رسول الله إنما هى مبايعة الله ﷻ :

قال الله ﷻ لرسوله ﷺ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] فقوله تعالى عن الذين بايعوا ويبايعوا الرسول ﷺ ﴿ ..إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ أن يتبيَّن لنا معناه إذا

---

(١) سورة التوبة الآية رقم « ٦٢ » .

(٢) سورة الفتح الآية رقم « ١٠ » .

علمناالصحابة كانوا إذ يبايعون رسول الله بصفقه اليد يجعلون يده ﷺ فوق أيديهم احتراما وتوقيرا، ومن ثم فإن قوله تعالى ﴿ ..يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ .. ﴾ معناه أن يد رسول الله بمثابة يد الله ﷻ بغير تشبيه، أى كأن الذى يضعون أيديهم تحت يده ليس رسول الله ﷺ وحده لأنهم فى الحقيقة أيضا كانت أيديهم فى يد الله ﷻ وليست يد رسول الله ﷻ فقط فوق أيديهم بل ويد الله ﷻ هى التى فوق أيديهم ،وهذا يفيد أن يد رسول الله ﷺ هى بمثابة يد الله ﷻ التى ليس المقصود بها العضو حاشا لله وإنما المقصود قبول بيعة المبايعين. كما جاء فى الحديث القدسي : (.. وكنتُ يده التى يبطش بها ..) وكذا يده التى يبايع بها.

ثالث عشر : تعزير الله وتوقيره وتسبيحه تعزير لرسوله وتوقيره وتسبيحه فى نفس الوقت :

وذلك لأن الإيمان بالله تعالى ايمان برسوله ﷺ، والذى يؤمن برسوله ﷺ يكون قد آمن بالله ﷻ إذ يستحيل التصديق بالرسول من غير التصديق بالُمرسل سبحانه،فهو إيمان واحد لا ينفصم، ويستتبع هذا الإيمان الذى هو ايمان واحد بالله ورسوله التعزير والتوقير والتسبيح لله تعالى ولرسوله ﷺ بفعل واحد لله ولرسوله فى نفس الوقت، قال الله ﷻ مخاطبا رسوله ﷺ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(١) ثم قال تعالى لنا ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾(٢) والمعنى أن الله ﷻ أرسل رسوله شاهدا ومبشرا بالجنة للمؤمنين به سبحانه وبرسوله ﷺ ،ومنذراً بالنار للكافرين به ﷻ وبرسوله ﷺ ، فهو مرسلٌ شاهدا أولا وآخرا، وهذا كله لكى نؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ بإيمان واحد،ولكى نُعزِّر الله ﷻ ونُعِّزر رسوله ﷺ بتعزيرٍ واحد، ولكى نَوقِّر الله ﷻ ونُوقِّر رسوله ﷺ بتوقير

(١) سورة الفتح الآية رقم « ٨ ».

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٩ ».

واحد ، ولكي نُسَبِّح الله ﷻ ونُسَّبح رسوله ﷺ بتسبيح واحد، والتسبيح تنزيه عن النقائص والمعايب.

لأن الله تعالى قال﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .. ﴾ ولم يقل « لتؤمنوا بالله وتؤمنوا برسوله .. » فقد دل هذا على أنَّه إيمان بالله ورسوله بفعل قلبي واحد، والإيمان تصديق بالقلب أي بتصديق قلبي واحد بالله ورسوله ،أي بإيمان واحد.

وكذلك قوله تعالى « وتعزروه » أي تنصروه والفعل هنا واحد والمُعَزَّز واحد أي المنصور واحد لقوله تعالى « وتعزروه » وليس « وتعزروهما » وهذا ليس معناه أن الله ورسوله ذات واحد ،أو كائن واحد حاشا لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وإنما هو بمعنى أن نصر الله تعالى نصر لرسوله ،ونصر رسوله ﷺ نصر لهﷻ.

وكذلك بالنسبة للتوقير هو توقير واحد لله ورسوله ومن ثم لم يقل تعالى « وتوقروهما » وإنما قال « وتوّقروه » فإن قلنا ضمير الغائب « الهاء » في آخر الكلمة في محل نصب مفعول به عائد على لفظ الجلالة الله ﷻ فصحيح، وإن قلنا أنه عائد على رسوله فهو صحيح أيضا، فهو من ثم عائد على الله ورسوله والتوقير: تعظيم وتبجيل ،والمؤمن مُعَظِّمٌ لله ولرسوله نتيجة لإيمانه.

وكذلك تسبيح الله ﷻ ومعناه تنزيه الله وتقديسه والمؤمن مكلف أيضا بتنزيه رسول الله ﷺ وتقديسه عن الدنايا والسفاسف وكل ما يُعيب ويُشين ويُنقص من قدره ،وتسبيح الله ﷻ هو تنزيه الله سبحانه عن وصفه بصفات المخلوقين بكره وأصيلا أي مثل قولنا سبحان الله والحمد لله والله أكبر صباحا وعصرا وتسبيح رسوله ﷺ بالصلاة والسلام والتبريكات عليه وبالصياغات التي تبين قدره وتجلي حقيقته الأحمدية المحمدية، وتخبر بمكانته عند الله التي لا تدانيها مكانة لنبي مرسل أو لملك مقرب .

الفصل الخامس

الدلالات العددية للفظىْ « النبى » و« نبى » فى كتاب الله ﷻ

١ - لفظ « النبى » فى كتاب الله هو للدلالة على سيدنا ومولانا محمد وحده ﷺ وآله:

والدليل على هذا ورود لفظ « النبى » معرفا بالألف واللام الاستغراقية ثلاث وثلاثون مرة كلها لسيدنا محمد ﷺ، ولم يُذكر رسول من الرسل أو نبى من النبيين مُعَرَّفاً بالف ولام التعريف الاستغراقية، ولو لمرة واحدة، وهى كما يلى بترتيب المصحف :

رقم مسلسل	طرف الآية	اسم السورة	رقم الآية
١	﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾	آل عمران	٦٨
٢	﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ .. ﴾	المائدة	٨١
٣	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ .. ﴾	الأعراف	١٥٧
٤	﴿ .. فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ .. ﴾	الأعراف	١٥٨
٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ .. ﴾	الأنفال	٦٤
٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ .. ﴾	الأنفال	٦٥
٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ .. ﴾	الأنفال	٧٠
٨	﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ .. ﴾	التوبة	٦١
٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ .. ﴾	التوبة	٧٣
١٠	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ .. ﴾	التوبة	١١٣
١١	﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ .. ﴾	التوبة	١١٧

١٢	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ .. ﴾	الأحزاب	١
١٣	﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ .. ﴾	الأحزاب	٦
١٤	﴿ .. وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ .. ﴾	الأحزاب	١٣
١٥	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ .. ﴾	الأحزاب	٢٨
١٦	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ .. ﴾	الأحزاب	٣٠
١٧	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ .. ﴾	الأحزاب	٣٢
١٨	﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ .. ﴾	الأحزاب	٣٨
١٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا .. ﴾	الأحزاب	٤٥
٢٠	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ .. ﴾	الأحزاب	٥٠
٢١	﴿ .. وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ .. ﴾	الأحزاب	٥٠
٢٢	﴿ .. إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا .. ﴾	الأحزاب	٥٠
٢٣	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ .. ﴾	الأحزاب	٥٣
٢٤	﴿ .. إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ .. ﴾	الأحزاب	٥٣
٢٥	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ .. ﴾	الأحزاب	٥٦
٢٦	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ .. ﴾	الأحزاب	٥٩
٢٧	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ .. ﴾	الحجرات	٢
٢٨	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ .. ﴾	الممتحنة	١٢
٢٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ .. ﴾	الطلاق	١
٣٠	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ .. ﴾	التحريم	١

٣١	﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا .. ﴾	التحريم	٣
٣٢	﴿ .. يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ .. ﴾	التحريم	٨
٣٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ .. ﴾	التحريم	٩

وهذا البيان الإحصائى الدقيق والشامل يدل دلالة قطعية على أن لفظ النبى بألف ولام التعريف الإستغراقية لحقيقة النبوة هو لسيدنا ومولانا محمد وحده ﷺ وآله، ومن ثم يمنع هذا الإستغراق أن يشاركه فى هذا اللقب غيره، فليس فى النَّبيِّن جميعا أحدٌ يقال له « النبى » سوى سيدنا ومولانا محمد ﷺ .وهكذا ينطق كتاب الله تعالى بالحساب وبالأعداد بحقيقة متوافقة،بل ومتطابقة مع ما ينطق عنها بالدلالة اللغوية.

٩-لفظ « نبى » مُنكَّراً فى كتاب الله ﷻ :

لقد ورد لفظ « نبى » مُنكَّراً فى كتاب الله ﷻ تسعة عشر مرة لم يصدق منها على سيدنا ومولانا رسول الله محمد ﷺ إلا ما جاء منها إسم جنس بدلالة الجمع ومن ثم يصدق على النبى ﷺ وسلم كما يصدق على كل الأنبياء قبله ﷺ وعليهم .

رقم مسلسل	الآيـــة	اسم السورة	رقم الآية
١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .. ﴾	البقرة	٢٤٦
٢	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .. ﴾	آل عمران	١٤٦

٣	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ .. ﴾	آل عمران	١٦١
٤	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ .. ﴾	الأنعام	١١٢
٥	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ .. ﴾	الأعراف	٩٤
٦	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا .. ﴾	الأنفال	٦٧
٧	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	الحج	٥٢
٨	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾	الفرقان	٣١
٩	﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	الزخرف	٦
١٠	﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	الزخرف	٧
١١	﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	آل عمران	٣٩
١٢	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾	مريم	٣٠
١٣	﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٤١
١٤	﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ	مريم	٤٩

	إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾		
١٥	﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٥١
١٦	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾	مريم	٥٣
١٧	﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٥٤
١٨	﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٥٦
١٩	﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	الصافات	١١٢

وأما البيان التفصيلى للفظ « نبى » فى الآيات فهو كما يلى :

أ- منها عشرة آيات تخص أنبياء بعينهم هم : يوشع بن نون ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليهم جميعا الصلاة والسلام .

ولم يُذكر يوشع بن بنون بإسمه وإنما جاء ذكره وصفا بالخبر بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .. ﴾ إذ من المعلوم عند المفسرين باتفاق بأنه فتى موسى عليهما الصلاة والسلام يوشع بن بنون الوارد ذكره فى سورة الكهف فى سفره مع موسى عليهما الصلاة والسلام لملاقاة الخضر عليه السلام فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ (١) وذلك لأن فتى موسى هذا قد إصطفاه الله تعالى نبيا بعد موت موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام .

---

(١) سورة الكهف الآية رقم « ٦٠ » .

وغنى عن البيان أن هؤلاء الرسل والنَّبيين العشرة الكرام ،قد ورد وصف كل منهم بأنه « نبى » ولم يرد وصف أحدهم بأنه « النبى » كما لم يرد تسمية أو وصف غيرهم فى كتاب الله ﷻ بأنه « النبى » حيث وجدنا فى البند رقم « ٨ » أنه قاصر على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ وآله .

ومما يجدر ملاحظته والتنويه به هو أن من الذين وصفهم الله ﷻ بلفظ النبوة مُنكَّراً سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى صلى الله عليهم وسلم وهم ثلاثة من أولى العزم من الرسل الخمسة .

ب- لفظ « نبى » فى الآيات من رقم « ٢ » إلى رقم « ١٠ » أى الآيات التسع الباقية لدينا هى جميعا بدلالة إسم جنس يُفيد الجمع، وبالتالى فهو يصدق على كل نبى وكذلك على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعليهم جميعا، ولهذا يدرك المتدبِّر لهذه الآيات بأنها تتناول السنن الإلهية فى النبوة والأنبياء، وبالتالى يكون من البديهى أن تصدق هذه السنن على حياة إمام النبيين كما تصدق على كل نبى صلى الله عليهم جميعا وسلم .

ومثال هذا قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ... ﴾ الأنعام: ١١٢

وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ الأنفال: ٦٧

فالمقصود بقوله نبى فى الآية هو رسول الله ﷺ وكل نبى لكون تعبير (ما كان لنبى) يفيد أنها اسم جنس بدلالة الجمع.

ومن ثم أقول جزما أن رسول الله ﷺ لم يذكر بلفظ "نبى" مُنكَّرًا ولا مرة واحدة فى الكتاب كله.

الفصل السادس

« المقام الأحمدى والأحوال المحمدية »

٩ - إعتراض على عقيدة أن سيدنا رسول الله ﷺ هو وحده الرسول وهو وحده النبى وأنه رسول الرسل ونبى النبيِّن والرد عليه :

ويحتج المعترض بقوله ﷻ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾(١)

و « ما »، و « إلا » حرفا قصر وحصر و « محمد » مبتدأ ورسول خبر، والمعنى يفيد أن محمدا ﷺ هو فقط رسول كغيره من الرسل الذين جاءوا إلى الدنيا وبعثوا برسالة الله ﷻ إلى أقوامهم ثم خَلوْا من الأرض أى ماتوا أو قُتِلُوا، ومن ثم فإنه ﷺ سيموت أو سيقتل، فهل إذا حدث له أحدهما أيها الصحابة ويا أيها المؤمنون فى كل زمان ومكان تنقلبوا على أعقابكم أم تستمروا على الإيمان بأنه لا إله إلا الله وبأنه ﷺ رسول الله . ؟ .

وحصر الحقيقة المحمدية فى الحقيقة الرسالية التى عليها كل رسول حتى أولى العزم منهم يتعارض تماما ويتنافى مع قَولنا بأنه هو وحده الرسول وأن من سواه من الرسل رسول فقط ،لأنه مذكور فى هذه الآية باعتبار أنه رسول مثلهم فحسب .

وأما عن البيان الذى يرفع هذا التعارض أو التَّنافى المُتَوهَّم والذى هو من المحال على كتاب الله ﷻ، فأقول وبالله تعالى التوفيق والسداد : لقد ثبت لنا فى الجزء الأول من هذه الموسوعة بعنوان « فى نور النبوة » أن من عناصر النبوة الخمسة شرط « البشرية » التى لولاها لكان جبريل وغيره من الملائكة أنبياءً كباراً، وجبريل وإسرافيل وميكائيل ليسوا أنبياء، وإن كانوا رسلاً لله

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ١٤٤ » .

ﷻ وجنوداً له ،مختلفين عن رسل الله ﷻ إلى البشرية، لأن رسل الله ﷻ للبشرية أنبياء قبل أن يكونوا رسلا، أما النبوة فهى حقيقة ذاتية للنبى وكمال إنسانى له، والرسالة تكليف بالتبليغ والبيان أقوالا وأحوالاً وأفعَالاً . ومن ثم فلم يرسل الله ﷻ رسولا إلا بعد أن يجعله نبيا، ولم يجعل الله تعالى نبيًا إلاَّ من البشر .

فالبشرية عنصر أساسى للنبوة ومكوِّن رئيسى فى شخصية الرسل والنبيِّين صلى الله عليهم جميعا وسلم، وبتعبير أدق أقول :إن البشرية شرط رئيسى للنبوة أكبر من كونها عنصرا أو مقوما من مقوِّمات النبوة.

وجميع الأنبياء والمرسلين مشتركون فى هذه الطبيعة البشرية بلا إستثناء، بمن فيهم الرسول النبى صلى الله عليه وعليهم وسلم .

وحيث أن موضوع آية آل عمران آنفة الذكر هو لتحذير الصحابة بخاصة والمؤمنين بعامة من الردة عن الإسلام إذا مات رسول الله أو قُتل ﷺ، وحيث أن جواز الموت أو القتل عليه ﷺ وعلى غيره من الرسل والنَّبيِّين هو من خصائص الطبيعة البشرية التى هم عليها، ، فإن معنى هذه الآية هو أن محمدا ﷺ ما هو إلا رسول بشر كسائر الرسل من حيث الطبيعة البشرية التى يجوز عليها القتل ويتحتَّم عليها الموت، وهذا هو ما أمر الله ﷻ به رسوله ﷺ أن يخبر به الناس عن نفسه ،بأنه بشر مثلهم بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1] وبقوله ﷻ أيضا رداً على تعنت المشركين بأن لا يؤمنوا بالنبى ﷺ إلا إذا فعل لهم كذا وكذا مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى : ﴿ ..قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[2] فهو ﷺ بشر مثلنا أى أن المثلية قائمة بيننا نحن الآدميين وبينه فى الطبيعة البشرية فقط فهو مثلنا فى

(١) سورة الكهف الآية رقم « ١١٠ » .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم « ٩٣ » .

خصائص البشرية الرئيسية وهى الولادة والنمو والموت، وهناك من يخطئ فى حق النبى ﷺ فَيُعَمِّم المثلية بينه وبين سائر الآدميِّين فى جميع الخصائص فينتقص من خصائصه النبوية ويَنْهى عن مديحه وإطرائه بما يستحقه من الخصائص العاليه الخلقية والروحية والنورانية التى خَصَّه الله تعالى بها من دون الخلق جميعا وأقلها فى قوله تعالى ﴿ ..يُوحَىٰٓ إِلَيَّ .. ﴾ .

والقول الصحيح الدقيق هو أن هذه الآية الكريمة تقصر المماثلة بين رسول الله ﷺ وبين غيره من النَّبِيِّين ومن الرسل ومن سائر البشر على الطبيعة البشرية فقط، بينما لا تتعدى هذه المماثلة ما خصه الله تعالى به وأفرده به على غيره من الناس بعامة، وعلى غيره من جميع الأنبياء والمرسلين بخاصة، وهذا كله فى مرحلة الوجود المحمدى فى هذه الحياة الابتلائية الدنيوية، أما مرحلة الوجود الاحمدى السابق على مرحلة الحياة الدنيا المتمثلة فى النور الأحمدى الذى هو الروح الكلى روح الأرواح ونبع نبوة النبيين فهذا مقام آخر ،ولا يتعارض هذا مع ذاك.

والخلاصة أن آية آل عمران لا تتعارض أو تتنافى مع ما ثبت لنا من أنه هو وحده الرسول والنبى وما سواه رسول أو نبى، وأنه لم يرد ذكر غيره من الرسل مُعَرَّفاً بألف ولام التعريف الإستغراقية ،وكذلك فى وصفه بالنبوة، ولم يرد وصفه ﷺ بالنبوة باللفظ المُنكَّر كما لم يرد وصفه بالرسالة باللفظ المُنكَّر ،إلا فى آية آل عمران التى تناولت الجانب البشرى المستتبع للموت أو القتل الذى هو موضوع الآية، وفى ما يماثلها من الآيات التى موضوعها الرئيسى بشرية الرسل وبشريته ﷺ وآله،كما جاءت فى الجداول الإحصائية الشاملة فى كتاب الله تعالى،للفظ الرسول معرفا ومُنكَّرا، ولفظ النبى مُعرفاً ومُنكَّراً، وإقتصار المعرَّف منها بالدلالة المطلقة على سيدنا ومولانا محمد ﷺ فقط،ووصف بقية الرسل والنَّبيِّين جميعا بالصيغة المنكَّرة خير دليل على أنه هو وحده ﷺ الرسول وهو وحده النبى ﷺ، وتفرده وحده بهذا عن سائر الرسل والنبيين هو من

حيث أنه رسول الله ﷺ إلى الرسل صلى الله عليهم جميعا وسلم وقد شهدوا مع شهادة الله تعالى له بهذا ،وهو وحده نبع النبوة للنبيين وهذا كله بالمقام الأحمدى السابق على المقام المحمدى البشرى ، بل تحقق له هذا فى مقامه المحمدى فى هذه الحياة الدنيا بالإسراء به ليلا إلى المسجد الأقصى والصلاة إماما بالرسل والنَّبِيِّين صلى الله عليه وعليهم جميعا وسلم.

وهذا ما يتوافق تماما فى كتاب الله ﷻ مع النتائج التى توصلنا إليها بيقين فى الجزء الثانى حول حقيقة النور الأحمدى، وأنه ﷺ بهذا النور هو الروح الكلى أو روح الأرواح وأصل نبوة الأنبياء ومصدر رسالة الرسل ﷺ وآله وعليهم جميعا :

وآية آل عمران وآية الكهف تختصَّان بالمرحلة الوجودية الدنيوية البشرية له التى تبدأ بالولادة وتنتهى بالموت بمقتضى طبيعته البشرية ولا تَعارض بين المقامين .

وحيث قد ثبت لنا من نتائج الفصل الثانى وجود صلة دلالية بين معنى اللفظ اللغوى ،وبين عدد وروده فى القرآن الكريم، فإن هذه النتائج الإحصائية لكلمات : «الرسول، رسول، رسول الله، الله ورسوله، النبى، نبى»تتوافق كلها مع نتيجة الفصل الأول ،إذ ثبت أنه ﷺ رسول الله للمرسلين والنبيين أجمعين ،ومن ثمَّ للخلق أجمعين .

وكما ثبت لنا من الباب الأخير من الجزء الثانى من هذه الموسوعة أنه هو ﷺ نبع النبوة بنوره الأحمدى ،وباعتباره الروح الكلى، وأنه مصدر نبوة الأنبياء جميعا كما أنه مصدر إيمان المؤمنين،فقد ثبتت لنا أيضا هذه الحقيقة بالدلالة العددية للفظ « النبى » معرفاً بألف ولام الاستغراق ولفظ « نبى » منكرا حيث وجدنا أن «النبى» المعرفة بألف ولام الاستغراق قاصرة عليه وحده ﷺ وسائر النبيِّين مذكورين بلفظ « بنى » أو « نبيا » بالتنكير، فتوافقت وتطابقت الدلالة اللغوية لهذه الألفاظ الستة مع الدلالة العددية لورود كل

منها فى كتاب الله ﷻ ومن ثم وجدنا أن أعداد ورود الألفاظ فى كتاب الله تعالى تنطق بالمعنى بل بالمعانى التى تنطق بها معاجم اللغة العربية وقواعد النحو العربى سواء بسواء .

وهذا كله ،علاوة على أنه يزيدنا يقينا بصدق القرآن الكريم ،وبأنه منزَّلٌ من رب العالمين، إذ هو وجه جديد من وجوه الاعجاز كما علمنا،علاوة على كل هذا، فإنه يزيد المعنى والنتيجة التى توصلنا إليها عن الحقيقة المحمدية الأحمدية قوة برهان ووضوحا ،ومن ثم يقيناً بها

وتتأكد لنا هذه الحقيقة إذا تذكرنا ما جاء فى الجزء الأول عن خصائص أو مقومات وعناصر النبوة الخمسة وهى : الاصطفاء والوحى والعصمة والمعجزة، وخامسها ،وهو شرط فى النبوة،أكثر من كونه مقوما أو عنصرا من عناصرها ،ألاَ وهو الطبيعة البشرية ،والتى هى طبيعة واحدة متشابهة فى كل الآدميّين، لأن البشرية هى الخصائص البيولوجية والفيسولوجية عند بنى آدم، وهى واحدة فيهم ولا يُستثنى منها الرسل والأنبياء ولا حتى أولى العزم من الرسل ،ولا حتى رسول الله ﷺ وعليهم جميعا :

وهذا التماثل فى الخصائص البشرية الرئيسية وهى المولد والنمو والولادة والموت ، ليس فى أحوالها التفصيلية لقوله ﷺ « إنى لست كهيئتكم إنى أبيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى »(١).وهذا له فى وجوده المحمدى بذاته الأحمدية فليس ثمَّ فصل بين نوريْه الأحمدى والمحمدى لأن المحمدى إمتداد للأحمدي وبموته ﷺ عاد النور المحمدى إلى أصله الأحمدى.

أما سائر مقومات أو خصائص النبوه الأربعة الأخرى وهى : الإصطفاء والوحى والعصمة والمعجزه، فهى جميعا تخص النبيين وحدهم دون غيرهم من البشر كما ينفرد رسول الله ﷺ بها جميعا عن سائر النبيين بمن

(١) صحيح البخارى حديث (١٨٢٧)ك .الصوم باب الوصال..

فيهم الأربعة أولى العزم منهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام ،ينفرد عنهم بالإستغراق والوصف المطلق بهذه الأربع.

فكل نبى وكل رسول من المصطفيْن الأخيار، أى أن كل واحد منهم « مصطفى » بالتنكير، أما رسول الله ﷺ فهو المصطفى، وهذا ما سيرد مُفصَّلا بعون الله تعالى وفتحه وبإذنه فى باب لاحق .

وأما بالنسبة للوحى فينفرد رسول الله ﷺ بكلام الله ﷻ، بالكتاب الجامع الخاتم المُصِّدق لما قبله من الكتب، المُتَضَمِّن لها جميعا .

وبالحكمة النبوية العالية الشاملة الشافيه الكافية، وهى جوامع الكَلِم المُتضمِّنة لكل ما أوتى النبيون عليهم الصلاة والسلام من الحكمة . فإذا كان كل نبى حكيم فهو ﷺ بلا ريب وحده النبي الحكيم .

وأما بالنسبة للعصمة فهى ثابتة تامة لكل النبيين بخاصة والمرسلين صلى الله عليهم جميعا وسلم بالأخص، ولكنها تامة كاملة بل مطلقة بالنسبة للرسول ﷺ ،والدليل هو أن كل الرسل الكبار وأولى العزم منهم لن يستطيعوا التقدم لطلب الشفاعة للخلق يوم الدين متذكّرين لذنوب أحدثوها فى حياتهم، فيقول رسول الله ﷺ : أنا لها ويتشفع فيشفع الله تعالى له، فكل نبى وكل رسول معصوم وسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وآله هو وحده المعصوم .

وأما المعجزة فمعجزته ﷺ وآله الكبرى هى الكلام المعجز للعالمين إنسا وجنا، وهذه المعجزة لم يُؤْت نظيرها أحد من الرسل حتى ولا الأربعة أولى العزم، فهو وحده ﷺ فقط الذى وضع الله ﷻ كلامه فى فمه ﷺ وآله ،كما جاء وصفه عند أهل الكتاب فى أكثر من سفر .

أما المعجزات الحسية التى كانت للرسل والنبيِّين من قبله فقد أوتى ﷺ وآله أمثالها وأعظم منها أضعافا مضاعفة مجتمعة عنده

فإذا كان ما أُوتيَ كل رسول ونبى آية فقد أتى الله ﷻ رسوله ﷺ وآله الآيات المعجزات الحسيات المبهرات، فما من معجزة عند نبى أو رسول إلا وجرى مثلها وأعظم منها على يدى رسول الله ﷺ وآله .

ومن ثمَّ يمكن القَول بيقين أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله، ما جاء ذكره بالنكرة مثل بقيه الرسل والنَّبيِّين ،إلا إذا كان موضوع الآية هو حال أو صفة من أحوال أو صفات البشرية . ولا يمكن أن يكون موضوع الآية مما يخص إحدى مقومات النبوة الأربعة الأخرى : الاصطفاء والوحى والعصمة والمعجزة. فإذا كان الموضُوع يخص أحد مقومات النبوة الأربعة الأخرى فلا مناص من أن يكون سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله مذكورا بألف ولام التعريف: رسول الله، الرسول، النبى، المصطفى، المعصوم الحكيم.......... وهكذا .

والخلاصة أن قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا .. ﴾[1] .وأمثالها لا يتعارض إطلاقا مع ما توصلنا إليه فى هذا الباب وفيما يلى هذا الباب عن تفرده ﷺ تَفَرُّداً مطلقا عن كل البشر بإعتبار كونه بشرا، وبإعتبار كونه إنسانا، وعن كل النبيين بإعتبار كونه نبيا، وعن كل الرسل بإعتبار كونه رسولا، وعن كل الملائكة باعتبار كونه روح الأرواح وباعتبار كونه الروح الكلى، بل ويتفرد تفرداً مطلقا عن كل خلق الله ﷻ بإعتبار كونه مخلوقا، فهو المخلوق وغيره من سائر الخلق مخلوق، ويتفرد بناء على هذا كله تفردا مطلقا باعتبار العبودية فكل ما سواه عبد لله ﷻ وهو وحده عبد الله وهو وحده العبد الفرد القطب قطب الوجود المخلوق كله....قطب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران ،الآية (١٤٤)..

الفصل السابع

تطابق الدلالة اللغوية مع الدلالة العددية لتفرده ﷺ بالعبودية الأتمّ والأكملْ لله ﷻ في القرآن الكريم

نسب الله ﷻ العباد لنفسه بصيغة المفرد والمثنى والجمع وذلك بالتنكير المفرد « عبد » وبصيغة المثنى « عبدين » ونسب لنفسه سبحانه بصيغة الجمع « عباد » وكلها منكَّرة، وقد علمنا من قبل أنه سبحانه وتعالى لا ينسب هذا الوصف لمخلوق مُضاف إليه سبحانه إلا إذا كان مؤمنا ،مثل هذا في الجمع ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾(١) وفي المثنى قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(٢) ومثله في المفرد قوله تعالى ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾(٣) وحيث من الثابت بمحكم القرآن الكريم أنه ﷺ أول العابدين الذى لم يصل إلى مقام عبوديته لله ﷻ مخلوقٌ سواه بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ فإنه لابد أن يكون هو المخلوق الأوحد المستحق أن يطلق عليه « العبد » بألف ولام التعريف الإستغراقية، ومن ثم يكون كل الملائكة حتى الكبار منهم وكل الرسل حتى أولوا العزم منهم وكل النبيين حتى المفضلون منهم أقول : يكون كل واحد منهم عبدا من عباد الرحمن سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم « ٦٣ » .

(٢) سورة التحريم الآية رقم « ١٠ » .

(٣) سورة مريم الآية رقم « ١ - ٢ » .

فهل ينفرد النبى ﷺ فى القرآن الكريم وحده بألف ولام التعريف الإستغراقية فى مقام العبودية أيضا ؟

نعم وقد ورد ذكر ما سواه من الملائكة والنبيِّين والرسل بلفظ العبودية منكراً فنقرأ فى كتاب الله ﷻ قوله سبحانه ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[1] فالمسيح عليه الصلاة والسلام وكذلك الملائكة المقربون جميعهم كل منهم عبد لله ﷻ وقال تعالى عن نوح ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[2] وكذلك قال تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3] وكل هذا قد جاء فيه لفظ "عبد" مُنكَّراً ولم يرد ذكر النبى المصطفى ﷺ ولا مرة واحدة بأنه عبد لله بالتنكير، حيث لم يرد إلا معرفا بالإضافة وجاء معرفا باسمه ﷺ.

أولا : التعريف بالإضافة إلى ضمير الغائب الدال على الذات الالهية:

١ - وأما التعريف بالإضافة فقد ورد لفظ « عبده » مضافا إليه سبحانه بضمير الغائب المفرد فى القرآن الكريم سبع مرات كلها لرسول الله المصطفى ﷺ ما عدا آية واحدة هى آية زكريا عليه السلام فى سورة مريم آنفة الذكر .

أما الآيات التى تخص رسول الله ﷺ فهى :

الأولى : هى قوله ﷻ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٧٢ » .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم « ٣ » .

(٣) سورة الزخرف الآية رقم « ٥٩ » .

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] فقوله سبحانه « أسرى بعبده » من غير أن يذكر إسمه ﷺ يدل على أن هذا تعريف بالإضافة لأنه من المعلوم والمعروف أنه ليس ثمَّ من هو « عبده » سبحانه إلا النبى المصطفى ﷺ

الثانية : هى قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[2] كذلك قال هنا « عبده » دون ذكر اسم النبى المصطفى أو إشارة إليه لنفس العلة فى الآية الأولى، أى أنه كلما ذكر لفظ « عبده » فى القرآن الكريم فإنه لا ينصرف إلا إليه ولا يصدق إلا عليه ﷺ .

والثالثة : هى قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] ويقال فيها مثل الأولى والثانية .

والرابعة هى قوله ﷻ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[4]،فلفظ « عبده » لا ينصرف فى هذه الآية ولا يصدق إلاَّ على النبى المصطفى ﷺ لأنه هو الذى يخوِّفونه ويتوَّعدونه بالأذى، ومن ثم طمأنه ربه ﷻ بأنه سبحانه يكف عنه خطرهم عليه، وإن كانت الجملة « أليس الله بكاف عبده ؟ » سؤال استفهامى تقريرى بمعنى أن الله تعالى يدافع عن كل عبد من عباده ويدفع عنه ويكف أذى أعدائه ، إلاَّ أن الضمير فى هذه الآية لا يصدق إلَّا على النبى المصطفى ﷺ لسابقة ذكره فى الآية السابقة، أما فى الآيات الأخرى من الأولى إلى الثالثة فليس لها سوابق بذكره ﷺ لأنها الآيات الأولى فى سورها .

والخامسة فى قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم « ١ » .
(٢) سورة الكهف الآية رقم « ١ » .
(٣) سورة الفرقان الآية رقم « ١ » .
(٤) سورة الزمر الآية رقم « ٣٦ » .

ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (1)

هذا مقام لم يرق إليه مخلوق، وهو مقام « عبده » فى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (2) وهذا السياق الذى يثبت أن الله ﷻ ذكره بمقام العبودية المتفرد بها لله ﷻ فوق سائر خلقه سبحانه فى مقام قاب قوسين ،بل أدنى، ولم يذكره بمقام الاصطفاء المطلق أو الرسول الأوحد أو النبوة الكاملة التامة وإنما قال « فأوحى إلى عبده » سبحانه وتعالى . والهاء ضمير الغائب هنا اسم للذات الإلهية المحتجبه حقيقة ومعرفة وعلماً ومشاهدة عن الخلق أجمعين، فهو وحده ﷺعبد الذات الإلهية القدسية ومن ثم فهو وحده الذى فاز ونال بتجلى أنوار ذاته سبحانه وتعالى بدءا، وإلا لما جاز له أن يرقى فى معراجه حتى يكون قاب قوسين أو أدنى ،بل أدنى.

الآية السادسة : هى قوله سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3)

ويقال فى هذه مثل ما قيل فى الآيات السابقة وكلها تؤكد تفرده ﷺ بين الخلق بأنه وحده فى العالمين « عبده » أى عبد الذات الإلهية وهو وحده عبد الله أى عبد الذات الإلهية المتجلية بصفات الكمالات الجلالية والكمالات الجمالية باسم رب العالمين ذى الجلال والإكرام لأن الله هو الاسم الدال على الذات

(1) سورة النجم الآية رقم « ١ - ١٨ » .

(2) سورة النجم الآية رقم « ١٠ » .

(3) سورة الحديد الآية رقم « ٩ » .

الإلهية المحتجبة بصفات الجلال والجمال وهى أيضا محتجبة بأسمائه سبحانه الحسنى.

الآية السابعة : هى قوله ﷻ ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾[1] ومعنى كلمة " ذكر ": أى هذا حديث وقصة رحمة ربك يا محمد عبده زكريا .

وهنا قد يقول قائل هذه الآية تخرق القاعدة القائلة بأن رسول الله ﷺ وآله هو وحده العبد المتفرد بالعبودية بمقام للعبودية لا يشاركه فيه غيره بحيث لا يذكر مُعرَّفًا إلا هو ﷺ وآله سواء بألف ولام التعريف الإستغراقيه أو بالإضافة إلى ذاته سبحانه « عبده » أو « عبد الله » أو « عبدنا »

والرد على هذه الملاحظة هو أن الله ﷻ لم يُعَرِّف زكريا عليه السلام بعبوديته له فحسب ،كما هو الحال بالنسبة للنبى المصطفى ﷺ وآله، وإنما عرَّفه باسمه بقوله « زكريا »، وهذا يوضح ما نود قوله وهو أن لفظ « العبد » أو « عبده » إذا ذكر وحده لا ينصرف ولا يصدق إلا على الحبيب وحده ﷺ وآله، فإذا كان المراد غيره وليس هو ﷺ لزم تعريفه بالاسم لكى لا تنصرف إليه ﷺ ولكى تنصرف إلى صاحب الاسم، ومن ثم يكون التعريف هنا بالاسم وليس بانفراد زكريا بعبوديته لله ﷻ التى لا يشاركه فيها غيره، لكن فى جميع الحالات إذا قرأنا لفظ « عبده » فى الكتاب فهو لا يعنى إلا رسوله ﷺ وآله .

ويتأكد لنا هذا بإعراب قوله تعالى ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾[2]

« ذكر » : خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هذا » وهو مصدر يعمل عمل الفعل إعرابيا، وهو مرفوع بالضمة الظاهرة ،فوق الراء

رحمة : مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة تحت التاء المربوطة وبالإضافة إلى ذكر .

(١) سورة مريم الآية رقم « ٢ » .

(٢) سورة مريم الآية رقم « ٢ » .

ربك : رب مضاف إليه بكسرة تحت الباء وهو مضاف إلى رحمة، والكاف ضمير متصل مبنى على الفتح مضاف إليه أى مضاف إلى رب فى محل جر .

عبدَه : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهره على حرف الدال وهو مفعول به للمصدر « ذِكرُ » الذى يعمل عمل الفعل، والهاء ضمير متصل مبنى على الضمة فى محل جر مضاف إليه.

زكريا : عطف بيان منصوب بالفتحة المقدَّرة، لأنه معطوف على عبده وعطف البيان بدون حرف عطف ويأخذ إعراب المعطوف عليه وهو عبدَه ولهذا فهو فى محل نصب .

والمعنى : هذا يا رحمتى للعالمين ذكر بعض رحمتى عبدى زكريا، وحيث أن « زكريا » معطوف عطف بيان على "عبده" الأمر الذى يصرف دلالة العبودية إلى زكريا ،ومن ثمَّ لا يصدق لفظ « عبده » فى هذه الآية وحدها على رسول الله ﷺ وآله لإنصراف الدلالة إلى زكريا، أى أن لفظ « عبده » لم يأت مطلقا وإنما جاء مقيدًا للدلالة على زكريا، لأنه عندما يكون مطلقا فإنه لا يصدق كما رأينا إلا على رسول الله ﷺ وآله

فحيث أنه قد ثبت لنا أنه ﷺ أول العابدين على الخلق أجمعين فإنه يكون من المقطوع به أنه لم يصل إلى مقام عبوديته لله ﷻ مخلوق سواه ﷺ وآله. ومن ثم فهو المخلوق الفرد الأوحد المستحق أن يُطلق عليه « عبده » أو « عبد الله » أو « عبدنا »

ثانيا : التعريف بالإضافة إلى لفظ الجلالة " الله " جل جلاله :

أما التعريف بإضافة لفظ « عبد » إلى لفظ الجلالة « الله » فلم يرد فى كتاب الله تعالى إلا مرتين :

الأولى : قول الله ﷻ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1] وهذه تخص عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقوله هذا فى المهد إعجازا وتبرئة لمريم عليها السلام رَدًّا على قومها إذ قالوا لها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾[2] وأيضا إعجازا بنطقه فى المهد وإعجازا برده على الفرية التى سيحرف بها المبطلون دينه بالغلو فى شخصه وتأليهه وقولهم عنه ابن الله ﷻ فعرَّف نفسه بالعبودية لله ﷻ قائلا ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[3] فقوله « إنى عبد الله » هو من قبيل الإقرار بالعبودية لله ،وليس إعلانا عن اسمه، وكل مؤمن يصف نفسه بأنه عبد لله وصفا لا اسما

والثانية : قوله ﷻ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[4] والذى أود إثباته والتأكيد عليه هو أنه ليس فى آيات القرآن الكريم أية واحدة تثبت مخلوقا لله ﷻ ذكره

---

(١) سورة مريم الآية رقم « ٢٩ - ٣٠ » .

(٢) سورة مريم الآية رقم « ٢٧ » .

(٣) سورة مريم الآية رقم « ٣٠ - ٣٦٢ » .

(٤) سورة الجن الآية رقم « ١٨ - ١٩ » .

الله ﷻ باسم "عبد الله" إلاَّ هذه الآية ،التى تثبت ذكـر الله ﷻ لـه بقولـه هـو سبحانه وتعالى عنه ﷺ مخبرا عما كان من الجن لما رأوه قـائما داعيـا إلى الله ﷻ يتضرع بخشوع لم يشاهدوا مثله عند الرسل والنَّبِيِّين السابقين ،إذ من المعلوم أن أعمارهم طويلة، فالتفوا حوله ينظرون إليه متعجبين حتـى تراكمـوا فـوق أكتافهم بعضهم البعض أعدادًا كثيرة ،فصاروا حوله كلبدة الأسد أى الـشعر الكثيف جدا حول رقبته كناية عن كثرتهم وتراكمهم بعضهم فوق بعضهم ، حرصا منهم جميعا على رؤيته حالة قيامه داعيا لله ﷻ

والأمر الثانى الأهم هو أنَّ قول عيسى « إنى عبد الله » بلـسانه هـو، أما فى هذه الآية فالخالق سبحانه هو الذى ذكـره ﷺ وآلـه باسـم « عبـد الله » ومن ثم فليس فى القرآن كله من أطلق الله عليه اسم عبد الله إلا هـو ﷺ وآلـه ،وهذا يكفى لإثبات أنه ﷺ وآله هو عبد الله المتفرد بمقـامٍ للعبوديـة لله ﷻ لا يشاركه فيه مخلوق غيره ﷺ وآله .

ثالثا : **تعريف لفظ " عبد " بالإضافة إلى ضمير الجمع المتكلم " عبدنا " ورد خمس مرات فى كتاب الله ﷻ بقوله تعالى " عبدنا "**

الأولى : قولـــــه ﷻ ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١)
ولأن عبدنا إذا ذكرت فى كتاب الله ﷻ لا تنصرف مثل « عبده » ومثل « عبد الله » ولا تصدق إلا عليه ﷺ فقد جاءت مطلقه دون تخصيص كما وضحنا من قبل

الثانيـة : قولـه ﷻ ﴿ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢)

فإذا قيل« عبدنا » فهو رسوله ﷺ وآله بالضروره، أما فى حالة ذكر اسم أحد الأنبياء مع لفظ « عبدنا» ، فهذا تخيص العبودية فلا يكون هذا النبى عبداً فى مقام عبودية المصطفى ﷺ وآله الذى لا يشاركه فيه غيره لذلك لزم ذكر النبى المراد وإلا إنصرفت الدلالة إليه ﷺ وهذا ما نجده فى الآيات الثلاث الباقية

الثالثة : قولـه تعـالى ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(٣) فقوله تعالى « عبدنا داود » لئلا تنصرف الدلالة إلى رسول الله ﷺ بالضرورة

---

(١) سورة البقرة الآية رقم « ٢٣ » .

(٢) سورة الأنفال الآية رقم « ٤١ » .

(٣) سورة ص الآية رقم « ١٦ – ١٧ » .

والرابعــة : قولــه تعــالى ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [1] ويقال فيها ما فى سابقتها .

والخامسة : قولـه تعـالى ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾[2] فقوله تعالى فكذبوا عبدنا تنصرف هنـا إلى نـوح ﷺ لتعريفه بالإسم

ومن ثم يتأكد لنا أن ذكر اسم « عبد الله » و « عبـده » و « عبـدنا » لا تـصدق إلا على رسول الله ﷺ مالم تقيد بقيدٍ يصرف دلالة العبودية إلى مذكور باسـمه غيره ﷺ .

وهذا يثبت بالأدلـة القاطعـة عـلى أنـه هـو المتفـرد لله ﷻ بالعبوديـة المطلقة ومن ثمَّ فهو الذى لا يشاركه فى مقام عبوديته لله سبحانه وتعالى غـيره ﷺ وآله،وهو مقام أول العابدين .

(١) سورة ص الآية رقم « ٤١ » .

(٢) سورة القمر الآية رقم « ٩ » .

الباب الثالث

إصطفاء الرسول ﷺ

و اصطفاء النبيِّين عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول

الإصطفاء بين الدلالة اللغوية والدلالة العددية فى كتاب الله ﷻ

الفصل الثانى

رسول الله ﷺ هو وحده " المصطفى له "

فلا يصح أن يكون مصطفى من" ؟

الفصل الثالث

السنة تثبت أن رسول الله ﷺ هو " المصطفى له "

توافقاً مع الدلالة المستخلصة من الكتاب

الفصل الأول

الإصطفاء بين الدلالة اللغوية والدلالة العددية فى كتاب الله عز وجل

١- الدلالة اللغوية للاصطفاء فى اللغة العربية.

٢- حقيقة الاصطفاء فى القرآن الكريم بتعدِّيات الفعل إصطفى الأربعة : " اصطفى من "واصطفى على" و"اصطفى بكذا " و " اصطفى لكذا "

الفصل الأول

الاصطفاء بين الدلالة اللغوية والدلالة العددية فى كتاب الله ﷻ

١ – الدلالة اللغوية للاصطفاء فى اللغة العربية :

الاصطفاء فى اللغة العربية : (اصطفاه : فضَّلَه واختاره ، والصفيُّ: من كل شيء صفوه والصديق المختار)[1]. فالاصطفاء : الاستخلاص ، قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف: ٥٤ فالاصطفاء إعلاء الأفضل من بين فضلاء ، فلا يكون هذا إلا بعد تصفية بين هؤلاء الفضلاء ، فهو بمعنى اختيار الأفضل. وهذا الاصطفاء لا يكون إلا لأمر عظيم ولغاية عالية ، فيكون هذا المصطفى أفضل كل الذين اصطفى منهم تأهيلا لتحقيق هذه الغاية.

وعلى هذا فكل مصطفى لابد أن يكون مصطفى بما خصَّه الله تعالى به عن أقرانه ليكون أهلا بما كلفه الله تعالى به ، واصطفاه من أجله أى أن الاصطفاء اصطفاء " ب" كذا، كما أنه " من كذا " و" على كذا " والاصطفاء يكون " لأجل كذا" أيضا

ومن ثم فإن الفعل اصطفى بالضرورة يتعدى بأربعة أحرف هى:

أولاً : مصطفى "من " آخرين كان معهم فتميز فيهم وعلا عليهم.

وثانيا : مصطفى " على " آخرين أيضا ، لأنه بعد إصطفائه من الذين أُصْطُفِيَ منهم صار أعلى منهم ومن ثم يكون أُصْطُفِيَ عليهم.

---

(١) المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٣٦٧.

ثالثا : مُصْطَفَى " ب" أى بالمؤهل الذى خصه الله به عن أقرانه ليجعله أهلا للغاية التى إصطفاه لها.

رابعا : هو مصطفى بالضرورة من أجل غاية عليا ، أى مصطفى "ل" .

والخلاصة أن الفعل أصطفى يتعدى بالأحرف الأربعة فتقول :

١- أُصْطُفِيَ " من".

٢- أُصْطُفِيَ "على".

٣- أُصْطُفِيَ "ب".

٤- أُصْطُفِيَ "ل" أى " من اجل ".

وقد علمنا من الجزء الأول من هذه الموسوعة ، وهو فى " نور النبوة"، علمنا أن الاصطفاء أحد مقومات النبوة ، بل هو المقوم الرئيسى والأهم من بين المقومات الخمسة. لأن الذى يصير به النبى نبيًّا إبتداءً هو اصطفاء الله عز وجل له للنبوة بسابقة الحسنى من الله عز وجل.

فمن سنن الله عز وجل أن يصطفى الله تعالى من قومٍ من يشاء من الأفراد أو من شعب من يشاء من الأخيار أو من الصالحين الذين يشاء لمهمة عليا ووظيفة سامية أهلهم الله سبحانه لها.

ومن سننه سبحانه إصطفاء شعب ما لحمل رسالته سبحانه إلى بقية الشعوب.

ومن سننه سبحانه وتعالى أيضا اصطفاء نوع من الخلق على الأنواع الأخرى.

والفرق بين الاختيار والاصطفاء أن الاختيار هو انتقاء أو انتخاب الصالح لمهمة من بين أقرانه وقد يكون فيهم من هو أفضل منه ، أما الاصطفاء فهو انتقاء الأفضل من بين فضلاء ، لأن الاصطفاء من التصفية والصفاء مع

الانتقاء للرفع أو الإعلاء والتكليف والتشريف والتكريم ، فالمصطفى هو الأعلى والأفضل مطلقا والمختار يكون أنسب المتاح فحسب.

قال تعالى عن بنى إسرائيل الذين لم يكونوا مطلقا ولكن كانوا على ما فيهم أحسن من غيرهم ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الدخان: ٣٢ لتكون النبوة فيهم وليحملوا التوراة شريعة الله تعالى وإن لم يكونوا جميعا مؤهلين لها ، وكان بنو عدنان أفضل منهم.

أما المصطفون فهم الصفوة وعِلْية القوم فى الإحسان والتقوى وذروتهم وأفضلهم وأكرمهم عند الله عز وجل.

ومثال اصطفاء نوع من أنواع أخرى قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ٣٣ - ٣٤،

أى أن الله تعالى إصطفى آدم بصفته ممثلا للنوع الإنسانى على الجن والملائكة باعتبار أن هذه الأنواع الثلاثة أرقى أنواع الخلق وأعلاها ، ومن ثم فإنه باصطفاء الآدميين على الملائكة والجن يكون الآدميون هم النوع الأعلى على جميع أنواع الخلق بدليل قوله تعالى فى آخر الآية " على العالمين " أى على جميع الخلائق.

وإصطفاء كل رسول من قومه عليهم ليبلغ كلمة الله ورسالته لأنه أفضلهم مطلقا ، باعتبار أنه الأفضل والأَخْيَر بإطلاق قال عز وجل إليهم ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٤ ،أجرموا وجزاؤهم الصَّغار لأنهم

رفضوا إصطفاء رسولهم عليهم باعتبارهم أنفسهم أهلاًللإصطفاء مثله وهذا كبر.

واصطفاء طالوت للملك على بنى إسرائيل أى ليكون ملكا عليهم بهدف دخول الأرض المباركة أى القدس وما حولها ولإقامة خلافة الله تعالى فيها قال تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧، فطالوت كان الأفضل فى بنى إسرائيل ليس بالدلالة المطلقة، ولكن بدلالة جزئية مقيدة، وهو أنه كان هو الأفضل للمُلْك فقط،ولكنه لم يكن أفضل دينا وخلقا من النبى يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام الذى قال لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ ﴾ وقوله تعالى عن اصطفاء موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف:١٤٤ ، يتضمن تعديات الفعل "إصطفى" الأربعة فقوله تعالى له ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ دليل على أنه اصطفاه من الناس، وهذا هو التعدِّى بحرف "من" ثم إن قوله تعالى ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يثبت التعدى بحرف "على" والناس هم المعاصرون لموسى عليه السلام ،ثم إن قوله تعالى ﴿بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ فهذا هو التعدى بحرف "ب" أما الذى من أجله اصطفاه الله ﷻ، فَمُتَضمَّنٌ فى قوله تعالى ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ ﴾ وهذا هو التكليف الواجب على موسى أن يسعى لتحقيقه باعتبار أنه الغاية العليا " من " اصطفائه ، والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا مرسلون لتبليغ رسالات ربهم وتطبيقها عقيدة وشريعة فى حياتهم بقدر استجابة أقوامهم لهم.

فاصطفاء نوح وإبراهيم وموسى وآل عمران وعيسى كان لحمل رسالة النور للناس على مر التاريخ ، وكذا إصطفاء كل الأنبياء والرسل لتبليغ رسالات ربهم يوضح أن الاصطفاء يكون مُتَعَدِّياً إما بحرف " اللام " أو " الباء كما أنه يتعدى بحرف "على" ، وكما أن الاصطفاء الذى يزيد معناه على معنى الاختيار أو الانتقاء يكون لفرد من فئة ، فإنه يكون أيضا لفرقة من فرق، أو لقبيلة من شعب ،أو لشعب من أمة أو لأمة من الناس على سائر الأمم.

٢- حقيقة الاصطفاء فى القرآن الكريم بتعديات الفعل الأربعة :

ولقد وردت كلمة " إصطفى " ومشتقاتها فى كتاب الله عز وجل فى إثنتى عشرة آية سنستعرضها كلها فيما يلى ، بحسب المنهج الإحصائى الشامل للتفسير الموضوعى :

الآية الأولى [(١)]: وهى قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران: ٣٣ – ٣٤، ولكى نتوصل إلى التفسير الدقيق لهذه الآية ولجميع آيات الاصطفاء الأخرى فى القرآن ومن خلال تَعدِّيات الفعل اصطفى الأربعة ،أقول لكى نعلم هذا، فإنه علينا أن نطرح هذه الأسئلة الأربعة ونجيب عليها :

السؤال الأول : مِمَّن اصطفى الله تعالى آدم ؟

السؤال الثانى : على من اصطفى الله تعالى آدم ؟

(١)تعتبر هذه الآية الكريمة هى النص الاساسى الذى تنبنى عليه حقيقة الاصطفاء فى القرآن الكريم والسنة ،لذا فسنبحثها تفصيلا بفتح من الله تعالى وعونه وبإذنه جل وعلا.

السؤال الثالث : بم اصطفى الله تعالى آدم عليه السلام على الذين اصطفاه عليهم ؟ حيث قد علمنا أن كل مصطفى له مؤهلاته التى تميزه عن الذين اصطفاه الله تعالى عليهم.

والسؤال الرابع : لم اصطفى الله تعالى آدم على الذين اصطفاه عليهم، أو لأجل ماذا أو لأى غاية إصطفى الله تعالى آدم عليه السلام عليهم ؟ وذلك حيث قد علمنا أن كل مصطفى يصطفيه الله تعالى إنما يكون لأمر جلل ولغاية عليا وأهداف سامية.

أولاً : الإجابة على السؤال الأول :

إن الله تعالى اصطفى آدم عليه السلام بثلاثة اعتبارات هى :

١- اصطفاؤه ليكون أبا ووالدا للنوع الإنسانى.

٢- اصطفاؤه باعتبار أنه ممثل للنوع الآدمى أى الانسانى أو البشرى أو الإنس[1] بازاء أنواع المخلوقات الأخرى المكافئة أو المساوية للنوع الإنسانى.

٣- اصطفاؤه باعتبار شخصه فقط للنبوة لأنه نبى مكلم كما جاء فى حديث الحاكم والبيهقى فى الشعب عن أبى ذر قال قال النبى ﷺ (النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى والمرسلون ثلاثمائة عشر و آدم نبى مكلم)[2].

---

(١) هذه الأسماء الأربعة تصدق كلها على النوع الآدمى وتدل عليه إلا أن لكل منها دلالة خاصة على خاصية من خصائصه.

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقى فى الشعب عن كنز العمال مجلد /١١ ص٤٨٢ حديث رقم (٣٢٢٧٦).

فهو مصطفى بهذا الاعتبار كاصطفاء نوح وإبراهيم وآل عمران لأن أسماءهم معطوفة على آدم بحرف الواو ، ومن ثم يصدق عليهم الاصطفاء كآدم عليه وعليهم جميعا السلام.

وبالتالى فإن الإجابة على السؤال الأول هى أن الله تعالى اصطفى آدم ممثلا للإنسانية ولذريته على الكائنات المكافئة له التى كانت موجودة حين إصطفائه و التى كادت أن تساويه ،أو كاد هو أن يكون فى مستواها الوجودى ، وبالنظر فى كتاب الله كله وفى سنة نبيه ﷺ نجد أنهما الجن والملائكة ، و قد تمثل اصطفاؤه أول ما تمثل فى إعلان الله عز وجل للملائكة أنه سيجعل له فى الأرض خليفة بقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٩ – ٣٠.

فمعنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ خطاب لبنى آدم أو البشرية لقوله تعالى فى أول هذا السياق من هذه الآيات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢ ومن ثم فقوله تعالى فى الآية التاسعة والعشرين من هذا السياق أيضا ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ هو فى نطاق ومجال معنى هاتين الآيتين ، والمعنى أن كل ما فى السماء والأرض مخلوق للناس أى لبنى آدم أو الإنسان. وبهذا يكون قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أى ملكا لما فى الأرض جميعا لأن الخليفة نائب لله

عز وجل فى الأرض والله تعالى هو الملك وهو المالك وهو رب العالمين أصالة أى ملكا حقيقيًا وربوبية حقيقية فيكون هذا الخليفة إذاً نائبا مستخلفا من قبل رب العالمين الملك المالك لهذا الكون المخلوق ،ليس على كل الكون ولكن فى الأرض، أى مستخلفا على كل ما فى الأرض، كما أخبرت آية البقرة بأنه سبحانه خلق لنا كل ما فى الأرض جميعا حيث أن الملائكة الذين أخبرهم الله عز وجل بأنه جاعل فى الأرض خليفة وكان معهم واحداً من الجن وخوطب معهم بهذا الإخبار ، وبالتالى فإن اصطفاء آدم باعتبار أنه كان ممثلا لنوعه الإنسانى، إذ أنه كان قبل اصطفائه ثالث ثلاثة أنواع هم الإنس والجن والملائكة فاصطفى الله تعالى الإنس عليهما.

أما الملائكة فقد فوجئوا بهذا الاصطفاء للإنسان لأنهم قد علموا من كتب المقادير أنه سيكون منه الإفساد فى الأرض وسفك الدماء ، ومن ثم توقعوا أن يكون الاصطفاء لهم ، فجاء ردهم على الفور معبرا عن الدهشة بقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾وفى هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أنهم كانوا يظنون فى أنفسهم أنهم الأجدر بالإصطفاء ،فأبطل الله تعالى على الفور ظنهم هذا بقوله ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، والله سبحانه يفعل ما يشاء ويختار من يشاء أو ما يشاء لما يشاء.

أما الجن، ممثلين فى أحدهم ،الذى كان مع الملائكة حين أخبرهم الله تعالى عن اصطفاء الإنس من دونهم،فقد أخذته الغيرة وامتلأ قلبه وصدره بالحسد والحقد على آدم وذريته وكتم ما فى باطنه، فلمّا قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ البقــرة: ٣١ – ٣٣ ،من ثم أبطل الله تعالى دهشة الملائكة وتعجبها، وعلموا أن ثمَّة حكمة ربانية عليا من اصطفاء آدم من دونهم، فلما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم ، بل بالسجود للإنس ممثلين فى آدم عليه السلام ، إقرارا باصطفائهم عليهم ، سجدوا وأقروا ، إلا الجنى الذى كان معهم أبى أن يسجد بدوافع الحقد والحسد، وكبر فى صدره ما هو ببالغه ،ولن ينال إلا الصغار والهوان ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ولم يكن اسمه إبليس لان إبليس اسم وصفي ولكنه لما عصى وأبى أن يسجد صار شيطاناً ، لأنه شطن أى بعد عن الحق والهدى ، ولما سأله الله عز وجل عن الذى منعه عن السجود لحظة أن صدر الأمر الإلهى له بالسجود بعد أن قال الله سبحانه وتعالى لنا نحن البشر ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١١ – ١٢ فتدبر قوله تعالى أنه خلقنا وصورنا ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم ،ونحن فى صلبة فسجدوا إلا إبليس ،فلما سأله الله عز وجل عن المانع الذى جعله لا يسجد حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم أظهر الله ما فى نفسه وباطنه الخبيث من الحقد والحسد والتكبر على آدم وذريته لاصطفائه عليه ،وعلى بنى نوعه من الجن، فكان رده اعترافاً بدوافع الحقد والحسد على آدم عليه السلام، بقوله" أنا خير منه "ومن ثَمَّ دلَّ هذا على أنه كان يرى نفسه أجدر وأحق بهذا الاصطفاء.

وحيث أن إجابته تضمنت إصراره على رفض السجود فقد تحول من حالة " الشَّيْطَنة" التى كان عليها إلى حالة " الأبْلسة " أى حالة اليأس من عودته إلى الحق والهدى والإصرار على رفض السجود لآدم والإقرار بأفضليته عليه

وباصطفاء الله تعالى له من بين الجن والملائكة ، ومن ثم صار شيطانا إبليسا غير راغب فى العودة إلى الله والتوبة ، لأن الشيطان قابل للتوبة أما من يتسفَّل إلى درك الأبلسة فلا يتوب أبدا وهو فى الآخرة من الخاسرين.

والخلاصة فى إجابة السؤال الأول هى أن الله تعالى اصطفى آدم أو الإنسان من بين الكائنات العليا الثلاثة وهم : الملائكة والجن والإنس.

ثانياً : إجابة السؤال الثانى :

من هم الذين اصطفى الله تعالى آدم عليهم ممثلا للإنسانية ؟ بكلمة واحدة جاءت فى آية الاصطفاء تكون الإجابة هى : اصطفى الله تعالى آدم أو الإنس أو الإنسان على " العالمين ". لكن فى إجابة السؤال الأول علمنا أن الله تعالى اصطفاه من بين الملائكة والجن ، ومن ثم فإنه من المتوقع والبديهى أن يكون اصطفاؤه على الملائكة والجن فقط ، فكيف يكون اصطفاؤه على كل الخلق ، لأن كلمة " العالمين " تعنى كل الخلق ؟.

لبيان هذا أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد :

إن الله تعالى خلق الخلق جميعا متفاضلين: أجناسا وأنواعا وأصنافا وفصائل وأفراداً ، فالأجناس متفاضلة فى الخلق، والأنواع متفاضلة فى الجنس الواحد ،والأصناف متفاضلة فى النوع الواحد، والفصائل متفاضلة فى الصنف الواحد ،والأفراد فى الفصيل الواحد متفاضلون ، وهذه سنة الله تعالى فى الخلق ، وكل ما خلق عز وجل هو مربوب من الله تعالى والله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو عز وجل رب العالمين ، الأجناس والأنواع وما تحتهما.

وبناء على هذا كله فإن كل الخلائق تنتظم مراتباً على ما يمكن تسميته بسلم التفاضل الكونى للكائنات، بحيث يكون الكائن الأفضل درجة أعلى

من الأدنى منه بدرجة واحدة، على درجتين متتابعتين، وهكذا تترتب المخلوقات من أدنى إلى أعلى على سلم الكائنات التصاعدى حتى صار على قمة هذا السلم الملائكة، وصار الجن على الدرجة التى تحتهم مباشرة ، إلا أن أحد أفراد الجن اجتهد فى العبادة حتى إرتقى وصار مع الملائكة، وإن لم يكن أصل خلقته كأصل خلقة الملائكة، لأنه مخلوق من نار والملائكة خلقها الله عز وجل من نور العرش.

وحيث أن كل نوع سيد على ما دونه من الأنواع ،وهى مسخرة لحياته ، فإن اصطفاء الله عز وجل آدم على الملائكة والجن إنما هو اصطفاء له على كل الخلق، وصار بهذا الاصطفاء على أعلى درجة فى سلم الكائنات التصاعدى باختيار الله ﷻ له ليكون خليفة له ، ومن ثم قال تعالى أنه خلق لهذا الكائن كل ما على وفى الأرض مسخرا له قال تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠ فقوله تعالى ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ الإسراء: ٧٠ يفيد أن الله تعالى فضلهم على الكائنات العاقلة ، وحيث أن اصطفاءه كان للخلافة فى الأرض فإنه كان على بعض الملائكة وعلى الجن باعتبار أنهما الكائنان العاقلان اللذان يتعامل معهما الإنسان.

لكن على أى حال فإن اصطفاءه عليهما صار اصطفاءاً على العالمين ، من حيث أنهما كانا على قمة الكائنات الحية وغير الحية فى الأرض وغير الأرض. قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الرعد: ٢ ،أى سَخَّرَ الشمس والقمر لكى يقتسم كلاًمِنَ الليل والنهار اليوم الواحد من أيام الأرض ، بل إنهما ليقتسمان الأرض نفسها وهى كرة ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ

ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ الزمر: ٥ وقال تعالى أيضا ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ النحل: ١٢ – ١٨

وقال عز وجل فى تسخير كل ما فى الأرض للإنسان أيضا ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٢ – ٣٤

هذا التسخير لبعض للكائنات السماوية كالشمس والقمر والكائنات الأرضية كلها للإنسان تثبت أن اصطفاء آدم ممثلا للنوع الإنسانى هو على كل ما فى الأرض.

لكن كيف يكون اصطفاؤه على العالمين فى حين أن من العالمين كائنات هما الملائكة والجن ليسا مُسَخرَّين له ؟ بل هما ندان له ولم يصبح الإنسان مفضلا عليهما إلا بعد أن صار مُستخلَفاً عليهما ؟

لقد رفع الله عز وجل الإنسان بالاستخلاف إلى الدرجة الأعلى على سلم الكائنات الوجودى حتى على الجن والملائكة بدليل الأمر لهم وللجن بالسجود لآدم وبنيه بعد أن صاروا مخلوقين ومصوَّرين فى صلبه كما نصت على هذا آية الأعراف آنفة الذكر وهى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ الأعراف: ١١ فسجود الملائكة لبنى آدم دليل دامغ وحجة بالغة على أن اصطفاء الله عز وجل الإنسان على العالمين إنما هو بالدلالة التامة الكاملة لهذه الكلمة ، وإلى هنا ويبقى لاستكمال الإجابة على السؤال الثانى إيضاح هام حول ذكر اسم نوح وإبراهيم وآل عمران مصطفين على العالمين مع آدم عليهم السلام جميعا.

وهذا يتعلق بإعتبار النبوة ،لأن كلامنا فى إجابة السؤال الثانى عن اصطفاء آدم كان باعتبار الإنسانية، بيد أن إشراك نوح وإبراهم وآل عمران معه فى الاصطفاء على العالمين هو باعتبار النبوة، فهؤلاء جميعا وذريتهم من الأنبياء مصطفون على العالمين بما فيهم البشر أنبياء ورسلاً أى أن النبيين والمرسلين من بنى آدم قد اصطفاهم الله عز وجل على العالمين بمن فيهم بنى آدم جميعا.

ثالثاً : إجابة السؤال الثالث وهو : بم اصطفى الله عز وجل آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ؟

اصطفى الله تعالى آدم باعتبار أنه ممثل للإنسانية بعلم الأسماء ،وبالإستخلاف واصطفاه واصطفى معه أو بعده نوحا وإبراهيم وآل عمران وذريتهم للنبوة والرسالة من بنى آدم جميعا بالوحى والكتاب ليكونوا رسلاً مرسلين وأنبياء لله عز وجل مبعوثين إلى الإنس والجن لأن الجن لا يبعث فيهم ومنهم أنبياء أو رسل وهم مكلفون بطاعة رسل البشر ، وقد علمنا من

الجزء الأول أن العنصر الأول والأهم من عناصر النبوة هو اصطفاء الله عز وجل للنَّبِيِّين والمرسلين، والعنصر الثانى هو الوحى ، فالمصطفون مصطفون بالوحى والكتاب للنبوة والرسالة ، والثالث هو المعجزة ،والرابع هو العصمة ،والعنصر الخامس هو البشرية أو الآدمية فلا نبوة ولا رسالة إلا فى الآدميين.

رابعاً : إجابة السؤال الرابع وهو : لم أو لأى غاية أو هدف اصطفى الله تعالى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران بالنبوة على العالمين ؟

الإجابة هى: اصطفاهم الله تعالى للرسالة والنبوة ليكونوا مبشرين ومنذرين ومعلمين وهداة للناس بالأقوال والأحوال والأفعال وليكونوا حججا لله عز وجل على الناس يوم القيامة ،ولئلا يكون للناس على الله تعالى حجة فى هذا اليوم ،وذلك لأن قول الله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ٣٣ - ٣٤،يشمل جميع الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ ﴾ فما من نبى أو رسول من بعد آدم إلى نوح عليهما السلام ،وهم إدريس عليه السلام.إلاَّ وهو من أبناء وأحفاد آدم المؤمنين الموحدين ثم من بعد نوح عليه السلام وهو هود وصالح وغيرهما إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا وهم من ذرية نوح المؤمنين الموحدين فقط ثم من ذرية إبراهيم من إسماعيل واسحق عليهم السلام إمتداداً إلى آل عمران من خلال يعقوب وأبنائه يوسف وإخوته المعروفين ببنى إسرائيل.

ومن ذرية إسماعيل عليه السلام من خلال قريش جاء إمام المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وعليهم جميعا.

وقد علمنا أن النبى ﷺ قد شبه جماعة الأنبياء ببيت كَمُلَ إلا من موضع لبنة ، وأنه هو هذا الموضع لهذه اللبنة التى تم بها بناء بيت النبوة ، أخرج أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم وابن مردوية والبيهقى فى الأسماء ،(عن أبى أمامة ﷺ قال قلت يارسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال قال رسول الله ﷺ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيراً) [1]. وكلهم ذرية بعضها من بعض بدءاً بآدم عليه السلام وانتهاء بمسك الختام سيد وإمام الرسل سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعليهم جميعا ، أى أنهم جميعا وحدة واحدة " ذرية واحدة " ممتدة عبر الزمان والأمكنة بنياناً واحدا قال رسول الله ﷺ وآله (مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها ،وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة) [2].

وموضع هذه اللبنة هو موضع الكمال والتمام فى حقيقة النبوة ، ومن ثم قال ﷺ (وأنا موضع هذه اللبنة) ولم يقل إنه هذه اللبنة فقط ، لأنه فى ذاته هو النبوة الكاملة ومن ثم صار لها خاتما بمعنى أنه ﷺ كمالها وتمامها، فلزم من هذا أن يكون خاتما بمعنى أن لا نبى ولا رسول بعده ﷺ وآله، وهذا يجعلنا نتساءل عما إذا كان الاصطفاء هو للنبوة فحسب ؟. فلم كان الاستخلاف لآدم الإنسان أى باعتباره ممثلا لنوعه وليس باعتباره نبيا أولا ؟.

---

(١) عن كنز العمال للمتقى الهندى مجلد /١١ ص٤٨٢ رقم (٣٢٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد والترمذى عن أبى بن كعب ، وأخرجه أيضا أحمد والترمذى والشيخان عن جابر ، كما أخرجه أيضا الشيخان وأحمد عن أبى هريرة ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى فى كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين رقم (٢٢٨٨٦/٢١).

الإجابة هى : لأن الملائكة عندما أخبرهم الله عز وجل بأنه جاعل فى الأرض خليفة فهموا ،بل وعلموا بحق، بأن هذا الخليفة هو آدم النوع أى الإنسان بدليل قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾فما هو المؤهل الذى به صار الإنسان جديرا بالخلافة ، وأمرت الملائكة والجن بالسجود له ؟.

الإجابة المباشرة المحكمة الدلالة هى فى قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الحجر : ٢٦ – ٤٣ فإذا تدبرنا هذا السياق لوجدنا أن الأمر الإلهى للملائكة، ومعهم أحد أفراد الجن، بالسجود لآدم ، إنما صدر مشروطا بنفخ الروح فيه وبُعَيْدَه مباشرة ،وجاء مقيداً بألا يتأخروا لحظة واحدة عن السجود له بعد النفخ من روحه فيه وهذا واضح من قوله تعالى ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

ومن ثم فإن هذه النفخة الإلهية الكريمة فى آدم هى التى من أجلها ولها سجدت الملائكة له ،ليس لنفسه البشرية السفلية الطينية ، ولكن لذاته

النورانية العلوية التى أصلها هذه النفخة الروحية، فهذه النفخة الروحية هى التى صار بها آدم مؤهلا أن يكون حاملا فى صلبه للنبوة ، ووالدا للأنبياء بعامة، ولسيدهم وإمامهم وخاتمهم بخاصة، سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعليهم ،فالنفخة الربانية الروحية فى آدم هى سر الاستخلاف وسر إفراده بتعلم الأسماء ،وسر إسكانه الجنة ،وسر نبوته أصالة عن نفسه باعتبار شخصه نبياً ،ونيابة عن النبوة بعامة باعتبار حمله للنبوة فى صلبه ذرية بعضها من بعض.

وهذه النفخة إذاً سر إصطفاء آدم الشخص وآدم النبى عليه السلام وآدم والد الإنسانية أقول : إنها سر إصطفائه على العالمين ، الأمر الذى أثار حقدا وحسدا فى النفس الجنية المأمورة بالسجود له، لأن هذه النفس الجنية كانت تتطلع إلى هذه النفخة وعبدت الله عز وجل آلاف السنين حتى قيل سبعين ألف سنة ، حتى تنالها فلم تنلها ،ونالها آدم والنبيون من ذريته عليهم السلام بسابقة الحسنى من الله عز وجل، فخرج منه هذا الكم الرهيب العظيم من الحقد الذى ملأ الدنيا كلها شرا وإفساداً وسفكا للدماء ، وبالرغم من سجود إبليس وعبادته هذه الآلاف من السنين فإن الله عز وجل قال عنه ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وقال الله عز وجل فى موضع آخر ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ لأنه لم يسجد لله تعالى تأليها وتعظيما له، وإنما كان سجوده إعلاء لنفسه، وإكبارا لها لنيل الاصطفاء بالنفخة الربانية من الروح الكلى.

والدليل على أن السر فى حرمانه من هذه النفخة الربانية الروحية الكريمة ،هو أن إبليس اللعين علّل رفضه السجود لآدم بأنه مخلوق من صلصال من حمأ مسنون ،وأنه مخلوق من نار، وأصر على أنه خير منه، وأغفل وتجاهل عامدا متعمدا أنه ما أمر بالسجود له إلا بُعَيْد النفخ فيه من روحه

سبحانه وتعالى ، فتجاهل هذا العطاء الربانى الروحى النورانى من الله عز وجل لآدم عليه السلام ، وقارن مُتَخَابِثاً ومغالطا بين النار والطين فحسب.

ولأنه يعلم عظمة هذا العطاء الإلهى لآدم الذى صار به آدم باعتباره فرداً نبيا مكلما وباعتباره نوعا فوق كل الأنواع ، فقد حقد هذا الحقد الجنونى الذى دفعه أن يضحى بآخرته ويقبل الخلود فى النار مقابل الإذن له بالبقاء فى الحياة الدنيا إلى يوم الوقت المعلوم ،ليضل بنى آدم حتى يكون مصيرهم مثل مصيره ، وحتى يكونوا مخلدين فى النار معه ، إلا عباد الله المخلصين بشهادة إبليس لهم بالنجاة من شِرْكِه وشَرَكِهِ ونفثه وحبائله.

وفى سياق آخر قال الله عز وجل أيضا ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ
(٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾ ص: ٧٠ – ٨٥ ففى هذا السياق
أيضا نجد أن الأمر بالسجود جاء مشروطا بأن يكون بُعَيْدَ النفخة الإلهية الروحية الكريمة على الفور ، وسؤال المولى عز وجل إبليس هنا عن الذى منعه من السجود للكائن الذى خلقه الله تعالى بيديه ، أى أن الله تعالى قد مَنَّ علي آدم وخلقه بيدين بينما خلق إبليس وخلق الملائكة بيد واحدة ، ففى خلقه بيديه يكمن سر اصطفائه لأن من دلالات اليدين فى اللغة العطاءين من الله تعالى لآدم فى حقيقة خلقته وجوهر تكوينه وهذان العطاء ان هما :

الأول : هو عطاء من الله تعالى لآدم عليه السلام من الأرض وهو الطين ومنه جسده والأعضاء، وماؤه وطعامه اللذان تستمر بهما حياته.

والثاني : هو عطاء من الله عز وجل لآدم من السماء وهو النفخة الإلهية الروحانية النورانية التى أنشأ الله بها آدم عليه السلام خلقا آخر بنفخة الروح فيه ، وكذا كل آدمى ينشؤه خلقا آخر بنفخ الروح فيه بعد أربعة أشهر فى بطن أمه ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤، أنشأه خلقا آخر بالروح المنفوخة فيه بعد تمام المائة والعشرين يوماً .

فسبب حقد إبليس وإعلانه الحرب على آدم وذريته حتى يضله ولكى يجعل مصيرهم معه خالدين فى جهنم إن أطاعوه ،سبب هذا الحقد كله هو لأنه فاز هو وذريته بنفخة الله تعالى الكريمة من الروح ،وفى ذريته إبنا إبنا وولداً ولداً وبنتاً بنتاً بعامة ، وعلاوة على هذا بنور النبوة بخاصة فى مائة وأربعة وعشرين ألف نبى فى مقدمتهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا إصطفاهم الله عز وجل من ذرية آدم عليه السلام لحمل هذا النور فى أصلابهم جيلا عن جيل فصاروا مؤهلين للبعث إلى أقوامهم أنبياء صالحين مصلحين ورسلا مبشرين ومنذرين مبلغين رسالات ربهم إلى الناس. جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وعصراً بعد عصر ولأمةٍ بعد أمة.

ولئن كان مقدار حسد إبليس وحقده على آدم ، بسبب حمله فى صلبه نور النبوة والرسالة بعامة ، قيراطا واحدا ، فإن حسده لآدم وحقده عليه بسبب حمله النور المحمدى فى صلبه الثلاثة والعشرين قيراطا الباقية، فبهذا النور ولهذا النور سجدت الملائكة لآدم ، إذ لم يكن آدم عليه السلام قبل النفخ الإلهى فى جسده المسوّى من الطين مستحقا لهذا التكريم ،ولهذا الاصطفاء

على العالمين ، لأن الأمر الصادر للملائكة بالسجود صدر إليهم ، ليس بُعَيْد التسوية من الطين ولكن على الفور بُعَيْدَ نفخ الله عز وجل فيه من روحه ،وهذا بمقتضى الدلالة اللغوية لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ص: ٧٢ فتدبر قوله تعالى بفاء التتابع الفورى ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ أى خروا سُجَّداً على الفور بُعَيْدَ لحظة النفخ فيه من روحى، كما وضح لنا هذا من قبل.

فبالنور النبوى بعامة وبالنور المحمدى بخاصة اصطفى الله تعالى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، اصطفاهم له وبه أيضا على الناس أى على سائر بنى آدم ، واصطفى بنى آدم بهم ، أى بالأنبياء والرسل ، وبالنور المحمدى أو من أجل النور المحمدى على العالمين.

ملحوظة هامة تلزمنا بالتوقف عندها :

وقبل أن ننهى الحديث عن آية الاصطفاء العام للإنسانية واصطفاء النبوة على العالمين أود التنويه إلى أمر هام يسترعى التوقف عنده والتأمل فيه ، ألا وهو عدم ذكر رسول الرسل ونبى الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ جميعا فى هذه الآية لا تصريحا ولا تلميحا ، الأمر الذى يجعلنا على يقين بأنه لابد أن ينفرد ذكره تصريحا ﷺ فى كتاب الله عز وجل، ليس باعتبار أنه من المصطفين فقط ، بل باعتبار أنه إمامهم وسيدهم ونبع نبوتهم ،ورسالته هى أصل رسائلهم ، وكتابه مصدر لكتبهم وحكمته جامعة لحكمتهم ، فإن كان كل نبى منهم وكل رسول منهم مصطفى من المصطفين ،فإنه ﷺ كما أنه هو الرسول وهو النبى وكل منهم رسول ونبى فإنه يكون وحده هو المصطفى ﷺ. وكل نبى وكل رسول مصطفى فقط.

وهذا ما سيتبين لنا ونتأكد منه باستعراض بقية آيات الاصطفاء فى كتاب الله عز وجل للتحقق من مطابقة الدلالة العددية لورود لفظ الاصطفاء فى الآيات الاثنتى عشرة مع الدلالة اللغوية، وللوصول إلى الآية أو الآيات التى تثبت أن رسول الله هو وحده ﷺ وعلى آله هو المصطفى بالدلالة المطلقة للاصطفاء.

الموضع الثانى : وهو قوله عز وجل ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ص: ٤٥ – ٤٨ ،فهؤلاء ستة أنبياء ورسل مصطفون هم: إبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل كلهم عند الله من المصطفين الأخيار. ومن المعلوم أن أنبياء بنى إسرائيل أو بنى يعقوب حفيد إبراهيم عليهما الصلاة والسلام كلهم من أبناء اسحق والد يعقوب ثم من بعد ذلك من ذرية آل عمران بدءا من موسى وهارون وانتهاءً بزكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وبين أنبياء البدء وأنبياء الانتهاء، أنبياء كثيرون عليهم جميعا الصلاة والسلام ، وكلهم مصطفون إذ لا نبى أو رسول إلا وهو مصطفى من الله عز وجل، ولا نبوة أو رسالة بالكسب البتة.

الموضع الثالث : وهى قوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٤ – ٧٥،فالذى ينكر النبوة وإرسال الله عز وجل رسلا من البشر للناس ورسلا من الملائكة لرسل البشر ،لم يقدر الله عز وجل حق قدره ،لأنه يكون بهذا الإنكار قد عَطَّلَ بعض صفات الله عز وجل الذاتية، ومنها صفتا القوة والعزة ،ولأنه سبحانه سميع بصير، فإنه يصطفى من الملائكة رسلا للرسل والأنبياء، ومن البشر رسلا وأنبياء إلى

أقوامهم ، ورسل الملائكة ليسوا أنبياء، ورسل البشر من البشر هم فقط الأنبياء لأن الاصطفاء للنبوة قاصر على البشر فقط كما وضحنا من قبل باعتبار البشرية عنصرا رئيسيا من عناصر النبوة.

فهاتان الآيتان تتحدثان عن سنة الله عز وجل فى اصطفاء رسله إلى البشر من البشر ،ورسله للأنبياء والمرسلين من الملائكة ،وهؤلاء مصطفون كما أن هؤلاء مُصطفوْن كذلك ، والمصطفى من الملائكة من أجل تبليغ رسالات الله عز وجل لمن يصطفيهم من الناس ليبلغوا بدورهم رسالات الله سبحانه للناس أى ليبلِّغوا بدورهم رسالات الله سبحانه وتعالى إلى أقوامهم وأممهم ، فأى مصطفى من فئة هو منهم.

وقد يتساوى معهم قبل اصطفائه ، ولكنه بعد اصطفائه يعلو عليهم ، فاصطفاء الله تعالى رسولا من الناس يدل على أنه واحد منهم ،ثم لما اصطفاه عليهم علا عليهم بحمل رسالة ربهم إليهم ، يثبت هذا قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فهو يطلب أن يبلغه الله عز وجل رسالته إلى الناس بنفسه لأنه لا يؤمن حتى برسل الملائكة ، بل قد يكون هذا المنكر للنبوة والرسالة ممن يظنون أن الله تعالى غير قادر على إرسال الرسل ، ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ (٩١)﴾ الأنعام: ٩١ وأما الذين يقرون بأن الله عز وجل قادر على إرسال الرسل لهداية الناس ولا يرسلهم إهمالا لهم،فهو كمن يقول إن الله تعالى خلق الخلق لهوا ولعباً ،فإنكار النبوة والرسالات السماوية جهل بحق قدْر الله عز وجل وبصفاته الكمالية: الجلالية منها والجمالية ، وكفر بواح

وشرك صريح أكبر ، وحاشا لله عز وجل أن يكون عاجزا عن خلق أو فعل ما يشاء ، وحاشاه سبحانه وعز وجل أن يخلق الخلق لهوا وعبثا ولعباً.

الموضع الرابع : وفيه قوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ البقرة: ١٣٠ – ١٣٢ ،وهذا نص فى اصطفاء سيدنا وأبينا إبراهيم ﷺ وآله والملاحظ على هذا الاصطفاء أمران :

الأول : أنه اصطفاء فى الدنيا.

الثانى : أنه بهذا الاصطفاء فى الدنيا ، صار من الصالحين فى الآخرة ، وفى هذا ما يدل على وجود علاقة وثيقة بين الاصطفاء فى الدنيا والصلاح فى الآخرة [1].

وكذلك ورد فى هذا السياق اصطفاء آخر وهو ما أخبر به إبراهيم ويعقوب عليهما السلام الأبناء ثم الأحفاد وصايةً لهم ،قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ البقرة: ١٣٢

والمعنى أن الله ﷻ خص أبناء إبراهيم من إسماعيل ومن إسحق ومن بعده يعقوب بخير الأديان وأصدق الأديان وأصح العقائد وهى الحنيفية الإبراهيمية من دون سائر الناس، وهذا يتضمن أن جميع الرسل والنبيين الذين سيبعثهم الله عز وجل بعد إبراهيم من ذريته ، فذريته مصطفاة للنبوة والرسالة وهذا ما علمناه من قوله تعالى فى آية الاصطفاء العامة

(١) سيأتى فى فصل لا حق البحث فى هذه العلاقة بين الاصطفاء والصلاح.

﴿وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وكذا فإن الدين الحق الذى سيبعثون به ويُرْسَلون به إلى الناس هو الدين المصطفى على سائر الأديان ، وهو دين واحد وهو الحق عقيدته التوحيد والذى تُعبِّر عنه شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، بيد أن الملاحظة التى تستوجب منا التوقف هى ذكر آل عمران من ذرية إبراهيم فى آية اصطفاء سورة آل عمران ، وكذلك فى آية اصطفاء سورة البقرة التى نحن بصددها إذ جاء ذكر توصية إبراهيم بنيه بعامة ، وبنوه هما إسماعيل وإسحق ، إلا أنه بالنسبة لإسحق فقد خصه بذكربنيه وذريته آل عمران فى الموضعين فقال فى آية سورة آل عمران ﴿وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ بينما يلاحظ أنه لم يذكر من آل إسماعيل قريشا ،أو بنى هاشم كما فى آية البقرة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ ﴾ ولم يذكر إسماعيل صراحةً مع أنه من المعلوم أن إبراهيم وصَّى إسماعيل وإسحق ، وإسحق وإسماعيل أوصيا أبناءهما، ومن ثم وصَّى يعقوب بنيه.

ففى الموضعين ذكر لبنى إسحق ويعقوب وإغفال لذكر إسماعيل وأبنائه، وهذا يتضمن إغفال ذكر سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ وآله فى الموضعين ضمنا ، ولابد أن لهذا حكمة نسأل الله تعالى أن يلهمنا علمها ، آمين ،وهذا الإغفال فى هذه الآية هو الثانى بعد الإغفال الذى فى آية الاصطفاء العام فى سورة آل عمران.

الموضع الخامس : قوله عز وجل ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ

يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢ - ١٤٤

ولفهم هذا السياق أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد :

إن موسى عليه الصلاة والسلام طلب من الله عز وجل الرؤية ، وما كان ليطلب منه هذا إلا بعد أن علم من الله عز وجل أن هذا جائز ، وأن غيره من الخلق ناله أو سيناله فى الدنيا ، فجاء رد الله عز وجل على موسى عليه الصلاة والسلام موضحا له السر فى عدم إمكانية الرؤية له لضعف فى تكوينه هو ، فلما رأى الجبل قد إنهار دكًّا أدرك ضعف كينونته ، وأنه ليس مثل الذى علم عنه أنه رأى ربه عز وجل أو سيرى ربه عز وجل ، ومن ثم تاب إلى الله سبحانه وتعالى ، وصرح مقراً بأنه أول المؤمنين بالحقيقة التى خرج بها من تجربته هذه ، وهى أن الله عز وجل لم يخلقه هو مستطيعا للرؤية الكريمة فى الدنيا ، مع علمه بأن الله عز وجل قد خلق الذى يستطيع أن يرى الله عز وجل فى الدنيا ،ومن ثمَّ فليس وصف نفسه بأنه اول المؤمنين بمعنى الاولية المطلقة لأهل الإيمان ولكن بالمعنى المقيد بموضوع السياق، أى أنه أول المؤمنين بأنه لا يراه سبحانه ولن يراه فى الدنيا أحد إلا هذا العبد الأول.

ومن ثم ذكَّر الله عز وجل موسى عليه السلام بما مَنَّ به عليه واصطفاه وهو رسالاته وكلامه ،ولم يمن به على غيره من إخوانه الرسل ،فعليه أن يأخذ ما منَّ الله تعالى به عليه ،ويرضى بما قسم الله تعالى له ، ويشكره عليه فقد اصطفاه على الناس برسالاته وعلى إخوانه المرسلين بكلامه.

الموضع السادس : وموضوع الاصطفاء فى هذا الموضع للملك وليس للنبوة قال تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ

مِنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧

وفى هذا الموضع يتجلى عنصر الرفعة والعلو فى مادة " اصطفى" إذ إصطفاه الله عز وجل بما أتاه سبحانه من بسطة فى العلم والجسم ،وهما هنا مؤهل اصطفائه للملك، أى أنه أُصْطُفِىَ بهما ، أقول يتجلى فى اصطفاء طالوت من بنى إسرائيل ليكون ملكا عليهم وليسعى لتحقيق هدف أسمى وهو دخول الأرض المقدسة لفتحها وبناء المسجد الأقصى بعد ذلك فى عهد سليمان عليه السلام ، وقد علا طالوت على بنى إسرائيل، وأقام لهم دولتهم فى الأرض المقدسة ،لأنه كان يسير على بصيرة ، وهذا يدل على أن الاصطفاء لغةً وشرعا لا يكون للنبوة والرسالة فقط ، ولكن لغيرهما ، ولكن لابد أن يكون لأمر عظيم ولمهمة عالية ليس لها غاية إلا الإصلاح.

الموضع السابع : وفيه سَخِرَ رب العالمين سبحانه من أهل مكة الذين قالوا إن الملائكة بنات الله وأنه سبحانه أعلى من قيمة المرأة، أى اصطفاها على الرجل مع أنهم كانوا يئدون البنات ، قال تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الصافات: ١٤٩ – ١٥٥، وهذا استفهام سخرية منهم : أأصطفى الله عز وجل البنات على البنين ؟مع أنكم أيها الجاهليون تئدونهن ، وسخر سبحانه وتعالى منهم ومن عقيدتهم فى الملائكة أيضا قال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الزخرف: ١٦ – ١٧

فهذا القول من مشركى العرب هو زعم كاذب منهم باصطفاء الله عز وجل الإناث على الذكور ، وهو قول باطل ، لأن الاصطفاء لا يكون إلا

للأفضل على الأدنى ، وليس ثم فروق جوهرية فى الإسلام بين الرجال والنساء لقوله ﷺ (النساء شقائق الرجال) ولكن للرجال عليهن درجة تجعل للزوج على زوجه حق الطاعة فى الأسرة، باعتبارها مؤسسة اجتماعية تربوية إنسانية اقتصادية، ومن ثم فلابد لها من قائد واحد له الكلمة النهائية فى الأمور الهامة، إذا كان فيها اختلاف ، وهذامقابل تكليف الزوج بالنفقة فأعطاه الله عز وجل هذا الحق لقوله تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء: ٣٤ فقوامة الرجل على المرأة فى الأسرة بما أنفق وبما فضل الله تعالى الرجال على النساء فى طبيعة كل منهما التى تناسب دور كل منهما فى بقاء النوع ، ومن ثم جعل للرجال على النساء درجة ، إذ خصَّ الرجال بالنبوة وجعل مبلغ كمال المرأة فى الصِّدِّيقيَّة.

ومن ثم فالإصطفاء للنبوة، هو للرجال، وكذب المشركون بقولهم الملائكة بنات الله ، وأنه عز وجل اصطفى بهذا البنات على البنين، ليكونوا بناتا له عز وجل ولم يتخذ بنيناً ،والحق أنه سبحانه اصطفى النوع الذكرى من الإنس على الأنثوى ، لا ليكونوا بنينا له ، حاشا لله عز وجل أن يتخذ ولداً ، أو أولاداً ، ولكنه اصطفى من الرجال مائة وأربعة وعشرين ألف رجل من عباده المخلصين ليكونوا أنبياءً ورسلاً مبعوثين إلى عباده حتى لا يكون لهم حجة على الله عز وجل يوم القيامة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥. فهل معنى هذا أنه ليس من سنة الله عز وجل فى الاصطفاء اصطفاء النساء ؟ كلا ، فإن الله يصطفى منهن اللائى يشاء ليس للنبوة والرسالة ، ولكن

لدرجات وكمالات عليا أخرى تخصهم ، ومن هذا اصطفاء مريم عليها الصلاة والسلام وهو موضوع البند التالى فى الاصطفاء.

الموضع الثامن : وفيه اصطفاء مريم عليها الصلاة والسلام مرتين قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ آل عمران: ٤٢ – ٤٣ ، وهذا السياق تضمن لفظ الاصطفاء مرتين، وهما يخصان مريم عليها السلام ، وهو إصطفاء من مقام إصطفاء الأنبياء والرسل إذ جاءها الخبر من الملائكة بأن الله تعالى إصطفاها وظهرها واصطفاها مرة ثانية بعد أن طهرها ،ومن ثم فكل اصطفاء لهدف أو مهمة يختلف عن الآخر، حيث أن كل اصطفاء هو " على " و" من أجل" فان الاصطفاء الأول لمريم غير الاصطفاء الثانى.، وبيانهما كما يلى:-

الأول : هو اصطفاؤها على نساء آل عمران اللائى كن أفضل نساء بنى إسرائيل فى هذا الوقت لقوله تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٢ – ٣٧ .لقد نذرت إمرأة عمران ما فى بطنها لله ﷻ، وقد فسر بعض المفسرين هذا بأنها نذرته لخدمة الهيكل ، والبعض للعلم أو الجهاد ، وأيا كان الذى نذرت ما فى بطنها له ، فإنها كانت

ترجو أو تتوقع أن يكون ذكرا ، ومن ثم فوجئت بعد الوضع أنه أنثى ، وجهاد الأنثى الرئيسى هو الحمل والإرضاع والتربية ،أى أن تكون أما للصالحين والصالحات. ومن ثم فإن اصطفاء الله تعالى لها الأول هو إصطفاؤها على نسوة العالمين المعاصرات لها من نسوة آل عمران لأن الله تعالى إصطفى آل عمران على العالمين ، أى أنه سبحانه لما اصطفاها من نساء آل عمران عليهن صار اصطفاؤها على نساء العالمين ، ومن ثم فقد بقيت الإجابة على السؤال : من أجل ماذا هذا الاصطفاء الأول ؟

الإجابة هى : لكى تكون أما لرسول من أولى العزم من الرسل وهو سيدنا عيسى عليهما السلام من غير أن يمسسها بشر، ليكون عيسى عليه السلام من غير والد بشرى، فتكون مريم وإبنها عليهما السلام آية للعالمين. قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون: ٥٠.

أما الاصطفاء الثانى الذى قال عنه الله عز وجل ﴿ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فلا يمكن أن يكون فى هذه الحياة الدنيا ، لماذا ؟ لأن أعظم عبادة وجهاد لمريم عليها السلام فى حياتها الدنيا هى ولادة وتربية المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وأن تكون وابنها آية من آيات الله عز وجل للعالمين ، وهذا كله هو ما تجلّى فيه الاصطفاء الأول ، ومن ثم فلابد أن يكون اصطفاؤها الثانى فى غير الحياة الدنيا ، أى لمكانة عليا فى الآخرة ، فهو جزاء أخروى لأنه ليس ثم اصطفاء فى الدنيا لأنثى أعظم من اصطفائها لتكون أما لأحد الرسل الخمسة من أولى العزم ،فليس لمريم مجال أو نوع آخر من الاصطفاء لتُصْطَفَى به فى الدنيا ، فلزم أن الاصطفاء الثانى لها فى الآخرة فمن أجل ماذا يكون اصطفاؤها على نساء العالمين فى الآخرة ؟ لبيان هذا الأمر أقول إن اصطفاء المرأة لا يعدو أن يكون واحدا من ثلاثة :

إما أن تكون أما وقد صارت فى الدنيا أما لرسول من أولى العزم وهذا هو اصطفاؤها الأول.

وإما أن تكون إبنة وقد فازت بهذا الاصطفاء فاطمة الزهراء خير ابنة لخير الخلق، فهى سيدة نساء العالمين حالة كونها ابنة عليها وعلى أبيها الصلاة والسلام.

وثالثاً: بقى أن تُصطَفى المرأة زوجة ،وهذا هو اصطفاء مريم عليها السلام الثانى فى الآخرة وهو أن تكون فى الجنة زوجة لخير الأنام وخير الرجال بل خير الخلق قاطبة.

وفى ذلك فلتتنافس الصِّدِّيقات المتبتلات القانتات العابدات ، ومن ثم فإن أزواج سيدنا رسول الله ﷺ وآله أمهات المؤمنين كن خير نساء الإنسانية المعاصرات له، ولذا فقد اصطفاهن الله تعالى أزواجا له فى الدنيا والآخرة ، بيد أن فى التاريخ السابق أى للأمم السابقة على تشريفه ﷺ لهذه الحياة الدنيا نجد ذكراً فى كتاب الله عز وجل لنساء بلغن درجة الكمال الإنساني النسوى التام فصرن مثلا للذين آمنوا ،ضربه الله عز وجل بإثنتين منهن عليهما السلام بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ التحريم: ١١ – ١٢.

ومن ثم صارتا مستحقتين لكى تصطفيان زوجين له ومعه فى أعلى درجة فى الجنة ، وكذلك وفى ذلك تنافست مع المتنافسات على هذا المقام الأخروى العالى بل الأعلى كلثم أخت موسى وهارون عليهم السلام أبناء

عمران فبلغت درجة الكمال الإنسانى النسوى التام عبادة وطهرا وقنوتا وجهاداً فى سبيل الله ﷻ، وكان موسى عليهما الصلاة والسلام فى مهده عائما فوق مياه نهر النيل فى تابوته الصغير وكلثم تتبعه ببصرها وبمهجة قلبها لهفة وخوفا عليه، وظلت تجاهد معه بعد بعثه مع أخويها موسى وهارون وبنى إسرائيل حتى عبروا البحر هربا من فرعون وجنوده ، ومن ثم صارت من أسعد نساء العالمين باصطفائها لتكون زوجة لرسول الله ﷺ فى الجنة. ودليل هذا ما رواه الطبرانى عن سعد بن جنادة أن النبى ﷺ قال (إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى) [1].

فإذا تساءلنا : لمن و لم اصطفى الله تعالى مريم عليها السلام الاصطفاء الثانى؟ لجاءت الإجابة على الفور اصطفاها لرسول الله ﷺ زوجا فى الجنة له مع أزواجه فى الدنيا ،ومع أسيا بنت مزاحم و كلثم ابنة عمران.

الموضع التاسع : قال الله عز وجل ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ فاطر: ٣١ – ٣٥. فقوله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ يدل على أن الله عز وجل اصطفى من البشرية أمة على سائر الأمم وخصها بوراثة الكتاب وهذه الأمة المصطفاة الوارثة للكتاب غير بنى إسرائيل الذين قال عنهم الله عز وجل ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الدخان: ٣٢ ، فهم

(١) عن كنز العمال مجلد ١١ ص٤٤٤ حديث رقم ٣١٩٨٨.

شعب الله المختار ليكونـوا الأمـة التوراتيـة الموسـوية التـى بـدأت بيعقـوب ويوسف ثم موسى وهارون وداود وسـليمان وغـيرهم حتـى زكريـا ويحيـى وعيسى عليهم السلام. فالاختيار هو أخذ الفاضل مع ترك الأفضل لحكمة ، أما الاصطفاء فلا يكون إلا عـن استـصفاء ، فيكـون للوصـول إلى الأفـضل مطلقا ، ومن ثم يفيد قوله تعالى عن بنى إسرائيل ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ ﴾ أنه كان هناك شعب معاصر لهم خيرا منهم بيد أن الله عز وجل اختـار بنـى إسرائيـل للرسالة والنبوة والكتاب والحكم مع وجود من هم خير مـنهم لحكمـة عليـا يعلمها سبحانه ومن ثـم قـال ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ لأنه فى علم الله ولحكمة عليا عنده سبحانه أنـه أدخـر الأمـة المـصطفاة عـلى العالمين التى سيورثها الكتاب ، أدخرها لخاتم النبيين وإمام المرسـلين لتكـون الأمة المصطفاة له، وللكتاب المنزل عليه ﷺ.

ولبيان هذا أقول وبالله تعالى التوفيق والـسداد : إن الله بعـد أن إبـتلى سـيدنا وأبانا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعدة ابتلاءات آخرها أمـره بـذبح ولـده الوحيد وابنه الذى جاءه على الكبر إسماعيل ففـاز إبـراهيم وإسـماعيل وأمـه هاجر عليهم الصلاة والسلام فى هذا الابتلاء العظيم و البرهان المبـين لمـدى حب إبـراهيم وإسـماعيل وهـاجر علـيهم الـصلاة والـسلام لله عـز وجـل وطاعتهم له ، وما أصعبه من إمتحان بعد فوزهما قال الله عز وجل لإبراهيم: إنى سأجعلك للناس إماما إلى نهاية الـدنيا،فلا يـأتى نبـى أو رسـول إلا مـن ذريتك التى سأباركها وسيكون فـيهم الكتـاب والحكـم والنبـوة ،ومـن ثـم سيكون رسولى وحبيبى الخاتم والنبى الإمام لك ولكل إخوانك مـن النبيـين والمرسلين من ذريتك المباركة ، وأبشرك بإسحق من زوجك العجوز العقـيم سارة، ومن بعد إسحق يعقوب ، وسأجعل النبوة والحكم و الكتـاب أولا فى ذرية إسحق من يعقوب.

أما إمام النبيين والمرسلين وخاتمهم وحبيبي أو رسولى للعالمين محمد ﷺ فسأجعله وحده من ذرية إبنك إسماعيل لفوزه معك فى هذا البلاء المبين ولتقديمه رقبته ووضعها تحت السكين لذبحه طاعة وعبادة لى وطاعة وبرًّا بك ، وهذه مِنّةٌ عظمى عليك وعلى إسماعيل لم ينلها غيركما من النبيين والمرسلين من بنى إسحق ويعقوب ، قال تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤.

لقد طلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الله تعالى أن يجعل الإمامة للناس فى ذريته من بعده فاستجاب الله تعالى له، وجعلها فى ذريته ماعدا الظالمين منهم ،وظلت النبوة والرسالة فى بنى إسرائيل أولا ،حتى دب الفساد فيهم وصاروا غير صالحين للرسالة والنبوة بعد محاولة قتل عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، فكان هذا إيذانا بنقل الكتاب والحكم والنبوة إلى الفرع الثانى من ذرية سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الذى تمثل فى قريش وأبناء إسماعيل عليه الصلاة والسلام والذى لم يأت منه نبيٌّ إلا رسول الله ﷺ وآله.

ولا شك أن إسماعيل أَخْيَر وأفضل من إسحق ،لأنه الذبيح ومن ثم جعل الله عز وجل رسوله الخاتم ﷺ فى صلب إسماعيل عليه السلام، فعن واثلة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) [1].

---

(١) عن كنز العمال مجلد /١١ ص٤٢٣، رقم (٣١٩٨٤) وعزاه للترمذى كتاب المناقب باب فى فضل النبى ﷺ برقم (٣٦٠٦) وقال : حسن صحيح.

ومن ثم لما جعل الله عز وجل النبوة فى ذرية إسحق أولا، لم يكن هذا إصطفاءًا لبنى إسرائيل، وإنما كان إختياراً لهم، لأن بنى إسماعيل كانوا خيرا منهم ، وسيكونوا هم الأمة المصطفاة على كل الأمم ،لأنها خير الأمم لكونها الأمة المصطفاة لسيد وإمام الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، فهى أيضا الأمة الخاتمة التى سيؤول إليها وراثة الكتاب الخاتم المشتمل على الكتب السماوية المنزلة على كل النبيين من قبله.

فالشعب العربى الإسماعيلى القرشى هو وحده الشعب المصطفى لحمل النبى ﷺ فى صلب المجتبين الأخيار من قريش ، ثم صارت الأمة المحمدية المتمثلة أولا فى المهاجرين والأنصار ثم كل من آمن بشهادتى الحق لا إلى إلا الله محمد رسول الله هى الأمة المصطفاة على أمم الأرض منذ آدم إلى قيام الساعة فالعرب بعامة وقريش بخاصة قوم النبى ﷺ وآله هم أفضل وأَخْيَر الأقوام والشعوب منذ آدم إلى قيام الساعة.فالأمة المحمدية أمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هى خير أمة أُخرجت للناس لأنها الأمة المصطفاة على سائر الأمم لتكون أمة إمام المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين ﷺ وآله ، وهذا تفسير قول تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهذا يوضح لنا تعليل خيرية الأمة المحمدية قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠ فمصدر خيرية هذه الأمة كونها الأمة المصطفاة لخاتم النبيين أمةً محمديةً له ، ومصطفاة بالتالى لوراثة الكتاب الخاتم الشامل لكل الكتب السابقة عليه.

والخلاصة أن الأمة الإسلامية المحمدية الخاتمة الوارثة للكتاب الخاتم الشامل هى التى اصطفاها الله عز و جل من دون كل الأمم فى تاريخ البشرية لتكون أمة للرسول الخاتم ﷺ وآله. فهو ﷺ مصطفى له فى هذه الآية.

الموضع العاشر : فى هذا الموضع العاشر الوارد فى سورة النمل بعد أن ذكر الله عز وجل بعضا من مشاهد أو أحداث من سيرة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وبعده من سيرة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ثم عودة إلى طرف من سيرة صالح عليه الصلاة والسلام الذى بعثه الله تعالى لثمود ، ثم من سيرة لوط عليه الصلاة والسلام الذى بعثه لقومه، فذكر مشهد إستئصالهم، كما ذكر مشهد إستئصال ثمود وفرعون وجنوده ، بعد هذه المشاهد من سير هؤلاء المصطفين الأخيار مع إثبات نجاتهم والذين آمنوا معهم خاطب الله عز وجل الرسول الخاتم ﷺ وآله بقوله تعالى له ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النمل: ٥٩.فأمره أن يحمد الله عز وجل أولا والحمد يتضمن الشكر على إنجائه سبحانه رسل الأقوام المستأصلين والذين آمنوا معهم وبعد الحمد أمره أن يقول : (وسلام على كل الذين اصطفاهم الله عز وجل ،وهم جميع الأنبياء والمرسلين، بمن فيهم هؤلاء الذين سبق ذكرهم فى هذا السياق وغيرهم ممن لم يذكروا ، وهذا يجعلنا نتساءل : لماذا لم يكن السلام على الذين اصطفاهم الله عز وجل للرسالة والنبوة من الله ﷻ إليهم مباشرة ، وجعل السلام من حبيبه ﷺ لهم ؟ ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ... ﴾ أى " وقل سلام على عباده الذين اصطفى .. " أى كل النبيِّين .

أو بتعبير آخر: جعل سبحانه سلامه ﷻ إلى عباده الذين اصطفاهم واصلاً إليهم برسوله وحبيبه ، وليس مباشرة منه عز وجل لهم ، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبلغ سلامه لهم ؟

وهذه أيضا تذكرنا بمشهد من مشاهد المعراج إذ بعد أن حَيَّا النبي ﷺ ربه عز وجل بقوله (التحيات لله والصلوات والطيبات) وردَّ عليه ربه عز وجل بقوله (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) جاء رد النبي ﷺ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ومن ثَمَّ فَلاَ سلام من الله عز وجل على الصالحين إلا من خلال وعن طريق واسطة هى رسول الله ﷺ إلى الرسل ونبي الله ﷺ المبعوث فى الأنبياء وللأنبياء .

فلنتدبَّر كيف أن الله عز وجل اصطفى إبراهيم ﷺ فى الدنيا نبيا ورسولا بل خليلا ثم قال عنه أنه فى الآخرة من الصالحين قال تعالى عن سيدنا إبراهيم : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠) فقوله : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النمل: ٥٩) هو سلام من الله عز وجل إلى الذين اصطفاهم الله عز وجل مرسلُ منه سبحانه تبليغا لهم من حبيبه ﷺ وآله ،وهذا متوافق تماما مع حقيقة أنه ﷺ وآله رسول الله إلى المرسلين والنبيين أى إلى الذين إصطفى.

فهو ﷺ البرزخ بين الله ﷻ وبين جميع الأنبياء والمرسلين، بل هو ﷺ البرزخ بين الحق والخلق.

فهل حبيبه ﷺ وآله من هذه الفئة ، أى فئة المصطفين التى كلف الله تعالى حبيبه أن يرسل إليهم سلاما منه عز وجل؟

لا شك أن المنطق القويم يقول : لا يصح القول أنه منهم ومعهم ثم يرسل إليهم من الله سلاما ، كما أنه ليس منهم وليس معهم إذ تلقى من الله تعالى السلام والرحمة والبركة وهو فى مقام قاب قوسين ، بل أدنى من قاب قوسين

، ثم هو ﷺ وآله لم ينس أن يتقبل السلام والرحمة والبركة من الله له ولعباده الصالحين الذين على رأسهم المرسلين والنَّبِيِّين عليهم جميعا الصلاة والسلام.

فالمذكورون فى كتاب الله عز وجل باسم أو بوصف " المصطفَيْن " الأخيار فى الدنيا ، وباسم أو بوصف " الصالحين " فى الآخرة هم فئة أو جماعة ليس منهم حبيب الله ورسوله إلى المرسلين ونبيه المبعوث فى النَّبِيِّين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله أجمعين ، وإن كان هو ﷺ اسماً ووصفاً " الرسول " وليس مجرد رسول ، وهو اسما ووصفا " النبي " وليس مجرد نبي ، فهو بالضرورة اسما ووصفا لابد أن يكون " المصطفى " وليس واحداً من الذين اصطفاهم الله عز وجل فى الدنيا ،وهو أيضا اسما ووصفا " الصالح " وليس واحدا من هؤلاء الذين جعلهم الله تعالى صالحين فى الآخرة ويوصف كل واحد منهم بأنه صالح.

من أجل هذا كله لم نجد فى كتاب الله عز وجل آية واحدة من آيات الاصطفاء تثبت أن النبي ﷺ واحدٌ من هذه الجماعة المنعوتة فى الكتاب بالمصطفين الأخيار ، كما وصف الله تعالى بهذا الوصف أنبياءًا ورسلاً على رأسهم آدم ونوحا وإبراهيم وغيرهم من المرسلين.

فكيف يكون موصوفا بالرسالة بألف ولام التَّعريف الإستغراقية ، وموصوفًا بالنبوة بألف ولام الاستغراق ، ثم يُوصف النَّبِيُّون بالاصطفاء ولا يوصف النبي ﷺ وعليهم جميعا بألف ولام التعريف الاستغراقية اى المستغرقة للاصطفاء ، فيكون هو ﷺ وآله نبع الاصطفاء وأصله وخزائنه الروحية الأحمدية ، ومن ثم فليس ثَمَّ مصطفى من ذكر أو أنثى أو من بشر أو ملك إلا مشكاته هو المصطفى ﷺ وآله.

حقا لقد بقيت آية واحدة فى كتاب الله عز وجل عن الاصطفاء، بَيْدَ أنها لم تتضَمَّن ذكرا صريحا لاصطفاء سيدنا محمد ﷺ وآله ، واستكمالا لهذا البحث سنذكرها نَصًا ودراسة فى الموضع الأخير الوارد فيه مادة الاصطفاء فى الكتاب.

الموضع الحادى عشر :

وهى قوله تعالى : ﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر : ٤) وغنى عن البيان أن موضوع هذه الآية الكريمة ،يبدو للمتدبِّر لأول وهلة، أنه يدخل فى باب آخر هو توحيد الألوهية ،وتنزيه الله عز وجل عن خاصية من خصائص البشرية ، بل هى خاصية لكل الأحياء بمختلف أنواعها سواء العليا منها أو الدنيا وهى خاصية التوالد ، والله عز وجل علا وتنزَّه وتقدَّس عن أن تُنْسب له صفة أو خاصية من صفات أو خصائص المخلوقين بعامة، أو الأحياء بخاصة، أو أحوال وخصائص البشرية بالأخص ،وأَخَصُّ هذه الخصائص خاصية التوالد، وهذا مبيَّنٌ ومؤكدٌ ومُفَصَّلٌ فى كتاب الله عز وجل فى أكثر من موضع من أبرزها قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤) فنفاها سبحانه عن نفسه تنزيها وتعظيماً وإجلالا فهو لم يلد ولم يولد ، وقوله عز وجل : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الكهف: ٤ - ٥) وقوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن

كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ
عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم: ٨٨ – ٩٥

وتفسير هذه الآية الحادية عشرة من آيات الاصطفاء هو أنه ليس فى الوجود سوى الله عز وجل إلا المخلوقين، فكل ما سواه مخلوق له سبحانه، وكل خلقه عبيد له عز وجل، فكل السوى عبيد له عز وجل، رضوا بعبوديتهم له سبحانه وتعالى أم أبوا، حتى أنه إذا أراد أن يتخذ ولدا لاصطفى من خلقه أو مما خلق من يشاء.

" ولو" عند علماء اللغة حرف امتناع من الوجود فاتخاذ الله للولد ممتنع فى حقه سبحانه، وعلى فرض أنه شاء ذلك، فلن يكون الذى يتخذه ولدا إلا واحدا من خلقه، لأنه سبحانه لم يولد ولم لا ولن يلد سبحانه، لأن هذا من خصائص الحي المخلوق الفانى، والله سبحانه هو الأزلي الحي الخالق الباقي الدائم الغنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وتقدس وتنزه وجل أن يتخذ صاحبة وولدا، وخلاصة القول أن هذا الموضع الأخير من مواضع الإصطفاء فى كتاب الله عز وجل كسوابقة من المواضع لم يرد فيه ولا فيها ذكر صريح لرسول الله ﷺ لإثبات اصطفاء الله عز وجل له، كما أثبت اصطفاء الله عز وجل لآدم ونوح وإبراهيم وغيرهم من المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والسلام.

ومن ثَمَّ يمكن القول أن الكتاب لم ينص على أن حبيب الله عز وجل سيدنا ومولانا محمداً صلوات الله عليه وسلامه، لم ينص على أنه من جماعة أو

فئة الذين ذكرهم الله باسم أو بوصف أو بنعت المصطفين الأخيار ، وهذا يدعونا إلى طرح السؤال التالى :

لِمَ لَمْ يرد فى الكتاب ذكر سيدنا ومولانا محمد ﷺ باسم " المصطفى " إذاً بألف ولام التعريف الاستغراقية كما جاء ذكره فيه باسم " الرسول " وباسم " النبى " ؟ الإجابة على هذا السؤال المحورى فى موضوع اصطفاء رسول الله ﷺ هى موضوع الفصل التالى بإذن الله تعالى وعونه وفتحه وتوفيقه.

الفصل الثانى

رسول الله ﷺ هو وحده " المصطفى له "

فلا يجوز أن يكون " مصطفى من "

بحسب الدلالة العددية للفظ الإصطفاء فى القرآن الكريم نجد أن رسول الله ﷺ ليس موصوفا بالإصطفاء، حيث لم يرد اسمه ضمن قائمة النَّبيِّين الموصوفين بأنهم المصطفوْن الأخيار وهذه القائمة التى بدأت بآدم مصطفى من الأنواع العاقلة من الخلق وكذا نوح وآله.. وإبراهيم وآله وعمران وآله من ذرية آدم. وقد لوحظ بحق تجنب النصوص الواردة فى الاصطفاء ذكر سيدنا رسول الله ﷺ إذ تتحدث جميعها عن اصطفاء فرد من جماعة ، والسؤال هو : لماذا لم يرد وصف رسول الله ﷺ بالاصطفاء كسائر الرسل والأنبياء ؟!

الإجابة هى : أنه لم يرد فى المواضع التى ورد فيها لفظ الاصطفاء ذكر صريح لسيدنا رسول الله ﷺ بأنه مصطفى مثل آدم ونوح وإبراهيم وغيرهم من الرسل والنبيين كما لم يرد ذكره مع النبيين والمرسلين باعتبار أنه واحد منهم نبى رسول ، لأنه النبى الرسول ، نبى الأنبياء ، ورسول الرسل فهو النبى والرسول ﷺ ، ولكن قد ورد ذكره ﷺ وآله فى كل مواضع الاصطفاء مضمراً أى ذكراً غير صريح ، أى أنه مذكور فى هذه المواضع كلها ، ليس باعتبار أنه ﷺ " مصطفى من " شأنه شأن سائر المصطفين من الرسل والنبيين ﷺ ، ولكنه مذكور ضمنا باعتبار آخر غير إعتبار سائر النبيين، ولشأن آخر غير شأن المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين، ولا حتى شأن الأربعة أولى العزم منهم ، وعلى رأسهم سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ ، وهذا الشأن الآخر له ﷺ وآله هو أنه وحده الذى إصطفى الله تعالى له المصطفيْن الأخيار

جميعا، وأمتة المحمدية مصطفاة له أيضا فكل من ثبت بالقرآن اصطفاؤه فهو مصطفى من أقرانه وقومه له و " مصطفى عليهم لـه" أى ليكون نائبا عنه عليهم " ومصطفى لحمل نوره ﷺ إلى قومه لهدايتهم ،فرسول الله وحبيبه ورحمته للعالمين ليس مثلهم فى الاصطفاء ،لأنهم مصطفوْن من كل البشر ليكونوا نوابا عنه مرسلين ومبعوثين لأقوامهم بنوره لهداية الذين يتبعونهم من أقوامهم ،فهل كان قبل اصطفائه واحدا من الذين اصطفاه الله تعالى عليهم ؟

بالقطع لا ، فهو ﷺ لم يكن كذلك ، لأنه هو الذى اصطفى لـه الله عز وجل المصطفيْن جميعا ، والمصطفى له لا يكون من الذين اصطفاهم الله تعالى لـه ، عقلا كما ثبت هذا نقلا.

ولكى نستبين الذكر الضمنى له ﷺ فى آيات الاصطفاء السابق ذكرها نعود إليها مرة ثانية موضعا موضعا لنغوص فيها أو لنفتش عنه فى معانيها وسنجد بإذن الله تعالى وتوفيقه وفتحة أنه ﷺ مذكور ضمنا باعتبار أنه المصطفى لـه فى كل المواضع ماعدا الموضع الحادى عشر تحديداً ،وما يلى بيان لهذا.

الموضع الأول : وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ آل عمران: ٣٢ – ٣٤. وبناء على ما سبق من تفسير مفصل وموسع لهذه الآية باعتبار أنها آية الاصطفاء العامة والرئيسية ، ومنها تتفرع بقية آيات الاصطفاء وتنبنى عليها.

وأهم ما يهمنا فى موضوعنا الحالى هو أن الذى اصطفى الله تعالى لـه آدم باعتبار أنه ممثل للنوع الإنسانى هو حمل نور النبوة فى ظهره ،هذا النور المتمثل فى الأنبياء والرسل الذين هم ذرية بعضها من بعض وأهمها وأعظمها

النور المحمدى ، وهو السر فى حقد إبليس على آدم وحسده له ورفض السجود له ، إذ البشرية إحدى الخصائص الرئيسية للنبوة ، فلا يُصطفى أنبياء، لا من الملائكة ولا من الجن ، وقد قدمنا الأدلة على هذا وكذلك الاصطفاء الثانى لآدم باعتبار شخصه هو اصطفاؤه نبيا مكلماً.

وبحسب ما علمناه عن النور الأحمدي فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة ، وهو أن أحمد هو النبى المخاطب بالخطاب الإلهى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٦. وأنه هو الروح الكلى المنفوخ منه والممدود منه فى نفوس أو أجنة الآدميِّين بعامة ،وفى نفوس وقلوب النبيِّين بخاصة ، فإن رسول الله ﷺ فى مقامه وحاله الأحمدى هو حقا المصطفى بالألف واللام ، لا أقول أنه مصطفى "من" ولكن أقول قولا دقيقا أنه هو " المصطفى له " ، فآدم ونوح وإبراهيم وآله وآل عمران أى جميع النبيين والرسل بدءًا من آدم عليهم الصلاة والسلام مصطفون له نوَّابا ووكلاء لتلقى معدن وحقيقة ونور النبوة منه ﷺ ، كما أن آدم وذريته، أى النوع الإنسانى ،قد اصطفاهم الله تعالى على الجن والملائكة لكى يدخل فى تكوينهم وفطرتهم الإنسانية النفخة الإلهية الكريمة منه ﷺ فى الحال الأحمدى أى الروح الكلى ﷺ ، وليس هذا فى تكوين الملائكة أو الجن.

فإذا تذكرنا آية الميثاق التى أخذها الله عز وجل على النبيين بأن يؤمنوا وينصروا رسوله وحبيبه ﷺ ،وأن يشهدوا مع الله عز وجل بأنه رسول الله تعالى إليهم ، وإنتهينا إلى نتيجة يقينية بأن رسول الله ﷺ وآله أحمد يا وقبل أن يكون محمد يا هو رسول الرسل ونبى الأنبياء ، ومن ثم فالرسل والأنبياء جميعا هم أمته الأحمدية، كما أننا نحن المسلمين بدءًا بالصحابة والذين من

بعدهم إلى نهاية الدنيا أمته المحمدية ، والأمتان مصطفيتان له نقلا بنصوص القرآن الصريحة وعقلا كما أثبتنا من قبل.

وهذا يثبت أن النبيين والمرسلين مصطفوْن له ﷺ أمة أحمدية منذ يوم " ألستُ بربكم؟ " ، كما أننا نحن المسلمون مصطفون له ﷺ أمته المحمدية فى هذه الحياة الدنيا بسابقة الحسنى من الله تعالى، وهذا يقطع بأنه ﷺ مصطفى "له" وليس مصطفى " من" ، وأنه ﷺ أيضا مصطفى " من أجل " ، وأنه كذلك مصطفى " بـ " وحيث أن النبيين والمرسلين مصطفون من سائر البشر وأن المسلمين أى الأمة المحمدية مصطفون من سائر الأمم ،فإنه ﷺ بهذا يكون بحق هو وحده المصطفى له ، كما تأكد لنا من قبل، أنه وحده ﷺ هو الرسول ورسول الله ومن سواه كل منهم رسول ، وكذلك هو وحده النبى ومن سواه كل منهم نبى ﷺ وعليهم جميعا ، فكل منهم "مصطفى من" وهو وحده ﷺ "المصطفى له" من أجل ذلك لم يرد ذكره ﷺ باعتبار أنه أحد الذين اصطفاهم الله عز وجل ،لأن" المصطفى له" لا يُذكر مع " المصطفين من " وهم الذين اصطفاهم الله عز وجل له ، ﷺ وعليهم جميعا.

الموضع الثانى : وبالغوص وبالتفتيش فى الموضع الثانى نجد أن الرسل والأنبياء الستة المذكورين فى هذا الموضع من كتاب الله تعالى قد تصدر ورود أسمائهم بأمر الله عز وجل لسيدنا ومولانا محمدﷺ بأن يذكرهم بقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ص: ٤٥ – ٤٨ فهل يقول قائل أنه ﷺ من هذه الفئة التى ورد ذكرها بأنهم المصطفون الأخيار ، وهم الذين يذكرهم ، طاعة لله عز وجل ، هو رسول الله ﷺ ؟

وكيف يكون واحدا منهم وهو المأمور بذكرهم ، وبقوله تعالى له (واذكر عبادنا) وقد أمرهم الله تعالى يوم أخذ المواثيق بأن يؤمنوا به رسولا إليهم ،ويكونوا أمةً أحمدية له ،وينصرونه عند أقوامهم الذين سيبعثون إليهم فى الحياة الدنيا ،وأن يشهدوا مع الله بأنه رسول الله إليهم و إلى العالمين.؟!

وكيف يكون النبى ﷺ واحدا من المصطفين والله يقول له عنهم (﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ إلى آخر الآية " وتلك فئة " اسم اشارة للبعيد ؟

وبتعبير آخر زيادة فى البيان أقول : أفيكون هو واحدا منهم وهم الذين جعلهم الله تعالى فئة واحدة وأخرجه منها عندما أخبره وأشار له ﷺ إليهم من بعيد بقوله تعالى (تلك الرسل) أى تلك فئة أو جماعة أو هيئة؟.

ثم أيكون مصطفى مثلهم وقد جعلهم الله أمة أحمدية له منذ يوم المواثيق ، فهل يصح عقلا أن يكون واحدا منهم ومصطفى معهم من الناس ؟ كيف وقد جعله الله هو النبى وهو الرسول وهو نبيهم ورسولهم ومن ثم صاروا أُمَةً له ، فإذا كان كل رسول مصطفى من أمته وعليها ، فهل يصح القول أن سيدنا رسول الله هو مصطفى من الرسل والنبيين وبالتالى مصطفى عليهم ؟ وإذا كانوا هم مصطفين فإنه ﷺ يكون هو المصطفى عليهم ،ومن ثم يكون كل منهم مصطفى ويكون هو وحده المصطفى ﷺ له وعليهم ؟

الموضع الثالث : وفيه آيتان وهما قوله عز وجل (﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٤ - ٧٥

وفى هذا الموضع يضاف اصطفاء رسل الملائكة مع اصطفاء رسل البشر ، وحيث قد ثبت لنا أن رسل البشر مصطفون له ﷺ وكذلك النبيين ﷺ

جميعا فإن الملائكة يكونوا مصطفون له أيضا ﷺ، فهم مصطفون له أحمديًا باعتبار أنه الروح الكلى ،وقد ثبت لنا هذا فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة ، وهم مصطفون له محمديا، أيضا ويكفينا هنا – لعدم الإطالة – قوله : ﷺ (ما من نبى إلا له وزيران من اهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبوبكر وعمر)[1] والوزير مساعد ، فجبريل وميكائيل عليهما السلام إذاً يأتمران بأمره ﷺ ويطيعانه حسب مشيئة الله تعالى ، كما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يأتمران بأمره ﷺ ويطيعانه فجبريل وميكائيل عليهما السلام وزيران له أحمديا ومحمديا عليهما الصلاة والسلام ، بل وزارتهما عليهما السلام له ﷺ ممتدة برزخيا وفى الحشر وما بعد ذلك.

فإذا كان سيدان من سادة الملائكة وزيرين له ﷺ ومُصطفَيْين له ﷺ ، فإنه من البديهى أن يكون جميع الملائكة من دونهما مصطفين له ﷺ كذلك ومعلوم أن الملائكة جنود الرحمن وهم مكرمون عند الله عز وجل فمادون الملائكة من الخلق مصطفى له إذاً ﷺ.

الموضع الرابع : وهو يتضمن اصطفاءين :

الأول : اصطفاء إبراهيم فى الدنيا للحنيفية ، ثم للنبوة والرسالة ثم للخلة ، ثم ليكون أبا للمسلمين ووالدا وجدا للنبى ﷺ ولكل النبيين والصدِّيقين من بعده إلى يوم الدين ، فإبراهيم مصطفى من الله عز وجل أبا وجدا لرسوله وحبيبه ﷺ وفى هذا رِفعَةٌ لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

---

(١)سنن الترمذى حديث_٣٦١٣)باب فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

الثانى : هو اصطفاء الدين الحق لبنيه وهو متصل ومرتبط بالاصطفاء الأول له عليه الصلاة والسلام.

فهل فى هذين الاصطفاءين ما يخص رسول الله ﷺ ؟

نعم : لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى قال الله تعالى له : أسلم ؛ فقال على الفور : أسلمت لرب العالمين ، فصار أبا لكل مسلم سواء أكان إسلامه حنيفيا كإسلام إبراهيم فى بدء حياته صغيرا أم كان إسلامه طاعة للوحى الصحيح كإسلام إبراهيم أيضا بعد اصطفائه للنبوة.

ومن ثم قال الله تعالى للأمة المحمدية ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ الحج: ٧٨. فهذه الآية تثبت – علاوة على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مصطفى للنبى ﷺ أحمديا – أقول إن هذه الآية تثبت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام إصطفاءً آخر خاصا به للنبى ﷺ ، وهو اصطفاء الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباً اعتقاديا للحنيفية المسلمة ،وحيث أمة النبى ﷺ المحمدية حنيفية مسلمة فاستحق إبراهيم أن يكون أبا اعتقاديا قلبيا لها كما أنه أيضا أبٌ جسدى وبشرى للنبى ﷺ ومن بعده الذبيح إسماعيل وآباؤه حتى الذبيح الثانى عبد الله بن المطلب عليه السلام ، وإن كان سيدنا رسول الله ﷺ أبا روحيا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ولكل النبيين والصديقين والمؤمنين ومن بعده إلى يوم القيامة، كما ثبت لنا هذا من الكتاب والسنة فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة ، حيث ثبت لنا أن أحمد أبو آدم ، أى روحياً ، وآدم أبو محمد ، أى جسديا.

وهذه الصلة الخاصة بين سيدنا رسول الله ﷺ وبين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليست بينه وبين غيره من الرسل الكرام ، وكانت أجلى ما تكون فى ذكر سيدنا محمد ﷺ لسيدنا إبراهيم ﷺ بقوله (أبى إبراهيم) فى مواضع متعددة من السنة الشريفة، وزبدة القول أن إبراهيم ﷺ مصطفى له أحمديا ،بل هو أبرز وأخص أمته الأحمدية وإبراهيم مصطفى له ﷺ أيضا محمدياً : والداً وجداً وأباً اعتقادياً لأمته المحمدية المتمثلة فى جميع الذين سماهم المسلمين. فاصطفاء إبراهيم ﷺ أعظم وأجلى من اصطفاء سائر النبيين والمرسلين له ،وكلما كان الإصطفاء له أكثر وأعظم كانت المكانة أكبر وأعظم لذا فإبراهيم ﷺ يأتى على رأس الرسل الأربعة الكبار أولى العزم.

الموضع الخامس : وفيه قوله عز وجل ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢ - ١٤٤. وسبق أن علمنا أن هذه الآيات وثيقة الصلة برسول الله الخاتم ﷺ وعلى موسى ، لأن قول موسى عليه السلام (إنى تبت إليك) أى من سؤالى الرؤية إذ قد علمت أن رسولك الخاتم ﷺ الذى سيأتى بعدى سيراك فى الدنيا فطمحت أن أكون مثله ناسيا أنه هو الذى أخذت يا ربى عَلَيَّ و على النبيين الميثاق بأن نؤمن به وننصره ونشهد معك أنه رسولك الينا نحن النبيين فإنى أتوب إليك من هذا النسيان ،وهذا الطموح (وأنا أول المؤمنين) أى بأنه لن يراك فى الحياة الدنيا إلا هو

ﷺ ، ومن ثم فإنك يارب قد مننت علينا بأن اصطفيتنا نحن معشر النبيين أن نكون أمة أحمدية له ، فكل منا نحن النبيين مصطفى له ﷺ ، فلابد أن يكون هو ﷺ المصطفى لشأن أعلى وأعظم وأكبر مما اصطفيتنا نحن النبيين له :

فمن هو الأعلى والأعظم والأكبر و الأجل الذى له اصطفى الله عز وجل رسوله ﷺ ؟ وما هو الشأن الأعلى والأعظم الذى اصطفاه له الله عز وجل ؟

ستتبيَّن لنا الإجابة على هذين السؤالين فى نهاية هذا الباب بإذن الله تعالى وعونه وفتحه وتوفيقه.

الموضع السادس : وهو خاص باصطفاء طالوت ملكا على بنى إسرائيل قال تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧. وهذا اصطفاء لغير نبى أو رسول وحيث قد وجدنا أن النبيين مصطفون أمة أحمدية للنبى ﷺ، وتلمسنا هذه النتيجة فى كل آيات اصطفاء الأنبياء والمرسلين، لذا فليس فى هذا الموضع من مواضع الاصطفاء صلة مباشرة برسول الله ﷺ ، بيد أنه ثَمَّتَ صلة غير مباشرة له ﷺ ، وهى أن طالوت قد اصطفاه الله ملكا لكى يدخل ببنى إسرائيل الأرض المقدسة، ويمهد لداود وسليمان إقامة الخلافة التوراتية لله تعالى فى الأرض ، ومن ثم فاصطفاء طالوت ملكا هو اصطفاء غير مباشر لرسول الله ﷺ ، لأن داود وسليمان عليهما السلام مصطفيان نائبان للنبى الخاتم ﷺ ،وهما مع طالوت الذين حرروا بيت المقدس من الوثنيين ،هذا البيت الذى سَيُسْرِى الله تعالى بعبده إليه من البيت الحرام ليؤم النبيين فيه صلى الله عليهم وسلم ،فطالوت ثم داود ثم سليمان إصطفاهم الله تعالى

لهذه المهمة وهى تحرير وتطهير ثم بناء بيت المقدس،فطالوت مصطفى له أيضاً من هذا الوجه وكذا داود وسليمان.

الموضع السابع :وهو الذى فيه قول الله عز وجل ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الصافات: ١٤٩ – ١٥٥ لا يبدو لنا أى صلة فى هذا الموضع برسول الله ﷺ لأن قول عرب الجاهلية هذا عن الله ﷻ، إفك وكذب على الله عز وجل ، ومن ثم سخر منهم ومن اعتقادهم الباطل، وقولهم هذا القول السخيف البشع فى نسبة ما لا يرضون أن ينسبوه لأنفسهم لله عز وجل ،وهو البنات دون البنين ، وكل هذا باطل فى حق الله عز وجل ، ولأن هذا الموضع فى حقيقته نفى بل وإبطال نسبة البنات لله عز وجل ،فإن لفظ الإصطفاء جاء رداً على معتقدهم وسخريةً منهم ،ومن ثم ليس له صلة مباشرة باصطفاء رسول الله ﷺ ، وإن كان من آيات الإصطفاء آية تنفى إتخاذ الله تعالى الولد ، ولها صلة برسول الله ﷺ وسيأتى الكلام عنها بعد ، ويكون لهذه الآية صلة بالآية الأخرى ، ومن ثم يكون لهذه صلة بعيدة باصطفاء رسول الله ﷺ لأن لإصطفائه صلة بنفى وتنزيه الله عز وجل عن الولادة ، واتخاذ الأولاد بناتاً وبنيناً ، ولهذا التنزيه لله عز وجل صلة باصطفاء رسوله ﷺ كما سنرى بعد بإذن الله وعونه وفتحه وتوفيقه.

الموضع الثامن : وهو قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ آل عمران: ٤٢ –٤٣ وقد علمنا من تفسيرها السابق أن الاصطفاء الثانى الذى من أجلها طهرها الله تعالى هو

الاصطفاء من نساء العالمين على نساء العالمين لتكون زوجه فى الآخرة لرسول الله ﷺ فى أعلى عليين ، فهى إذاً مصطفاة له ﷺ زوجة ، ليس هى فحسب من النساء بل ونساؤه فى الدنيا وأولاهن خديجة بنت خويلد ومعهن آسيا بنت مزاحم وكلثم بنت عمران أخت موسى وهارون أيضا لقوله ﷺ (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران و إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) [1] والزهراء مصطفاة له بنتا وأُمًّا لذريته وعترته، والأخريات إصطفاهن الله تعالى له زوجات مطهرات له فى الجنة مع نسائه وأزواجه فى الدنيا.

وقوله (كمل من الرجال كثير) أى الأنبياء والمرسلون فلما كملوا اصطفاهم الله تعالى له أمة أحمدية ونوابا ووكلاء عنه إلى أقوامهم قبل مجيئه فى الصورة المحمدية إلى عالم الملك الذى نعيش فيه ، ومن ثم دلَّ هذا على أن إلحاق ذكر الكُمَّل من النساء فى تاريخ البشرية مع ذكر الكُمَّل من الرجال أى النبيين المصطفين له ، دل هذا على أن الكُمَّل من النساء اصطفاهن الله تعالى له كذلك. أزواجاً وأمهات لبنيه وذريته فى الدنيا وأزواجا له فى الآخرة كذلك فهن مصطفيات له ،كما أن النبيين وهم الكُمَّل من الرجال مصطفون له منذ يوم الميثاق وبالميثاق.

الموضع التاسع : وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ

(١)البخارى حديث (٣١٥٩)باب (وضرب الله مثلا للذين آمنوا...)ك حديث الأنبياء.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾
فاطر: ٣١-٣٢

وبناء على ما سبق من تفسير لهذه الآية فإن هذه الأمة الوارثة للكتاب هى أمة القرآن المحمدية ، والكتاب هنا بألف ولام الاستغراق يفيد أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لكل ما سبقه من كتب ورسالات وحكمة سماوية منزلة من عند الله عز وجل ، والدليل على أنه الجامع لما سبقه من كتب وحكمة قوله عز وجل فى آية إشهاد الله عز وجل النبيين على الرسول الخاتم الذى يأتى بعدهم جميعا فى الزمان والذى هو رسوله تعالى إليهم بأنه سيكون مصدقا لما جاءوا به ولكل ما أنزله الله تعالى عليهم جميعاً بدءًا من آدم حتى المسيح عيسى بن مريم عليهم جميعا الصلاة والسلام.

فالمسلمون، أى كل من رضى أن يكون مسلما مؤمنا ومقرا بشهادتى لا إله إلا الله محمد رسول من قلبه منذ بعثه ﷺ إلى نهاية الدنيا ،هم الأمة التى اصطفاها الله عز وجل لحبيبه ورسوله أمةً محمديةً فلم يرد فى كتاب الله عز وجل اصطفاؤه سبحانه لأمةٍ من الأمم غير هذه الأمة المحمدية ولأنه هو وحده ﷺ المصطفى له، فهي الأمة الوحيدة المصطفاه له ﷺ.

وهذه الأمة المحمدية تقابلها على الكفة الأخرى من الميزان الأمة الأَحمديَّة أى النبيين جميعا ،وهم مصطفوْن له ، فالأنبياء وعددهم مائة وأربعة وَعشرون ألف نبى ونَيِّف والمرسلون وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا وفى رواية وخمسة عشر رسولا ،قد اصطفاهم الله عز وجل له ﷺ وعليهم جميعا ، والمسلمون هم الأمة المصطفاة له ﷺ فى الدنيا، والنبيون أمته الأحمدية منذ يوم الميثاق ، والمسلمون أمته المحمدية فى الحياة الدنيا منذ بعثته إلى قيام الساعة ، بل وبعد ذلك هم أمتة فى البرزخ وفى المحشر، حتى يصلوا إلى حوضه بعد عبور الصراط.

وحيث أن البشرية تعيش فى الدنيا أمما وتحشر أمما وتحاسب أمما ، فكل أمة اصطفاها الله تعالى لرسولها أو لنبيها ،وهؤلاء النبيون والرسل اصطفاهم الله تعالى ، بمقتضى آية الميثاق ، أمة أحمدية له ، وأمته التى سمَّى إبراهيم ﷺ أبناءها مسلمين ،هى التى اصطفاها الله أمةً محمديةً له ﷺ. وبهذا يكون الناس جميعا مصطفين له ﷺ ، الناس قبل بعثه ﷺ مصطفوْن أمما للنبيين الذين هم مصطفون له أمة أحمدية، فالناس جميعا قبله أمم لأمته الأحمدية، ومن ثم فهم أمم له بالتبعية ، فأمم النبيين يكونون هم مصطفون له من خلال أنبيائهم ورسلهم ، كما ثبت أنه هو أيضا ﷺ رسول للناس جميعا ،أما الذين جاءوا إلى الحياة الدنيا قبل مولده فهو رسول الله إليهم أصالة ، وأنبياؤهم ورسلهم المرسلون إليهم رسل لهم بالوكالة وبالنيابة عنه ﷺ.

كذلك الحال فى الاصطفاء ، الناس قبله مصطفون له أمةً أحمدية من خلال أنبيائهم ورسلهم ، وهذا يعنى أن الله تعالى خلق كل شيء وسخر كل شيء فى الحياة الدنيا للناس جميعا لقوله سبحانه وتعالى فى صدر سورة البقرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١ .ثم قال سبحانه بعد هذا النداء للناس ببضع آيات ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩.

وهذا دليل ناصع وحجة بالغة على أن الله تعالى خلق كل شيء لنا نحن البشر ، واصطفى آدم ومن بعده من النبيين للنبوة فاصطفى لكل نبى أمته من قومه ،وهذا معناه أنه خلق النبيين جميعا أمة أحمدية لأحمد ﷺ وخلق لكل نبى أو رسول أمته من الناس، وخلق من الناس أمة مصطفاة على كل الأمم أورثها الكتاب الجامع للكتب المنزلة على المرسلين قبل رسوله الخاتم ﷺ.

وبالتالى يمكن القول أن الله عز وجل خلق الإنسان أو الناس أمما للنبيين فى عالم الملك أى فى هذه الحياة الدنيا ،وخلق النبيين والمرسلين أمة أحمدية له ﷺ فى عالم الملكوت فى السماوات السبع ثم نُواباً له على أممهم المرسلين فى الحياة الدنيا، وخلق الأمة المصطفاة له أمة محمدية فى الدنيا والآخرة ، ومن ثم فإن النتيجة النهائية هى أن الله ﷻ خلق الخلق فى عالم الملكوت وعالم الملك أى الحياة الدنيا لرسوله أى لسيدنا ومولانا أحمد ملكوتيا ثم لهﷺ محمديًا.

فإذا كان الله عز وجل قد خلق الخلق مُلْكًا ومَلَكُوتًا لسيدنا محمد ﷺ أى خلق عالم الملكوت وعالم الملك لسيدنا رسول الله أحمدياًومحمدياً ﷺ أى خلق الحياة الدنيا أيضاً له أى لأمتة المحمدية ، فلم أو لمن خلق الله عز وجل رسوله محمد ﷺ ؟

الإجابة على هذا السؤال لا تأتى إلا بإتمام مراجعة مواضع الاصطفاء كلها ، ولن تأتى إلا بعد استكمال مواضع الاصطفاء بعامة والموضع الأخير بخاصة ،وهو نفس السؤال الذى سبق طرحه من قبل.

الموضع العاشر : وهو قوله عز وجل ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النمل: ٥٩. فهذا سلام من الله عز وجل إلى المصطفين ،ليس مباشرا من الله تعالى لهم ،ولكن تبليغا لهم من رسوله ﷺ لقوله تعالى له(قل..) وهذا يثبت ما سبق أن توصلنا إليه ويؤكده وهو :

١- أنه ﷺ رسول الله إلى الرسل والنبيين حتى السلام هو الذى يبلغه من الله إليهم ﷺ.

٢- أن الحبيب ﷺ ليس من المصطفيْن، ونقصد ليس من هذه الفئة الطاهرة ﷺ وعليهم جميعا، فالسلام إليهم ليس قولا من الله مباشرة إليهم

،ولكن تبليغا منه ﷺ إليهم،و من ثم فهو رسوله الأوحد ﷺ إليهم وإلى كل الخلق.

٣- وهذا يثبت أنه ليس مصطفى من قومه أو من الناس أو من الخلق مثلهم بل هم المصطفون له ، لأنه بمقتضى نص الآية هو بمثابة البرزخ بين الله عز وجل وبين هؤلاء المصطفين، وهم باعتبار أنهم رسل للناس برزخ منه إليهم ، ومن ثم فلا سلام إلى الرسل أو غيرهم من الله تعالى إلا تبليغا منه ﷺ، وهى كما فى " تشهد الصلاة " (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباده الصالحين).

وهذا كله متوافق مع كل ما توصلنا إليه من قبل وأهمها أنه رسول الرسل نبى الأنبياء ﷺ وعليهم جميعا ، فلو قلنا أنه من المصطفين لتعارض هذا القول مع ذاك.

ولكن ألا يكون هو موصوفا بأنه المصطفى ، كما أن كل منهم مصطفى ؟!.

إن حقيقة الاصطفاء مرتبطة بما توصلنا إليه فى الموضع التاسع من أن الله تعالى خلق الخلق له ﷺ ليس باعتباره رسولاً و نبياً أحمديًا أو رسولا ونبيا محمديًا فحسب،بل باعتبار آخر تماما وهذا ما سنعرفه بإذن الله تعالى وعونه فى الموضع الأخير من مواضع الاصطفاء وهو الموضع التالى.

الموضع الحادى عشر : وهو قوله تعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾الزمر : ٤ .
وبناء على ما سبق من القول فيها أقول : لا أجد لرسول الله ﷺ ذكرا صريحا أو مباشرا فى هذه الآية،لأن الفعل " اصطفى" هنا مُنْصَبٌّ على ممتنع ،لأنه مُنْصَبٌّ على مخلوق يتخذه الله ولداً لو أراد سبحانه، وحاشا له عز وجل أن

يرد هذا فقوله (لو) يفيد امتناع هذا فى حقه سبحانه ، وأنه عز وجل أغنى وأجل وأعلى وأعظم وأقدس من أن يتخذ ولدا.

ولكن لأن الآية الكريمة لبنة من إحدى عشرة لبنة فى بناء حقيقة الإصطفاء فى القرآن الكريم ،فهى إذن لها شأن فى بيان وإيضاح هذه الحقيقة ، وحيث أن موضوع هذه الآية الكريمة هو النفى المطلق لنسبة الولد إلى الله عز وجل على أى وجه من وَجْهَىْ نسبة الولد له عز وجل ، أما هذان الوجهان فهما :

الأول : هو أن ينسب لله عز وجل الولد بولادته وفى هذا الوجه المقيت تَضَمَّن كتاب الله عز وجل والسنة الشريفة أقوى أساليب وعبارات تشنيع هذا القول ، وإبطال هذا المقصد الفاسد الذى لا يعدو أن يكون شتما لله عز وجل ، ويكفى بيانا لهذا قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ الإخلاص: ١ – ٤.

ثانياً : : هو أن ينسب لله عز وجل إتخاذ الولد بتبنى ولد الغير ، وبلا ريب،فإن هذا الوجه باطل أيضا، وهو ممتنع فى حق الله عز وجل وعلا عن هذا وذاك علوا كبيرا.

بيد أننا نجد فى كتاب الله عز وجل آية موضوعها أيضا الإبطال والنفى المطلق لأن يكون لله ﷻ ولد، ورسول الله ﷺ فى نفس الوقت ، مذكور فيها ذكرا صريحا، بل ويدخل فى جوهر معناها وتفسيرها،وبالتالى فإن آية الموضع الحادى عشر يجب أن تفسر فى ضوء هذه الآية لأن كل واحدة منهما مُكَمِّلة وشارحة وموضحة للأخرى ، بل ربما يكون الأدق أن أقول أنها مُكَمِّلة ومفسرة لأختها ، ومن ثم فهى من آيات الاصطفاء،وإن لم يرد فيها

لفظ الاصطفاء ، لذا وجب علينا إيرادها بإعتبار أنها الموضع الثانى عشر لحقيقة الاصطفاء فى القرآن الكريم.

الموضع الثانى عشر، المكمل لآيات الاصطفاء : وهى قوله عز وجل ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) ﴾ الزخرف: ٨١ – ٨٢.

ولكى نتوصل إلى الدلالة الدقيقة لها التى بها يستبين لنا تفسير هاتين الآيتين الهامتين الرئيستين فى بحثنا هذا ، سنعرض الأدلة من السنة النبوية التى تثبت أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو وحده " المصطفى له " كما ثبت لنا هذا فى آيات القرآن الكريم، وهذا فى الفصل التالى بعونه تعالى وفتحه وتوفيقه.

الفصل الثالث

السنة تثبت أن رسول الله هو المصطفى " له " ﷺ

توافقا مع الدلالة المستخلصة من الكتاب العزيز.

علمنا مما سبق أن الله عز وجل قد اصطفى النَّبِيِّين لرسوله ﷺ أمة احمديه له مذ كانوا فى عالم الملكوت ثم اصطفانا نحن المسلمين لوراثة القرآن لنصبح الأمة الخاتمة أى أمة محمدية له فى عالم الملك ،ومن ثم فهو وحده رسول الله ﷺ للناس كافة، والنَّبِيُّون وكلاء عنه ونواباً عنه ﷺ لأممهم ، قبل مجيئه إلى هذه الحياة الدنيا فى الصورة البشرية أى حالة كونه محمدا ، فهم عليهم الصلاة والسلام نوابه ووكلاؤه يحملون نوره صلى الله عليهم جميعا وسلم إلى أقوامهم وأممهم قبل تشريفه هذه الحياة الدنيا التى أزمانها قبل مجيئه بمثابة ليل طويل مظلم، وكل نبي وكل ولى، عندما يأتى يكون بمثابة كوكب يضئ للناس فى الظلم وكل رسول بمثابة قمر ضوؤه أعظم ،ولله در الإمام البوصيري رحمه الله القائل فى بردته عن هذه الحقيقة الأحمدية الناصعة.

فإنه شمس فضل هم كواكبها يُظهرنْ أنوارها للناس فى الظُلَمِ[1]

ومعنى هذا بتعبير آخر أن الله تعالى خلق الخلق للإنسان : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩) وفى السماء جعل لنا الله عز وجل الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، وأسجد لنا الملائكة.

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ الأعراف: ١١) فصارت الملائكة أولياء لنا يعملون بأمر الله تعالى

(١) البردة للامام البوصيرى رحمه الله.

لنا فى حياتنا ومماتنا وبعثنا ونشورنا أى أنه سبحانه وتعالى خلق لنا نحن بنى الإنسان الخلق أو بتعبير آخر خلق الله تعالى الخلق ثم اصطفى آدم أى الإنسان على الخلق ثم اصطفى على الناس من بنى آدم لكل نبي أمته أى المؤمنين به ثم اصطفى الله تعالى النَّبِيِّين جميعا لرسوله الأكرم ﷺ أمةً أحمديةً له يوم الميثاق واصطفى له خير الأمم وارثة الكتاب أمةً محمديةً فى الحياة الدنيا.

وهذا المعنى الذى قصدته من عنوان الفصل أن الله تعالى لم يصطف رسوله من أو مما خلق ، وإنما اصطفى له من الخلق أَخْيَرهم وأفضلهم أُمتيْه الأحمدية والمحمدية،وأخيرهم له جدوداً وآباءً ، وقد سبق عرض الأدلة على هذه النتيجة من القرآن الكريم ، وإليك الأدلة عليها من السنة النبوية الصحيحة :

١ - أخرج أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه أن رسول الله ﷺ قال (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب : إن الله تعالى خلق الخلق ،.... فجعلنى فى خيرهم.

ثم جعلهم فرقتين ،..... فجعلنى فى خيرهم فرقه...

ثم جعلهم قبائل ،..... فجعلنى فى خيرهم قبيلة...

ثم جعلهم بيوتا ،...... فجعلنى فى خيرهم بيتا....

فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا.......) [1].

٢ - عن ربيعة بن الحارث أن النبى ﷺ قال :

(إن الله تعالى خلق خلقه ، فجعلهم فريقين فجعلنى فى خير الفريقين.

(١) رواه أحمد عن المطلب بن أبي وداعة ورواه الترمذى كتاب المناقب باب فضل النبى ﷺ برقم (٣٦٠٧ ، ٣٦٠٨) وقال : حسن نقلا عن كنز العمال ح١١ ص ٤١٥ حديث رقم (٣١٩٥٠).

ثم جعلهم قبائل ،.... فجعلنى فى خير قبيلة.
ثم جعلهم بيوتا ؛.... فجعلنى فى خيرهم بيتا.
فأنا خيركم قبيلة وخيركم بيتا)[1].

وشرحا لهذا الحديث وما قبله أقول وبالله تعالى التوفيق ومنه الفتح وعليه التكلان.

قوله ﷺ فى الحديث الأول : " أن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم " هو من قبيل ذكر العام الذى يفصله ما بعده.

لكن أهم ما يمكن استنباطه من هذا النص الصحيح هو أن المتحدث به ﷺ لم يكن من هذا الخلق الذى يتحدث عنه بل مخلوق سابق على جميع هؤلاء الخلائق والدليل القاطع قوله ﷺ فجعلنى فى خيرهم ولم يقل (وجعلنى من خيرهم) لان الفاء تفيد التعقيب بخلاف الواو التى تفيد المصاحبة والمعية وقوله ﷺ فجعلنى " فى " وليس " من " يدل على أنه جُعِلَ فيهم ،وهو لم يكن منهم، فهو ﷺ لم يكن من ضمن هذا الخلق الذى تحدث عنه ، فقوله ﷺ (فجعلنى فى خيرهم) أى أنه سبحانه وتعالى إصطفى له خير الخلق فجعله فيهم ،فهؤلاء الخلق اصطفاهم له فجعله فيهم ، لأنه لم يكن منهم حتى يصطفيه منهم عليهم.

هذا هو المجمل أماتفصيله المؤكِّد لهذا فهو قوله ﷺ «ثم جعلهم فرقتين » أى أن الله عز وجل لم يجعله فى خير الخلق على سبيل الإجمال فحسب ، بل على سبيل التفصيل أيضا، وأول التفصيل أن الله سبحانه وتعالى قَسَّم الخلق

(١) رواه الحاكم فى مستدركه نقلا عن كنز العمال ح١١ ص٤١٥ حديث رقم (٣١٩٤٩).

إلى فريقين متفاضلَيْن فجعله فى خير الفريقين ، أى أنه اصطفى له خير الفريقين ليجعله فيه.

حقا إن الله تعالى لم يصطف رسوله ﷺ من الخلق وإنما اصطفى الخلق له ، فكلما افترق الخلق فريقين اختار له الأفضل والأكرم والأعلى منهما فجعله ﷺ فيه، أى فى خيرهم فرقة ، وهذا دليل على أنه ﷺ لم يكن قبل هذا الجعل الاصطفائى لهﷺ واحدا من الخلق لا جنسا ولا نوعا ولا فصيلا ولا صنفا أى أنه لم يكن من الخلق ، بل لم يكن من العالمين ، ولا من جميع الخلائق، وإن كان هو مخلوقا ،ولكن : كيف يكون مخلوقا وليس فى نفس الوقت من الخلق ؟ هذا هو سر الحقيقة المحمدية الاعظم الذى نسأل الله تعالى أن يكشفه لنا شيئا فشيئا خلال أجزاء هذه الموسوعة المباركة بعونه وفتحه ومدده وتوفيقه.

أما قوله ﷺ " ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة " أى فلما تفرعت هذه الفرقة الأكرم التى اصطفاها له ربه عز وجل إلى قبائل، جعله فى خير قبيله من هذه القبائل ، هنا أيضا إختار له الله تعالى، بل إصطفى له خير القبائل ليجعله فيها ، فهو لم يصطفه منها وإنما اصطفاها له، ثم لما تفرعت هذه القبيلة المصطفاة له من القبائل إلى بيوت كبيرة إصطفى الله تعالى من هذه البيوت أكرمها وأفضلها وأخْيرها بيتا، فجعله ﷺ فيه ، فهو سبحانه لم يصطف حبيبه من هذا البيت وإنما اصطفاه له. فلنتدبر فى هذا المفصل قوله ﷺ فى كل مرة " فجعلنى " إذ هذا دليل أسبقيته ﷺ وجودًا على خلق الخلق وافتراقهم فرقتين وتفرع كل فرقة قبائل وتفرع كل قبيلة بيوتا وهكذا.

ثم قوله ﷺ فى كل مرة (فجعلنى فى خيرهم فرقة) ولم يقل اختارنى من خيرهم فرقة وقوله ﷺ (فجعلنى فى خيرهم قبيله) ولم يقل اختارنى من خيرهم قبيلة ، وقوله ﷺ (فجعلنى فى خيرهم بيتا) ولم يقل اختارنى من

خيرهم بيتا، وهذا دليل على أن الله تعالى اصطفى له خيرهم دائما ولم يصطفه من أى منهم، ثم قال ﷺ (فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا)

ولم يقل ﷺ : (فأنا من خير بيوتكم ومن خير نفوسكم) ولنعد إلى تفصيل المفصَّل فى قوله ﷺ (ثم جعلهم فرقتين)فما هما هاتان الفرقتان ؟

هما الإنس والجن ، لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات – ٥٦ والمعنى باختصار شديد أن الله تعالى خلق الخلق بحسب سنة عامة هى التفاضل فجعل الخلق متفاضلين أفراداً وفصائلا وأنواعا وأجناسا ،أى جعلهم درجات من أدنى إلى أعلى، فكل نوع من الخلق يقف على درجة من درجات هذا السلم الوجودى فيكون له ما فوقه، وله ما تحته من الأنواع أو من الأجناس ، وكل نوع أو فصيل هو مسخر لما فوقه ، وما تحته مسخر له ، فالأنواع كلها مأكولة ، فما تحتها مأكولة لما فوقها ، وهذه الآكلة أيضا مأكولة لما فوقها ، وهكذا ، فالأنواع الدنيا أرزاق الله عز وجل للأنواع العليا ، وكلها فى منظومة متوازنة ،بحيث يتوقف استمرار حياة كل نوع على توفر النوع الذى تحته فى السلم الوجودى ،كما أن كل نوع هو رزق لسيده الذى يعلوه فى السلم الوجودى، وبالتالى يمكن أن ينقرض نوع ما ومن ثم ينقرض النوع الذى فوقه لا محالة وهكذا حتى ينتهى الأمر إلى انقراض الأنواع بعضها بعد بعض ، وهذا يؤذن بانتهاء حياة الأنواع كلها من الأرض وبالتالى الحياة بأسرها.

وحيث أن كل شيء يسبح بحمد الله ويسجد له سبحانه ، فإن كل نوع من المخلوقات يكون مخلوقا لهدفين :

الأول : عبادة الله عز وجل سجوداً وتسبيحا ، وهى عبادة جِبِلِّية قهرية بمقتضى الخلقة والطبيعة والفطرة.

والثانى : هو أن يكون كل نوع رزقا وطعاما لما فوقه.

هذا من حيث الأنواع ، أما من حيث الأجناس فإن فى الطين والماء والهواء وضوء الشمس غذاء لما هو الجنس الأعلى منها جميعا وهو النبات والنبات طعام للحيوان والأنعام والأنعام ،طعام للإنس والجن، ومعلوم أن الأجناس تنقسم إلى أنواع والأنواع إلى أصناف والأصناف إلى فصائل وهذه الأخيرة يقع تحتها الأفراد.

ومن ثم جعل الله عز وجل الإنس والجن فى أعلى درجة من درجات السلم الوجودى للمخلوقات كلها فى الأرض ، وبالتالى فكلها مسخرة لهما ومنها جميعا بل من أفضلها رزقهما وطعامهما ، بينما هما ليسا رزقا لغيرهما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩. فكل ما فى الأرض مسخر للإنسان ، ويشاركه فى هذا الجان ، فجميع المخلوقات إذاً طعام ورزق للجن والإنس وهذا يوضح لنا تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ أى ليس لكل منهما فى هذه الحياة الدنيا سوى هدف أو غاية عليا واحدة وهى عبادة الله سبحانه وتعالى فحسب، بينما لحياة كل نوع من الخلق هدفان وهما : عبادة الله وأن يكون هذا النوع طعاما ورزقا لنوع يعلوه فى الخلق.

وبناء على هذا فبعد أن أثبت الله تعالى أن لكل نوع منهما أى من الجن والأنس هدفا واحدا ،هو عبادته سبحانه فحسب ،نفى عنهما أنهما طعاما ورزقا لغيرهما، كما هو حال بقية الأنواع الحية بحريَّة وبريَّة وأحياء عليا ثديية وغير ثديية، وسواء التى تمشى على أربع أو على بطنها أو تطير بجناحيها وغيرها من الحشرات زاحفة أو طائرة، ثم النباتات : أشجارا عملاقة أو صغيرة أو

أعشابا وغيرها. وكذلك غير الأحياء شمسا وأرضا وطيناً وماءً وهواء بعناصره المتباينة وأهمها الأكسوجين.

فالإنس والجن يرزقان من كل الأحياء وغير الأحياء فى الأرض ، ولكن ليس كل منهما طعاما لغيره ، فقال تعالى ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ الذاريات: ٥٧ – ٥٨ ،أى ما أريد منهما أن يكونا طعاما لبعض خلقى أو أرزاقا لغيرهما ، كما هو شأن سائر المخلوقات الأرضية الأخرى ، كما أنه سبحانه لا يريد منهما أن يكونا طعاما له عز وجل لأنه سبحانه يُطعِمُ ولا يُطْعَم.

هذان هما الفريقان اللذان إنتهت إليهما درجات السلم الوجودى عُلُوًّا ، فكان كل نوع منهما مؤهلا بنفس الدرجة ، لكونهما مخلوقين لعبادته فقط سبحانه، وكان كل فريق منهما مؤهلا لأن يصطفيه الله تعالى ليجعل فيه رسول اللهﷺ.

بيد أن الله عز وجل – وهو الفعال لما يريد – شاء أن يرفع أحدهما درجة على الآخر ليكون المرفوع خليفته فى الأرض ،فاصطفى الأنس على الجن، وبالتالى صار اصطفاؤه هذا اصطفاءاً وإعلاءاً على العالمين ، فبماذا اصطفاه ورفعه وجعله خليفة فى الأرض ؟

الإجابة : بأن أودع فى جوهر تكوين أحدهما نور النبوة ،ومن ثم صار فى سلالته وذريته وحده الأنبياء والرسل عليهم جميعا الصلاة والسلام الذين يعدلهم جميعا بل ويزيد عليهم النور المحمدى.

وحيث من المعلوم أن نوع الجن مخلوق من نار ونوع الإنس مخلوق من طين ، فجاء اصطفاء الإنس الطينى بنفخ الروح ، وبالنبوة على الجن النارى وعلى نوع الملائكة المخلوق من النور، مفاجأة لكل الخلق ، لأن فوز

الإنس بالنبوة ونفخة الروح الكلى فى كل آدمى رفعت هـذا النـوع فـوق كـل أنواع الخلق كرامة ومكانة عند الله عز وجـل ، الأمـر الـذى أدى إلى تعجـب الملائكة ودهشتهم من اصطفاء الآدميين رغم مـا علمـوه مـن كتـب المقـادير بأنهم سيفسدون فى الأرض ويـسفكون الـدماء ، هـذا الافـساد الـذى كـان بسبب حقد إبليس على آدم وذريته.

لذا قال رسـول الله ﷺ أن الله عـز وجـل اصـطفى لـه مـن الفـريقين اللذين ارتفعا على كل أنواع الخلق أى الجـن والإنـس خيرهمـا ،وهـو فريـق الإنس ،فجعل الله سبحانه سيدنا محمـداً ﷺ آدميًـا إنـسيا ولم يجعلـه فى فريـق الجن، فصار النبيون والرسل جميعا آدميِّين، والجن مكلفون بعد الإنس بإتبـاع هديهم ،فالفريقان فى الحديث هما الثقلان،الكائنان اللـذان خلقهـما الله تعـالى للابتلاء ،فجعل النبوة والأنبياء فى الإنس، ورفع الإنسان إلى المقام الأعلى بين الخلق، بأن إصطفاه لرسوله النبـى أحمـد ﷺ أى أن الله تعـالى اصـطفى آدم أو الإنسان على العالمين ليجعل فيه رسوله وحبيبه ﷺ. ومن ثم فإنه من الصحيح القول بأن الله تعالى خلق كل شيء للإنسان وخلق الإنسان لرسوله وحبيبه ﷺ إجمالا ، وعلى التفصيل خلق الناس أمما للنبيين أُمَّةً أحمديةً له، ونحن المسلمين أمة محمدية له ﷺ.

يؤكد ما توصلنا إليه حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ (أنا محمـد بن الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بـن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بـن خزيمـة بـن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وما افترق الناس فـرقتين إلا جعلنـى الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى من عهر الجاهلية ، وخرجت

من نكاح ولم أخرج من سفاح ،من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ،فأنا خيركم نسبا وخيركم أبا) [1].

فتدبر قوله ﷺ (وما افترق الناس فرقتين الا جعلنى الله فى خيرهما) وهذا هو ما جعلناه عنوانا لهذا الفصل إذ أن الله تعالى لم يصطفه ﷺ "من" وإنما كان دائما مصطفى له خير الفرق وخير الشعوب وخير القبائل وخير العشائر وخير البيوت حتى اصطفى له خير جدين عبد المطلب الهاشمى ووهب الزهرى وخير أبوين ، عبد الله وآمنة من لدن آدم إلى أبويه الذين هما والداه عبد الله وآمنة ، ودليل هذا قوله (فأنا خيركم نسبا وخيركم أبا) و"أبا" هذه الأخيرة اسم جنس يصدق على جميع آبائه بدءا من آدم إلى عبد الله ، وكذلك يصدق على الأمهات كما يصدق على الآباء لأن جمع الأب والأم " أبوان " وبهذا يصدق قوله ﷺ (خيركم أباً) على أبويه عبد الله وآمنة معا.

يؤكد هذا الذى أقول حديث ابن عباس (قال رسول الله ﷺ : " كنت وآدم فى الجنة فى صلبه ،ورُكِبَ بى السفينة فى صلب أبى نوح، وقُذِفَ بى فى النار فى صُلب أبى إبراهيم ، لم يلتق أبواى قط على سفاح ، ولم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة ، صفى مهدى ، لا يتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما.

قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى ، وبالإسلام عهدى ، ونشر فى التوراة والإنجيل ذكرى ، وبَيَّن كلُّ نَبِيٍّ صفتى ، تُشرق الأرض بنورى والغمام لوجهى ، وعلمنى كتابه ، ورقانى فى سمائه ، وشق لى إسما من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، وعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر، وأن يجعلنى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (١/١١٨) عن كنز العمال ج١١ ص٤٠١ حديث رقم ٣١٨٦٧.

أول شافع وأول مُشفَّع ، ثم أخرجنى من خير قرن لأمتى ، وهم الحمَّادون ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [1].

فتدبر قوله ﷺ عن نفسه الزكية المتقلبة من صلب حسن إلى رحم طاهر، حتى صار فى صلب نوح فى السفينة ،ومن نوح عبر الذرية الطيبة بعضها من بعض إلى أن صار فى صلب إبراهيم، ومن ثم فعند قذفه فى النار لم تحرقه ، ولما تشعبت ذرية إبراهيم بين إسماعيل واسحق انتقل إلى خيرهما وهو الذبيح إسماعيل.

وهكذا فى خير ذرية إسماعيل إلى قريش من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة إلى معد بن عدنان إلى أن انتقلت النفس المحمدية الزكية إلى جَدَّيْه وهب بن زهرة وعبد المطلب بن هاشم ثم إلى أحب أبنائه إليه عبد الله بن عبد المطلب الذبيح الثانى بعد إسماعيل عليه السلام والمفدى بمائة من الإبل ،وآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيد بنى زهرة نَسَباً وشرفا ، فكانت آمنة يومئذ أفضل فتاه فى قريش نسباً وموضعاً.

روى ابن عساكر عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال (ما ولدتنى بغى قط، منذ خرجتُ من صلب آدم ، ولم تزل تنازعنى الأمم كابراً عن كابر حتى خرجتُ من أفضل حيَّين من العرب : هاشم وزهرة) [2].

فاصطفاء الله له عز وجل الأخير دائما على مستوى الأمة والقوم والشعب والقبيلة ثم العشيرة والبيت ثم الوالدين فكلما تشعبت البشرية منذ أجيال آدم الأولى شعبتين جعله الله عز وجل فى خيرهما أى اصطفى له أكرمها وأفضلها وأطهرها ،وهكذا حتى إذا كانت نفسه الزكية الوضاءة

(١) رواه ابن عساكر مأخوذ عن كنز العمال ص٤٢٨ ص١١ حديث (٣٢٠١٠).

(٢) عن كنز العمال ح١١ ص٤٣٠ ، حديث رقم (٣٢٠١٩).

تضئ جبين جده عبد مناف اصطفى الله تعالى خير أبناء عبد مناف هاشم لتنقل إلى صلبه وتضئ جبينه ، ثم إذا تشعبت ذرية هاشم إصطفى له الله أكرمهم وأفضلهم فكان عبد المطلب ، ثم لما أنجب عبد المطلب من الذكور عشرة إنتقل رسول الله ﷺ إلى خيرهم فكان عبد الله مع أن منهم العباس وحمزة فلنتدبر هذا جيدا ، وحمزة هو الذى كان أخو النبى ﷺ فى الرضاعة..... ولنتساءل بناء على ما مر بنا من أحاديث صحيحة تثبت أن الله تعالى كان يتخير له ﷺ حين تقلبه من الأصلاب إلى الأرحام أحسنها وأطهرها وأخيرها ، فلنتساءل أى أبناء عبد المطلب بما فيهم العباس وحمزة ﷺ حاز الأفضلية والخيرية ، أليس هو عبد الله بن عبد المطلب الذبيح الثانى ؟! بلى.... ، ومن ثم صار باصطفاء الله تعالى له لكى يكون والداً لأحب وأكرم خلقه ،سيداً لآباء العالمين.

وكذا الحال بالنسبة لِأُمِّهِ آمنه بنت وهب، ألم يصطفها الله عز وجل له كما اصطفى له عبد الله ؟، أفلم تكن هى فى بنات بنى زهرة ، بل فى بنات قريش ، ومن ثم فى بنات العرب ، ومن ثم فى بنات حواء الأخْيَرَ والأفضل والأطهر ؟، بلى ومن ثم صارت باصطفاء الله تعالى لها لكى تكون أُمًّا ووالدةً لأحب خلقه سيدة أمهات العالمين (١).

وروى الحاكم فى الكنى وابن عساكر عن عائشة قالت قال النبى ﷺ (قال لى جبريل : قَلَّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من

---

(١)هذا كله يبطل دعوى المتهوّكون الذين يعتقدون ،نتيجة تفسير خاطئ وغير صحيح لروايتين وردت فى أب له و أم له ﷺ،انظر كتاب (الصلاة والسلام على والدىْ خير الأنام فى أعالى الجنان).. للعبيد الفقير إلى ربه المؤلف.

محمد ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم) [1].

فهل فى البشرية جد لأحفاده أفضل من هاشم وعبد المطلب ؟!حاشا وكلا. أليست هذه الأفضلية لأنهم مصطفون للمصطفى له آباء وأمهات ؟! بلى. وهل فى البشرية والدان أفضل من عبد الله وآمنة يصطفيهما الله عز وجل لحبيبه ورسوله ورحمته للعالمين ﷺ وهو سبحانه الذى اصطفى له الأخْير و الأكرم والأفضل دائما ؟!

إن شرف الأبوين من حيث كونهما والدين إنما يكون بمن أنجبا ، فهل أنجب والدان من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة خيراً مما أنجبا أى عبد الله وآمنة ؟ حاشا وكلا.

أفلا يستحق عبد الله بن عبد المطلب أن يكون سَيِّداً لآباء العالمين بالنظر إلى الذى أنجب ؟!

فهو إذاً مصطفى للنبى أبا على آباء العالمين.

وألا تستحق آمنه بنت وهب أن تكون سيدة أمهات العالمين بالنظر إلى من ولدت ؟! فهى إذاً قد اصطفاها الله تعالى أما له ﷺ على جميع والدات العالمين ، فصارت بحق سيدة لأمهات العالمين كما صار عبد الله سيدًا لآباء العالمين.

ومن ثم أقرر باطمئنان أن السنة قد توافقت تماما مع الكتاب ، وهذا هو شأنها دائما إذا صحَّت ، فى إثبات هذه الحقيقة الهامة عن الاصطفاء وهى أن سيدنا ومولانا رسول ﷺ هو وحده الذى اصطفاه الله عز وجل له ،فهو وحده " المصطفى له " وليس هو ممن اصطفاهم الله " من " وهذا يؤكد ما

(١) عن كنز العمال ح١١ حديث رقم (٣١٩١٣) ص٤٠٩.

سبق عن اصطفاء الله عز وجل الخلق له ﷺ، وليس اصطفاؤه منها ، أى أنـه لم يكن مخلوقا مثل هذه المخلوقات وإنما كان مخلوقـا عبـدا منفـردا وحـده قبـل الخلق جميعا. وسيأتى بيان هذا فى باب لا حق بإذن الله تعالى وفتحه وتوفيقه ، أو فى جزء خاص به.

أما كونه ﷺ لم يكن مثل سائر خلق الله جميعا ولا معهـا ولا هـو منهـا فلأنه لو كان كذلك لما صَحَّ أن يـصطفى بعـضها منهـا لـه ، إذ لا يعقـل أن يصطفى منها له ،وهو فيها أو منها ، لأن الاصـطفاء انتقـاء الا فـضل لرفعـه فوق الدرجة أو المقام الذى هو فيـه ، فكيـف يـصطفى الله تعـالى المـصطفين الأخيار ليكونوا أُمَّةً له، ثم لا يرفعهم الله تعالى عن سائر الناس؟!.

وقد علمنا اصطفاء الأنواع الثلاثة على سـائر الخلـق وهـى الملائكـة والجن والإنس ثم اصطفاء الإنسان على الملائكة والجن ثـم اصـطفاء النـاس أمما للنبيين، ثم اصطفاء النبيِّين جميعا أمة أحمديةً له ﷺ باعتبار أنه أَحْمَـدُ الخلـق أى الأكثر حمداً لله عز وجل فى العالمين ثم اصـطفاء الـذين أورثهـم الله تعـالى الكتاب الخاتم والجامع لكل الكتب السماوية أمة محمدية له ﷺ فى عـالم الملـك أى فى هذه الحياة الدنيا.

أى أن الله تعالى نظر إلى الأمم فاصطفى منها خيرها أمة محمديـة لـه ﷺ ولـذا فهى خـير الأمـم بـدليل قولـه تعـالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠. ومن ثم لم يصطفه منها ،ولكـن اصـطفاها الله ﷻ لـه ﷺ فإذا كان النبييِّون مُصْطَفْين على الخلق جميعا أى على العالمين ، وهم مصطفون له ﷺ ،وكذاخير الأمم قد اصطفاها الله له ﷺ ، فكـل الخلـق ، مخلـوق لـه ﷺ ومن أجله ، ومن ثم يمتنع عقلا أن يكون هو مـصطفى منهـا ، لأنـه لم يكـن

منهم ، وهم مصطفون له ﷺ. والدليل الواضح والبرهان الساطع قوله تعالى لبني آدم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة:١٢٨

فإذ تدبرنا قوله سبحانه(لقد جاءكم)يا أيها الناس دل هذا على انه لم يكن وليس منهم او فيهم ولم يكن معهم لأنه ﷺ جاءهم لما إصطفى الله الآدميَّة على الجنيَّة فجاءنا من أنفسنا الآدمية الإنسية فصار هذا للإنسانية أعظم تكريم وأعلى تشريف للنوع الآدمي على الجن والملائكة أجمعين فالخلق جميعاً مصطفون له ﷺ.

أما هو ﷺ فلم يصطفه الله سبحانه وتعالى إلا له هو عز وجل ، لأن إصطفاء أى مخلوق يكون من مخلوقات مثله ، وهو ﷺ لم يكن من الخلق الذين هم مصطفون له ﷺ ، فإن القول الصحيح والدقيق والمحكم ، أن نقول إن الله تعالى خلقه ﷺ واصطفاه ليكون حبيبا له لأنه أول العابدين وأول المسلمين له عز وجل ، ولهذه الحقيقة العبدلية التفردية الاصطفائية الأحمدية المحمدية لها ما بعدها، ولها ما قبلها ،ولها أبعادها التى يعز ويشق علينا ،بل وعلى سائر الخلق معرفتها أو إدراكها أو الإحاطة بها وأقصى ما نرجوه أن يَمُنَّ الله تعالى علينا بالعروج نحوها سابحين وسائحين فى بعض آفاقها ،داعين الله تبارك وتعالى أن يملأ أفئدتنا بمددها وقلوبنا بنورها وأجسادنا ظاهرًا و باطنا بسلامها ورحماتها وبركاتها... آمين يارب العالمين بجاه حبيبك سيد الخلق أجمعين.

الباب الرابع

أعظم بشرى لنا نحن أبناء الأمة المحمدية :

«أيتها الأمةُ المصطفاةُ لوراثةِ الكتاب : أنتِ أمَّةٌ نَبِيَّة»

الفصل الأول

حيازة الأمة الوارثة للكتاب الخاتم مُقوِّمات النُّبُوَّة كاملة
وبالتالى فهى أمَّةٌ نَبِيَّة

الفصل الثانى

تكليف الأمة المحمدية الخاصة بمهام وتكاليف النَّبوة
التى عجزت عنها جميع الأمم السابقة، ونجاح الأمة المحمدية
فى تحقيقها كلها

الفصل الثالث

الحكمة التى من أجلها أرسل الله تعالى الرسل جميعا مُتَحَقِّقَةً
يوم القيامة بالأمة المحمديَّة الخاصة .

الفصل الرابع

وأخيراً : المفاجأة .... نَبوِيَّةُ الأمة المحمدية الخاصَّة ثابتة
بالحديث النبوى الصحيح الصريح .

الفصل الأول

حيازة الأمة المصطفاة لوارثة الكتاب جميع مقومات النبوة

تمهيد :

الإصطفاء إنتقاء للعلو والرفعة.

وبإصطفاءالإنسان نوعاً ، إرتقى وسما وارتفع حتى صار خليفة لله تعالى فى الأرض ليس بينه وبين الخالق جل وعلا مخلوق آخر.

وبإصطفاء الله تعالى الإنسان فرداً ، أى فرد، سما وارتقى وارتفع ليكون نبيًّا أو نبِيًّا رسولا عضوا فى الأمة الأحمدية التى رسولها هو رسول الله ﷺ للخلق أجمعين، فهم أمته الأحمدية التى اصطفاها الله تعالى له ﷺ.

واصطفى الله تعالى له أمته المحمدِّية ، فهل إرتقت وسمت وعَلَتْ، وماذا صارت بعد إصطفائها؟

صارت أمة نبية، لأنه لا يُصطفى له ﷺ إلا الإنبياء والرسل ، فالأمة المحمدية أمة نبية مرسلة.

وأول الأدلة على هذه الحقيقة حيازتها لكل مقومات النبوة والرسالة :-

أولا : تذكير موجز ، بعناصر أو بمقومات النبوة الخمسة المفصلة فى الجزء الأول :

خيرية الأمة المحمدية الخاصة خيرية مطلقة نابعة من إصطفاء الله تعالى لها أمةً خاصةً للنبى الخاتم ﷺ ومن ثم قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [1] فالاصطفاء سابق على التوريث ، لأن

(١) سورة فاطر الآية رقم « ٣٢ » .

توريث الكتاب لم يكن ليصير إليها إن لم تكن هى الأمة المصطفاة له ﷺ أمةً محمديةً خاصة ، وفى هذا تتماثل وتتساوى الأمة المحمدية الخاصة مع الأمة المحمدية العامة التى تتكون من الأمم السابقه وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون فكلاهما أى الخاصة والعامة أمة مصطفاة له ﷺ وهو ﷺ الرسول للأمتين : العامة والخاصة .

قال تعالى ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ... ﴾[1] هذا عن الأمة العامة، وهى عباد الله الذين أصطفى ثم أممهم .وقال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ وهذه هى الأمة المحمدية الخاصة، فإذا تدبرنا وصف الله ﷻ الأمة العامة أى الأنبياء بقوله « عباده الذين إصطفى ... » ووصف الأمة الخاصة بقوله ﴿ ..ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ لتبيَّن لنا أن النَّبيِّين وعددهم : مائة وأربعة وعشرون ألفا وفيهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا تَعْدِلُهم الأمة المحمدية الخاصة، بدلالة الوصف الإلهى الواحد لكل منهما بعطاء الاصطفاء الإلهى لهؤلاء وهؤلاء بنفس الكلمات الإلهية « ... عباده الذين اصطفى ... » ﴿ .. ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ فالتعادلية بينهما قائمة بلا ريب وبلا منازع . ولهذا تفصيل دقيق سنستعرضه فيما بعد بإذن الله تعالى ومَنِّه وإلهامه وكرمه وتوفيقه .

ومن ثم يمكن القول بأن الأمة الخاصة ، فى مجموعها، أى باعتبارها أمة ، وليس باعتبار كل فرد منها ، على درجة النبوة ، فهى أمة نَبِيَّة

يثبت هذا ويؤكده حيازتها لجميع عناصر النبوة الخمسة التى سبق عرضها تفصيلاً فى الجزء الأول من هذه الموسوعة بأدلتها من الكتاب والسنة، فنتيجة لهذا الشرف للأمة الخاصة على سائر الأمم لكونها المصطفاة على سائر الأمم، حيازتها لجميع مقومات النبوة الأربعة بعد الاصطفاء ، حيث قد علمنا أن المقومات الخمسة هى :

---

(١) سورة النمل الآية رقم « ٥٩ » .

١ - الإصطفاء : وهو عنصر النبوة المتعلق بالمشيئة الإلهية وحدها، إذ أن النبوة ليس لها نصيب فى الكسب البشرى ، كما أن الكسب البشرى مهما سما به العبد وإرتقى فى الإيمان، لا يكون سببا فى وصوله للنبوة ، لأنها بالإصطفاء وليست بالإكتساب ، ولكن بسابقه الحسنى من الله ﷻ فقط ، قال تعالى عن الكفار وما يعبدون من أصنام وآلهة باطلة ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] فقال المشركون فى مكة عندما سمعوا هذه الآيات ، إن النصارى يعبدون عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام فهما إذاً فى النار ،فأنزل الله تعالى بعدها على الفور رداً عليهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[2] ، فعيسى وأُمُّهُ المصطفيان عليهما السلام مُبْعَدَانِ عن النار بسابقة الحسنى، لأن الاصطفاء بسابقة الحسنى من اللهﷻ.

والشاهد فى موضوعنا من هذا كله أن النبوة مِنَّة من الله تعالى وفضلا بسابقة الحسنى منه سبحانه وتعالى جل شأنه ، وهذا هو الإصطفاء من الله تعالى للنَّبِيِّين لا يُعطى جزاء على عمل، ولا على درجة فى العمل أو جهود من النبى أو الولى أو المؤمن وإنما هو محض فضل منه سبحانه وتعالى عليهم .

---

(١) سورة الأنبياء الآيات رقم « ٩٨ - ١٠٠ » .

(٢) سورة الأنبياء الآيات رقم « ١٠١ - ١٠٥ » .

وكذلك إصطفاء الأمة المحمدية الخاصة هو محض فضل من الله تعالى عليهم . وقد علمنا مما درسناه وقرأناه عن حقيقة الإصطفاء أنه ليس ثم فى البشرية أمةٌ مصطفاة للنبى ﷺ بعد أمة الأنبياء أى الأمة الأحمدية سوى الأمة المحمدية الخاصة .

فالأمم إذاً ثلاث :

الأولى : الأمة الأحمدية وهى أمة الميثاق ، وهم النَّبِيُّون وعلى رأسهم المرسلون ، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ روحيا أحمديّاً قبل بدء مرحلة البشرية بخلق آدم عليه السلام .

الثانية : الأمة المحمدية العامة وهى كل النبيين فى الحياة الدنيا وكل الذين إستجابوا لهم وآمنوا بالله تَعالى ورسوله ﷺ ، وبَدْؤ هذه الأمة بآدم وآخرهم عيسى والذين بينهما من الرسل والنبيّين عليهم الصلاة والسلام جميعا ، والذين آمنوا بهم وبرسالتهم وباليوم الآخر، منذ آدم إلى عيسى عليهما السلام.

الثالثة : الأمة المحمدية الخاصة وهى الأمة المصطفاة له فى الحياة الدنيا ولوراثة الكتاب المنزل عليه ﷺ .

٢- العصمة : وهى الخاصية الثانية للنبوّة وتَعريفها شرعا هو : حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع فى الذنوب والمعاصى وارتكاب المحرمات والمنكرات .

فالعصمة هى أيضا المقوّم أو العنصر الثالث للنبوه والخاصية الثانية للأنبياء ، وهى أيضا بمحض سابقه الحسنى من الله تعالى لهم صلى الله عليهم وسلم .

٣- أما العنصر الثالث أو المقوم الثالث للنبوة فهو الوحى ، وتعريفه لغة : إلقاء علم فى خفاء ، فهو : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى ، وكل ما ألقيتَه إلى غيرك يُقال : وحيتُ إليه الكلام »

وعَرَّفه ابن حجر رحمه الله فى الفتح بحدِّه الشرعى قائلا « والوحى أيضا هو الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئا بعد شئ ،وقيل أصله : التفهم » والإعلام فى خفاء والتفهيم هو بالمَلَك ،يرسله الله ﷻ إلى النبى أو الرسول، وهو جبريل عليه السلام روح القدس الذى كان ينزل على روح النبى ﷺ، من غير أن يراه الحاضرون معه ، أو ينزل إليه متمثلا له فى صورة رجل يراه ويسمعه النبى وحده ولا نُبُوَّة إلا بالوحى : المَلَك المبلِّغ والرسالة المبَلَّغة للنبى أو الرسول فكل منهما يسمى وحياً قال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ .. ﴾ (١)

وتكليم الله للرسول أَجَلّ وأسمى وأقوى درجات الوحى، وقد كَلَّم موسى ﷺ وآدم نبى مكلَّم ورسول الله ﷺ الخاتم ، وهو تكليم رب العالمين بلا رؤية أى من وراء حجاب، ما عدا تكليمه سبحانه لرسوله ﷺ فى مقام أدنى من قاب قوسين ليلة المعراج .

وقوله تعالى ﴿ ..إِلَّا وَحْيًا .. ﴾ أى بالرؤية المنامية الصادقة مثل فلق الصبح وليس بالتكليم المباشر وقوله تعالى ﴿ ..أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ .. ﴾ فهو بارسال الملك جبريل عليه السلام .

وثم أنواع أو كيفيات وطرق للوحى أقل من هذه الثلاثة وهى الخاطر والإلهام والتحديث

ويجمعها كلها بأنها علوم تَتَنَزَّل من عند الله ﷻ على الأنبياء والصديقين والصالحين بهذه الكيفيات الخفية السابقة .

٤ - المعجزة وهى أفعال أو أقوال تتم على يد النبى ولسانه بكيفيه مخالفة للطبيعة البشرية والسنن الطبيعية فى الفعل والقول وهى بعبارة موجزة أحداث أو أقوال هى نتائج تجرى على يد النبى أو لسانه بدون أسبابها

(١) سورة الشورى الآية رقم « ٥١ » .

الطبيعية وعللها ومقدماتها المادية ،أو مقدمات وأسباب وعلل طبيعية ومادية تحدث ولا تَسْتَتْبِع نتائجها الطبيعية .

ومثل الحالة الأولى للمعجزة شفاء المرضى بلا دواء، وإحياء الموتى ،ونزول مائدة مليئة بالطعام من السماء، ونبع الماء من بين اليدين وشق القمر، والطعام القليل الذى يطعم الأعداد الغفيرة، وغير ذلك كثير ، فكلها أحداث ونتائج تحقَّقت بدون أسبابها وعللها الطبيعية.

ومثال الحالة الثانية للمعجزة إلقاء إبراهيم ﷺ فى النار من غير أن يحترق ، وتمرير السكين الحادة بقوة على رقبة إسماعيل ﷺ دون أن تذبح ، ومرور موسى ﷺ وبنى إسرائيل وعبورهم البحر من غير أن يغرقوا، فالأسباب هنا لم تفعل ،إذ النار لم تحرق والسكين لم تذبح، والبحر لم يغرق ، فهى كلها حدوث أسباب وعلل مع تخلف نتائجها ومعلولاتها الطبيعية.

5- والعنصر الخامس للنبوة هو الآدمية ، فالآدمية أو البشرية أو الإنسانية أو هذه الخاصية للنبى أو الرسول تنفى النبوة عن الملائكة وعن الجن ، وهذا معناه أن الجن مكلفين بالإستجابة لدعوة أنبياء البشر، إذ لا نبوة فيهم قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [2] ورسل الملائكة ليسوا أنبياء، لأنهم مرسلون إلى أنبياء، ورسل إلى البشر بالوحى وليسوا مرسلين للناس .

تلك هى مُقوِّمات أوخصائص النبوة الخمس فكل نبى وكل رسول هو ابتداءلابد أن يكون من الآدميين يصطفيه الله للنبوة والرسالة فيوحى إليه ويمده بالآيات أى المعجزات التى تثبت للمكذبين له صدقه فى إدعاء النبوة ، كما

(1) سورة الأنبياء الآية رقم « 7 – 8 » .

(2) سورة الحج الآية رقم « 75 » .

يكون معصوما من الذنوب والمعاصى والكبائر ، وجدير بالذكر القول بأن الآدمية أو البشرية شرطٌ للنُّبُوة أكثر من كونها مقوما أو خاصيَّةً يحوزها غير الأنبياء وما من نبى إلاَّ قال : انما أنا بشر مثلكم ، ومع هذا فلا نبى إلا وهو من البشر، فليس كل بشر نبيًّا وإنما كل نبى بشر.

وحيث قد ذكرنا أن الأمة المحمدية الخاصة أمة نَبِيِّه باعتبار كونها أمة ومن حيث كونها أمة وليس من حيث كونها أفراداً ، فهل تتميز هذه الأمة بجميع الخصائص النبوية الخمس عن سائر الأمم السابقة عليها ؟،أو هل تحوز هذه الخصائص التى يتميز بها كل رسول وكل نبى صلى الله عليهم وسلم عن سائر الآدميِّين ؟!

نعم ، وفيما يلى تفصيل هذا كله .

ثانيا : الأدلة على تَفَرُّد وتَمَيُّز الأمة المحمديَّة الخاصة الخاتمة بخصائص النُّبُوَّة الخمس وحيازتها جميعا :

الخاصية الأولى : الاصطفاء وهى المقوم الأول للنبوة وهى من خصائص هذه الأمة الخاتمة والدليل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (١) فكل نبى أو رسول ، كما ثبت لنا مصطفى لرسول الله ﷺ ونائبٌ له ﷺ إلى قومه أو أمته ، وكذلك هذه الأمة مصطفاة له ﷺ لتكون سيدة الأمم كما أنه ﷺسَيِّدُ الأنبياء ، وهذا يثبت بالدليل القرآنى الصريح المحكم أنه كما أن النبيين هم المصطفون الأخيار فكذلك الأمة الخاتمة حازت الاصطفاء والخيرية ودليل الاصطفاء الآية السابقة ودليل الخيرية قوله سبحانه وتعالى لنا نحن أبناء هذه الأمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢) فقوله تعالى « كنتم خير أمة أُخرجت للناس تقابل وصف النبيين » فى قوله تعالى عن العديد من الرسل والأنبياء بعد أن ذكرهم باسمائهم مع بعض من سِيَرِهم « وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » فجمع لكل رسول بين خاصية الاصطفاء والخيرية . كذلك الأمة الخاتمة هى مصطفاة وهى خير أمة أُخرجت للناس ، وهذه هى الخاصية الأولى للنبوة وقد ثبت لنا أن الأمة الخاتمة تتميز وتتحلى بها وتحوزها .

الخاصية الثانية : وهى العصمة ، فهل الأمة المحمدية الخاتمة معصومة ؟ ! نعم ، والأدلة النقلية من السُّنَّة الشريفة الصحيحة الصريحة هى فيما يلى :

(١) سورة فاطر الآية رقم « ٣٢ » .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم « ١١٠ » .

الحديث الأول :

قال رسول الله ﷺ « إفترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة تزيد عليها أمتى فرقة ، كلها فى النار إلاَّ السواد الأعظم »(١)

الحديث الثانى :

قال رسول الله ﷺ « إفترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا السواد الأعظم»(٢)

الحديث الثالث :

قال رسول الله ﷺ « إن بنى إسرائيل تَفَرَّقَتْ على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستزيد فرقة كلها فى النار إلاَّ السواد الأعظم »(٣)

الحديث الرابع :

قال رسول الله ﷺ « لا يجمع الله أمرأمتى على ضلالة أبدا ، إتبعوا السواد الأعظم ، يد الله على الجماعة ومن شذَّ شذَّ فى النار »(٤)

---

(١) أخرجه الطبرانى وابن أبى عاصم فى السنة عن أبى أمامة ، وأخرجه الطبرانى « ٢٧٤ / ٨ ، ٨٠٥٤ » ، وابن أبى عاصم « ٣٤ / ١ ، رقم ٦٨ » عن الجامع الكبير للسيوطى جـ ١ حديث رقم « ١٠ » حرف الهمزة .

(٢) أخرجه أبو يعلى عن أنس « ٣٦ / ٧ ، رقم ٣٩٤٤ » .

(٣) أخرجه الطبرانى الكبير « ٢٦٨ / ٨ ، ٨٠٣٥ » وأخرجه فى الأوسط « ١٧٥ / ٧ ، رقم « ٧٢٠٢ » ووثقه ابن هيثم

(٤) أخرجه الحكيم وابن جرير ، وأخرجه الحاكم عن إبن عمر ، والحاكم عن ابن عباس أما عن ابن عمر فقد أخرجه الحكيم « ٤٢٢ / ١» رقم « ٣٩١ » وعن ابن عباس أخرجه « ١٩٩ / ١ ، رقم ٣٩١ » أما حديث ابن عباس فقد أخرجه الحاكم « ٢٠٢ / ١ ، رقم ٣٩٨ »

الحديث الخامس :

أن رسول الله ﷺ قال « إن أمتى لا تجتمع على ضلالة ، فإذا رأيتم إختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم » (١) وللحديث أطراف أُخَر، منها « إن الله قد أجار أمتى » وإجارتها معناها حمايتها من الضلالة ،ولا تكون الأمة معصومة من الضلالة إلا بنجاة السواد الأعظم منها ، ومن ثم أمر النبى ﷺ المسلمين إذا رأَوْا إختلافا فى الأمة إلى فِرَقٍ عددها يصل إلى ثِنتيْن وسبعين أن لا يفارقوا غالبية الأمة العظمى ،وهذا معناه أن الفرق الضَالة الاثنتين والسبعين لن تزيد فى مجموعها عن الأقلية الضئيلة من العدد الإجمالى للأمة الإسلامية (٢).

فإن العقيدة الصحيحة لا تكون دائما إلا مع هذه الأغلبية ، وكذلك المفاهيم الصحيحة معها والأحكام الفقهية التى يتفق ، إن لم يجمع عليها جمهور علماء الأمة ، مع السواد الأعظم من الأمة ،ومن خالف السواد

(١) أخرجه ابن ماجه « ١٣٠٣ / ٢ ، رقم ٣٩٥٠ » وابن أبى عاصم فى السنة والدارقطنى فى الإفراد

(٢) إذا علمنا أن الأمة الإسلامية إحصائيا مليار وسبعمائة ألف :الشيعة الإمامية بدرجاتها والوهَّابيون (المتمسلفة)والإخوان المسلمون، والقاديانية والبهائية وكل جماعة لها اسم تتميز به وأهداف خاصة ولها مساجد متميزة ،كل هؤلاء لا يزيد عددهم على أكثر تقدير عن مائة وخمسين مليون نسمة فإن هذه الجماعات المذكورة وغيرهم هم فرق ضالّة خارجة على السواد الأعظم الذين يدينون فى كل بقاع الأرض بعقيدة أهل السنة والجماعة التى يمثلها الأزهر الشريف ويحفظها ويحافظ عليها إلى يوم الدين فالأمة الإسلامية التى هى السواد الأعظم وعدده المليار وخمسمائة وخمسون مليونا وأولهم شعب مصر المسلم هم أهل الإسلام الصحيح ومن عداهم وشذ عنهم فهم فى النار ، بل هم الخوارج كلاب أهل النار.

الأعظم ،فإنه يكون قد إنتقل عقيدة وسلوكا إلى فرقة من هذه الفرق الضالة التى سيئول مصيرها إلى النار فى الآخرة .

وهذا دليل قاطع على أن الأمة المحمدية الخاصة أمة معصومة ، ومن ثم تكون قد حازت الخاصية الثانية من خصائص النُّبُـوة أو مقوِّمها الثانى، وليست هذه الخاصية لأمة غيرها ،وذلك لأن الأمم السابقة ، وأقربها إلينا اليهود والنصارى ، ظلوا يختلفون وينقسمون حتى لم يعد بينهم فئة أو جماعة على الحق الذى نزل فى كتبهم ، بل إنهم حرَّفوا كتبهم ، فضاع الحق بينهم ، وهذا معناه أن أهل الحق فيهم ظلوا يتناقصون عبر الأجيال حتى صاروا أقلّيّة ، ثم صاروا أقل إلى أن أصبحوا أفراداً ، حتى تلاشت جماعة الحق فيهم[1].

أما الأمة المحمدية الخاصة فهى الأمة الخاتمة لأنها أمة النبى الخاتم ﷺ ووراثة الكتاب الخاتم ، فأحاديث الأمر بالتزام السواد الأعظم ، وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، يثبت أنها تظل على الحق مهما طال الزمن وإلى يوم القيامة، وتظل وارثة للكتاب قائمة بحقه ، ويظل الكتاب محفوظا وتظل الفرق الخارجة على السواد الأعظم أقلية ، وإلاَّ لما أرشدنا رسول الله ﷺ إلى طريق النجاة من الفرق الضالة التى مصيرها النار فى الآخرة ،بالتزام نهج وطريق ودين السواد الأعظم ، فمن شذَّ عن غالبية الأمة شذَّ فى النار .

---

(١) ظل سلمان الفارسى رضي الله عنه يعيش مع راهب نصرانى على دين المسيح عليه السلام الصحيح يخدمه ويتتلمذ على يديه،ليتعلم منه حتى إذا وافته المنية نصحه بالالتحاق بآخر ليتعلم منه ..وهكذا حتى إذا كانت منية آخر راهب تعلم منه قال له لا أعرف احدا على وجه الأرض على ما أنا عليه، فإذا أنا متُّ فاعلم أن هذا زمان بعث نبى آخر الزمان الذى يولد بمكة ويهاجر إلى أرض يقال لها يثرب ذات نخيل وكذا وكذا فالحق بها حتى يهاجر إليها فصار سلمان بعد أن لحق بها سابق الفرس إلى الإسلام .

وليس لهذا من دلالـة صـحيحة يقينيـة إلا أن هـذه الأمـة معـصومة وتلك هى الخاصية الثانية للنبوة تتميز بها هذه الأمة عن جميع الأمم السابقة .

الخاصية الثالثة : الوحى

الوحى كما علمنا فى اللغة العربية هو عملية الإعلام والتعليم الخفـى للنبى أو الرسول الموحى إليه من الله ﷻ ، والوحى أيضا هـو المـوحى بـه إلى الرسول، وهو بالنسبة لرسول الله ﷺ : الكتـاب والـسنة ، والكتـاب والـسنة باقيان صحيحان كاملان مع الأمة المحمدية الخاصـة إلى قيـام الـساعة، قـال تعالى بالنسبة لحفظ الكتاب باللفظ والكلمـة والحـرف ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾[1] وأمـــا حفظ السنة فبقوله تعـالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] وهـو وعد بحفظ السنة بالمعنى والدلالة والكلمة على الأغلب وبالدلالـة والمعنـى على الأقل ويدخل فى هذه الآية حفظ القـرآن بدلالاتـه ومعانيـه وبتأويلاتـه وتفسيراته الصحيحة، وكذلك بشروح السنة الـصحيحة ، وهـذا كلـه يثبـت حفظ الوحى المنزل على النبى ﷺ بين يدى الأمة : قرآنا وسـنة قوليـة وفعليـة وتقريريـة ، ومــن ثــم قــال تعــالى ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ .. ﴾ لأن التوريـث يفيـد بقـاء الكتـاب والـسنة طيلـة أجـل الأمـة المحمدية ، وهذا ليس لأمة مـن الأمـم المحمديـة العامـة ، حتـى ولا الأمـة الموسوية التوراتية.

والوحى يتم بالملائكة سواء أكان هـذا صـوتا وصـورة للمـوحى إلـيهم مـن الأنبياء والمرسلين ، أم كان بأى نوع آخر من الوحى ،وهـى الرؤيـا الـصادقة والخاطر والإلهام والتحديث ، والوحى أيـضاً هـو المـوحى بـه للنبيِّين وهـو الكتاب والسنة بالنِّسبة للأمة المحمدية الخاصة .

(١) سورة الكهف الآية رقم « ٢٧ » .

(٢) سورة الحجر الآية رقم « ٩ » .

وحيث قد ثبت بقاؤهما مع الأمة إلى قيام الساعة، فإن هـذا المقـوِّم أو هذه الخاصية للنبوة موجودة لدى أمة القرآن .

أما أنواع الوحى الأخرى فهى باقيـة لـدى الأمـة فى أبنائهـا إلى يـوم القيامة بفريقين من الرجال :

الفريق الأول : المجدِّدون الذين يبعثهم الله تعـالى رجـلا لكـل قـرن يجدِّد للأمة دينها

الفريق الثـانى : العلـماء المتخصـصون فى العلـوم الإسـلامية الـذين يرزقهم الله تعالى العلـم بـالخواطر والإلهامـات التـى تـأتى إلـيهم بالمفـاهيم الصحيحة للنـصوص، والمُلْهمَـون الـذين يـرزقهم الله تعـالى الإسـتنباطات الصحيحة ويوصلهم إلى الأحكام الفقهية الـصحيحة والمفـاهيم الاعتقاديـة الحقَّة.

وأما أهل التحديث فوحيهم أصرح، وهو غالبا مـا يكـون فى أخبـار قـصيرة ومعلومـات سريعـة هامـة لأصـحاب القـرار والحكـم ، أو لمـن يخـالطونهم ويستشيرونهم ،ومثلها مثل الرؤى الصادقة . فالوحى إذن لم ينقطع عن الأمة سواء بالكتاب والسنة أو بالأنواع الأخرى .

وأكثر المجدِّدين والعلماء النجباء والنابغين هم من عترة المـصطفى ﷺ وآله، أى من آل البيت رضى الله عنهم وعليهم السلام جميعا .

وذلك لأن الأمة تحتاج مع مرور القرون من عمرها إلى من يستخرج لها مـن نـصوص الـوحى : قرآنـا وسـنة كـل مـا يعـالج الأمـراض الخلقيـة والسياسية والاقتصادية والتربوية والروحية التى أصابت الأمة ، وهذا معنى قوله ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها »[1]

فالمجدد لا يجدد دين الله دين محمد ﷺدين الإسلام ،ولكنه بـالغوص فى آيات الكتاب يستخرج من بطون القرآن والسنة ما يعالج ويصلح به ديـن

(١) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم عن كنز العمال مجلد(١٢) حديث(٣٤٦٢٣).

الأمة فى هذا القرن الذى يُبعث فيه المجدِّد، أى أحوال أبنائها المخالفة لـدين الله ليعيدهم إلى دين الله الحق النابع من القرآن الكريم والسنة .

ومن ثم فدور هؤلاء المجددين هو نفس دور الرسل فى السابقين ، ودور العلماء النجباء العاملين هو دور أنبياء الأمم السابقة، والدليل على أن أكثر المجددين والعلماء النابغين النابهين هم من العترة النبوية الشريفة عليهم وعلى جميع آله السلام هو حديث « الثَّقلين» فالقرآن والعترة هما الثقلان فمن حديث طويل نأخذ منه طرفا وهو قول النبى ﷺ « فانظروا كيف تخلفونى فى الثَّقلين

قالوا : وما الثقلان يا رسول الله؟

قال : كتاب الله طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لا تضلوا ، والآخر عترتى ، وإن اللطيف الخبير نبَّأنى أنهما لن يتَفَرَّقَا حتى يردا علىَّ الحوض ، فسألتُ ذلك لهما ربى فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا ، ولا تُعلِّموهم ، فإنهم أعلم منكم ... » [1]

وأخرج الطبرانى أيضا عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ «إنى لكم فرط ،وإنكم واردون علىَّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قُدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفُونى فى الثقلين .

قيل : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : الأكبر كتاب الله سَبَبٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به لن تزلّوا ولا تضلّوا ، والأصغر عترتى، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض ، وسألتُ لهما ذاك ربى ، فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا ، ولا تُعلِّمُوهما فإنهما أعلم منكم » [2]

---

(١) أخرجه الطبرانى « ١٦٦ / ٥ ، رقم ٤٩٧١ » .

(٢) أخرجه الطبرانى « ٦٦ / ٣ ، رقم ٢٦٨١ » .

وأخرج كل من الطبرانى والهيثمى وأبـو نعـيم فى الحليـة والخطيـب البغدادى أن رسول الله ﷺ قال « يا أيها الناس إنى فَرُطٌ لكم ، وإنكم واردون علىَّ الحوض، حوضى أعرض مما بين صـنعاء وبُـصْرَى [1]فيـه عـدد النجـوم، قُدْحَان من فضة ،وإنى سائلكم حين تردون علىَّ عن الثَّقلَيْن ، فانظروا كيـف تخلفونى فيهما » .الثقل الأكبر كتاب الله سببٌ طرفٌ بيد الله وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تُبَدِّلوا ، وعترتى أهل بيتى فإنه قد نَبَّأَنِىَ اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض » [2]

والشاهد من كل هذه الروايات: أن علماء آل البيت لهم نوع مـن الحفـظ مـن الخطـأ فى الكتـاب، أى فى فهـم آيـات الكتـاب ،لأن قولـه ﷺ فى جميـع هـذه الروايات « إن الكتاب والعترة لن يتفرَّقا حتى يردا علـىَّ الحـوض » يعنـى أن الباحثين والمفسرين لآيات الكتاب من العترة محفوظون من الخطأ فيها إلى يوم القيامة، بل إلى ما بعد عبور الصراط إلى حوض رسول الله ﷺ ، فما من تفـسير لهم لآية من الكتاب إلا وهو صواب وصحيح بـإذن الله تعـالى ، ومـن ثـم لا يمس معانيه وأسراره إلاَّ هؤلاء العلماء النابهين النابغين من العترة .

يدل على هذا ويؤكده ويوضحه فى كتاب الله ﷻ قولـه تعـالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [3]

ومعنى « لا يمسه الا المطهرون » : أى لا يدرك معانيه وتفسير آياتـه بحق إلا المُطهَّرون ؟ فمن هم المطهَّرُون ؟

---

(١) صنعاء باليمن جنوب جزيرة العرب،وبصرى بالشام بشمالها.

(٢) الطبرانى « ٦٧ / ٣ ، رقم ٢٦٨٣ » وأبو نعيم « ٣٥٥ / ١ » والخطيـب « ٤٤٢ / ٨ » .

(٣) سورة الواقعة الآية رقم « ٧٥ – ٨٠ » .

حقا إن الأمة الإسلامية المحمدية الخاصة هم أمَّة الوضوء والطهر الجسدى والقلبى ، وطهر القلب خُلُوُّه من رجس الشرك ، وطهر الجسد طهارته ونقاؤه من الناجاسات المادية، فمن يتوضأ فإنه يَتَطَهَّر والمُتوضِّئ – حسب السنة الشريفة – يدعو قائلا « اللهم » إجعلنى من عبادك التوَّابين وإجعلنى من عبادك المُتَطَهِّرين ، فالمتوضأ مُتَطَهِّر بَيْدَ أن الله ﷻ قال « لا يمسه إلا المُطهَّرون » وليس « المتطهِّرون » فلِمَ لم يقل سبحانه وتعالى « لا يمسه إلاَّ المتطهِّرون » فما الفرق بينهما ؟

بمحض إلتزام قواعد اللغة العربية الإجابة هى: أن المُتَطَهِّر هو الذى يُطَهِّر نفسه ، وأما المطَهَّر فهو الذى يطهره غيره ، فمن الذين هم مُطَهَّرون ؟ ومن ثم يقتصر عليهم هم إدراك المفاهيم الصحيحة لكتاب الله تعالى المكنون؟ هم الذين طهَّرهم الله ﷻ ، بقوله تعالى ﴿ .. يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] فهم إذاً عترة المصطفى علماء ذريته ﷺ وعلى عترته وآل بيته أجمعين ، هذا حق أقسم عليه الله ﷻ بمواقع النجوم وإنه لقسم إلهىٌّ عظيم .

من أجل هذا فإن القرآن والعترة لن يتفرقا حتى يردا عليه ﷺ الحوض ،وهذا يثبت أن القرآن والسنة محفوظان إلى يوم القيامة ،ليس بالنسبة لمبانى نصوص الوحى فقط، وإنما للمعانى المتجددة لحاجة كل قرن التى يأتى بها المجدِّدون من العترة النبوية وغيرهم.وبهذا يَكون المقُوم الثالث للنبوة وهو الوحى محفوظا للأمة إلى يوم القيامة.

والخاصية الرابعة : المعجزة

وهى المقوم الرابع للنبوة ، وهى موجودة لدى الأمة وهى القرآن الكريم المعجزة الكبرى ، ومن أوجه إعجازه : أن الأولين والآخرين من

(١) سورة الأحزاب الآية رقم « ٣٣ » .

الإنس والجن والخلق أجمعين يعجزون أن يأتوا بمثله ، بل ولا بعشر سور ، بل ولا بسورة من سوره مهما كان قصرها .

ومن الأوجه الرئيسية لإعجازه البقاء إلى أن يرفعه الله تعالى من المصاحف فى آخرة الدنيا، بعد أن تطلع الشمس من مغربها، ويُغْلَق باب التوبة، وتأتى ريح طيبة من الجنوب فيتنفَّسُها كل من كان فى قلبه بقية من إيمان فيموت ،فتصبح الأرض وليس فوق ظهرها مسلم واحد ، فيرفع الله تعالى رسم آياته من المصاحف فيجدونها بيضاء كأن لم يُكتب فيها كلمة من قبل .

فنهاية الأمة مرتبطة بنهاية وجود الكتاب الخاتم معها ، إذ ليلة موت كل المسلمين هى ليلة رفع القرآن الكريم من المصاحف، فتعيش البشرية ثلاثة أجيال من الكفر تقوم عليهم الساعة فالمقوِّم الثالث للنبوة بالنسبة للأمة المحمدية الخاصة أى الوحى هو المقوم الرابع لها وهو المعجزة وهذا ليس لأمة سابقه عليها أخرى

وليست المعجزة التى لدى الأمة هى القرآن والسنة المحفوظين إلى نهاية أجل الأمة فقط ،بل إن لدى الأمة معجزات أخرى للصدِّيقين فيها والأولياء والصالحين ،وبخاصة أهل العترة من المجددين والعلماء العارفين .وذلك حيث أن المعجزات خوارق عادات يجريها الله على يد الرسول أو النبى لإثبات صدق نبوته ، وكذلك يجرى الله تعالى الكرامة على يد أولياء الأمة وصِدِّيقيها ومجدِّديها وبخاصة أهل العترة النبوية الشريفة . فالكرامة لأولياء الأمة المحمدية الخاصة تناظر المعجزات الحسية التى جرت على يد النَّبِيِّين بعامة، ويد سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وعليهم جميعا .

ومن ثم فالأمة الإسلامية المحمدية الخاصة تَحُوز خاصية النبوة الرابعة وهى المعجزة .

وحيث أن المعجزة الكبرى لهذه الأمة هى القرآن أو الوحى وهو نفس المقوم الثالث للنبوة، وهذا ليس لرسول آخر، ولا لأمة أخرى أن تجد المقومين الثالث والرابع للنبوة واحدا ؛ لولا أن ثم معجزات حسية عظيمة وعديدة للنبى الخاتم ﷺ أعظم من جميع معجزات النَّبِيِّين أو المرسلين مثل شق القمر ونبوع الماء من بين يديه وحنين الجزع وغيرها كثير، وأعلاها الإسراء من مكة إلى المسجد الأقصى وعودته فى أقل من ليلة والإخبار بأحداث قبل وقوعها من بعده بزمن قصير وبزمن طويل وكلها تحققت كما قال، وغير ذلك كثير جدا من المعجزات الحسية والمعنوية والروحية .

فوجود هذه الأخبار المُحقَّقة عن النبى ﷺ بين يدىْ علماء الأمة يتوارثونها جيلا بعد جيلا ، ثم يتوالى وقوع الحدث تلو الحدث ، أى هذه الأحداث التى تَتَضَمَّنَها هذه الأخبار التى يتوالى حدوثها ووقوعها عبر الزمان، معجزات نبوية ممتدة عبر الزمان تثبت لغير المسلمين صدق النبوة المحمدية ، وهى بلا شك معجزات نبوية ورَّثها ﷺ لأمته ويتجلى وجه إعجازها فى وقوعها وحدوثها كما أخبر عنها الصادق المصدوق تماما، جيلا بعد جيل إلى آخر الزمان.

فإذا أضفنا إلى هذا كرامات الأولياء والصدِّيقين التى يجريها الله على أيديهم لأسباب وأمور وحِكَمٍ متعددة كلها تدور حول أداء دورهم الإصلاحى الدينى، باعتبار أنهم علماءُ مجدِّدون مصلحون لدين الأمة ولأحوالها الإيمانية ، لثبت لنا بيقين أن المعجزة الحسِّية أو ما يقوم مقامها وهى الكرامة موجود لدى الأمة باعتبار أنها إحدى مقومات أو عناصر النبوة .

الخاصية الخامسة للأنبياء أو العنصر أو الشرط الخامس للنبوة : البشرية :

وهذا المقوم هو البشرية أو بلفظ أدق الآدمية حيث لا نُبُوَّة إلا فى بنى آدم، فكل نبى إنما هو بشر مثل سائر الآدميِّين من حيث أصل الخلقة وخصائصها وصفاتها وأطوارها وأحوالها وتوالدها وحياتها ومماتها ودفنها فى الأرض وبعثها ونشورها .

فهل هذا المقوم للنبوة لدى الأمة المحمدية الخاصة ؟

الإجابة : بداهةً نعم ، لأن كل أبناء الأمة آدميُّون بشر من بنى الإنسان

ومن ثم يَثْبُتُ بداهةً لنا أن هذا المقوم لدى الأمة المحمدية الخاصة ، وحيث أن للنبى ﷺ أمة محمدية من الجن ، إلاَّ أنهم ليسوا أمته المحمدية الخاصة ، لإن هذه الأمة تتميز على غيرها بأن النبى ﷺ من أنفسهم ، فليست نفسه ﷺ ملائكية ولا جِنيَّة، وإنما نفسه ﷺ آدمية بشرية إنسانية قال تعالى مُمْتَنًّا على الأمة المحمدية الخاصة، بل وعلى البشرية جمعاء ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (1) فالبشرية شرط النبوة ، أكثر من كونها مُقَوِّمًا لها.

وبهذا تحوز الأمة كل مقوِّمات النبوة أفلا تكون ، لتمتعها بهذه المقومات الخمس ، أمةً نَبِيَّة ؟

بلى والله ....

وليس هذا لأمة من الأمم المحمدية العامة السابقة على أمتنا فى الزمان ولا لمسلمى الجن كذلك، ولم لا تكون هذه الأمة نبيَّة؟!

(1) سورة التوبة الآية رقم « ١٢٨ - ١٢٩ » .

أفليس نَبِيُّنا ورسولنا العظيم ﷺ وآله أجمعين نبيا لكل النبيين ورسولا لجميع المرسلين ؟ ! فلم العجب إذن ؟

ولكن ومع أن ثبوت نبوة الأمة المحمدية الخاصة قد ثبت لنا بحيازة كل مقومات النبوة أو خصائص النبيين والمرسلين الخمس، وهذا يكفى جدا لاثبات نُبُوَّتها ، ولكن ومع هذا كله نجد أمورا ووظائف ومهام وأحوال أخرى تخص الأنبياء ، أقول : نجدها كاملة أيضا لدى الأمة سواء فى الدنيا أو فى المحشر أو فى جنة النعيم، بإذن الله تعالى، الأمر الذى يجعل ثبوت نُبُوَّة الأمة المحمديَّة الخاصة يقينيًّا .

وهذا هو موضوع الفصل التالى بعون الله تعالى وتوفيقه

الفصل الثانى

توفيق الأمة المحمدية فى تحقيق مهام ووظائف النبوة التى عجزت عن تحقيقها الأمم السابقة

مهام النُّبوة ووظائفها هى :

البلاغ والبيان أو الإبانة ، والإمتثال والتطبيق والجهاد بالكلمة لتبليغ الرسالة لغير العالمين بها أفراداً وشعوباً، لإقامة دين الله ﷻ فى الأرض ما إستطاع النبى إلى ذلك سبيلا .

وقد ورد عن النبى ﷺ قوله عن الأنبياء السابقين قبله ﷺ ما معناه أن النبى يأتى يوم القيامة ومعه مؤمنا واحدا ثمرة دعوته ، والنبى لا يؤمن به إلاَّ اثنان ،والنبى معه ثلاثة، والنبى ليس معه أحد، وأنبياء ورسل معهم سواد من الناس ، ومن أكثرهم موسى ﷺ ثم قال ﷺ « أنا أول شفيع فى الجنة ،وأنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وإن من الأنبياء لمن يأتى يوم القيامة ما معه غير واحد »(1)

وهذا معناه أن كل نبى أو رسول مكلف بدعوة قومه وتبليغهم ليسلم معه من يسلم ويستجيب له من يستجيب ويمتنع من يمتنع ، وكل نبى مبعوث إلى قومه حتى أن موسى ﷺ مبعوث إلى بنى إسرائيل الذين كان عددهم فى زمنه قرابة ألف ألف رجل وإمرأة وطفل ، وكان تكليفه بالنسبة لفرعون ، إذا لم يؤمن ، أن يرسل معه بنى إسرائيل ليخرج بهم من مصر إلى أرض الله الواسعة ليتحرروا من عبوديتهم لفرعون وجيوشه.

أما رسول الله ﷺ فهو مرسل فى هذه الحياة الدنيا إلى كل القبائل والشعوب المعاصرة له، والتى بعده إلى قيام الساعة ، وأول هذا إقامة دولة الخلافة

---

(1) مسند البزار حديث (٧٤٨٨)ج١،صـ٣٦١.

الإسلامية فى شبه جزيرة العرب ،وقد تم له هذا فى حياته ﷺ، بصحابته المهاجرين والأنصار ، وهذا لم يتحقق لأى رسول من الرسل من قبله ولا حتى لِأُولى العزم الأربعة قبله من الرسل ، لا لنوح ولا إبراهيم ولا حتى لموسى ولا عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام ، فكلهم ماتوا قبل أن يقيموا دولة الخلافة ، أما دولة الخلافة التوارتية فلم تقم إلا بعد موت موسى عليه السلام بعشرات السنين بطالوت وداود وسليمان عليهم السلام .

وليس تكليف رسول الله ﷺ وأمته بهذا فقط، وإنما تكليفه هو محو الكفر والشرك من الأرض، حتى لا يكون على وجه الأرض منزل من الحجر أو بيت من الوبر أى خيمة إلا ويدخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل ،ومثل هذا التكليف لم يكلف به أحد من الرسل من قبل ولا أمة من الأمم من قبل ، وهو نصر عزيز للإسلام ،وهو الذى وعد الله تعالى حبيبه ورسوله ﷺ بأن يتحقق بآخر أمته، وليس بأولها ،بقوله تعالى له ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1] وبقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2] وبقوله تعالى أيضا ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3]

وتفسير الآيتين أن جميع الأديان الباطلة والمحرفة ستنهزم أمام دين رسول الله ﷺ الذى هو دين الإسلام ، وهو دين الحق الذى سيُزهق باطل أديان الشرك رغم أنف المشركين ، ورغم أنف الكافرين ، وهو ما جاء فى الحديث عن بلوغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها،وهو قوله ﷺ لفاطمة عليها السلام «لا تبك فإن الله قد بعث أباك بأمر لا يبقى على وجه الأرض

---

(١) سورة الضحى الآية رقم « ٤ » .

(٢) سورة التوبة الآية رقم « ٣٣ » .

(٣) سورة الصف الآية رقم « ٩ » .

بيت مدر ولا حجر ولا وبر ولا شعر إلا أدخله الله به عِزًا أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل »[1]

وحيث قد علَتْ فى عصرنا كلمة الكفر، وسيطر الباطل على الأرض بإفساد بنى إسرائيل الذين علوْا بهذا الإفساد علوا كبيرا، بدليل قول الله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[2] ، وحيث قد عَمَّ الشَّرُّ الأرض فإن من يسمع هاتين الآيتين عن ظهور الإسلام على جميع أديان أهل الأرض، فإنه سيعجب أَيَّما عجب ،إن كان مسلما ، ويكذبه إن كان من غير المسلمين، ومن ثم أنزل الله تعالى قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3] فقول الله تعالى ﴿ .. وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أى شهيداً على حتمية تحقق هذا الانتصار الإسلامى على الدين كله ،حتى يُمحى الكفر والشرك من وجه الأرض .

وكأنى بقائل يقول : إن رسول الله ﷺ إنتقل من هذه الحياة الدنيا من غير أن يُظهر الله دينه على الدين كله فى حياته ، بل ولا حتى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ، كما هو واقع فى زماننا حيث أمة الإسلام اليوم أضعف أمم الأرض ، فكيف سيظهر هذا الدين على الدين كله، وحال أهله حال قصعة الطعام التى تكالب عليها الأكلة ينهشونها قتلا وتشريدا ،والرد على هذا باختصار شديد جدا فى سورة الضحى بقوله ﷻ ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[4]

(١) المعجم الكبير للطبرانى حديث رقم(٥٩٦)الجزء(٢٢)،صـ٢٢٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم « ٤ » .

(٣) سورة الفتح الآية رقم « ٢٨ » .

(٤) سورة الضحى الآية رقم « ١ - ٥ » .

وتفسيرها هو : أقسم الله تعالى بالضحى وبالليل إذا سجى أى بوقت إرتفاع الشمس وظهور نورها ، وبالليل إذ سكن الناس فيه للراحة وإِعْتَمَّتْ الظلمة ، والقَسَمُ الأول كناية عن ظهور الإسلام فى العهد النبوى ثم فى عهد الخلفاء الراشدين ثم انتشاره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حول جزيرة العرب ثم انتشار الإسلام الواسع وحكمه للأرض خلال الدولة العباسية الأولى، حتى أن أحد خلفائها وهو هارون الرشيد كانت تأتيه صناديق الذهب من بقية الأرض ، أى من ملك الروم وملك الصين ، ولكن الأرض كلها لم تسلم بل ظل ثلاثة أرباع الناس غير مسلمين ،ومن ثم بدأت قوة الإسلام فى التراجع منذ عهد الدولة العباسية الثانية ، وقامت بعد ذلك فى تركيا السلطنة العثمانية التى إمتدت قرابة الخمسة قرون حامية للأمة المحمدية الخاصة حتى ضعفت رويدا رويدا وسقطت بالمخطط الصهيونى الأتاتوركى ،ولم تقم للإسلام راية واحدة للأمة، وعادت الأمة شعوبا وقبائل متفرقة، كما كانت قبل الإسلام ، ومن ثم تكالب عليها الوحوش ينهشونها قتلا وتشريداً لشعوبها حتى وقت كتابة هذه السطور، وآخر هذه الشعوب الشعب العراقى ثم السورى وهى التى قال رسول الله ﷺ « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » (١)

وتُعتبر سنوات ضعف وشيخوخة الدولة العثمانية نهاية نهارالأمة ثم سقوطها عام ١٩٢٤ م هو بدء ليلها، ومرور عشرات السنين بعدها إنتصاف ليلها وإشتداد الظلمة فى تاريخها وتاريخ البشرية ، تلك الظلمة التى نعيشها اليوم، فعاد الإسلام فى الناس غريبا كما بدأ غريبا من قبل .

فقسمُ الله تعالى بالضحى هو قسمٌ بالعهد النبوى وما بعده من نور الهدى الذى إنتشر فى الأرض ، وقمة قوتها فى عهد خلفاء الدولة العباسية الأولى، فكان هذا ظُهر الأمة ثم بدأ الضعف فيها فى عهد العباسية الثانية

(١) الجامع الكبير للسيوطى جزء(١)رقم(١١٤٤٤).

فكان هذا بمثابة عصر يوم الأمة الإسلامية ،حيث بدأت السلطنة العثمانية التى تم على يديها تأجيل مغربها ،الذى وقع بسقوطها عام ١٩٢٤ قرابة خمسمائة سنة .

فهل ستقوم قائمة للأمة الإسلامية بعد هذا السقوط لرايتها ؟

حقا إن وحدة الأمة الإسلامية فرض كفاية على علمائها وأُولِى الأمر عليها ، فإن لم يقوموا بها ،وإن لم يسعوْا إلى توحيدها بعد سقوط رايتها الواحدة، فهم جميعا آثمون، فهل ستعود للأمة خلافتها ورايتها الواحدة وسلطانها الواحد ؟

نعم ، وأكثر من هذا بكثير جدا .ستعود الخلافة المهدوية راشدة على عهد النبوة ،كما أخبر بهذا الصادق المصدوق بقوله ﷺ «إن الإسلام بدأغريبا وسيعود غَريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »[1]و قال رسول الله ﷺ أيضا « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها ثم تكون ملكا عضوضا فتكون ما شاء الله ،ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ،ثم ملكا جبرية ،ثم تكون خلافة على منهاج النبوة »[2]

وها نحن عشنا و نعيش فى هذا العصر عهود الجبابرة ، تلك التى سيكون بعدها عهد الخلافة المهدوية الراشدة تحقيقا لقوله تعالى ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [3] أى أن إسلام البشرية الذى تتوق إليه نفسه ﷺ سيتحقق فى آخرة الدنيا ،وآخر عهود أمتك ،فالمجاهدون فى آخرة أمتك لاستعادة الخلافة الراشدة سابقون سابقون مثل أصحابك المهاجرين والأنصار، وسيكون هذا التحقق بقليل من السابقين الآخرين من أمتك

(١) أخرجه الترمذى فى علله برقم(٤٠٤)الجزء الثانى صـ٣١٠.

(٢) كنز العمال مجلد(٦)،صـ١٢١حديث(١٥١١٢).

(٣) سورة الضحى الآية رقم « ٤ » .

الذين سيكونون من المقربين مع ثلة السابقين من الأولين من أصحابك رضوان الله عليهم ، قال تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾(١) أى خافضة لأعداء الأمة المحمدية رافعة لها بهذه الثلة القليلة من السابقين السابقين الذين هم قليل من الآخرين، قال تعالى ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾(٢) وهؤلاء السابقون من الآخرين ، سيتحقق بهم محو الكفر من الأرض بقيادة الأئمة أو الخلفاء المهديِّين الراشدين الذين ستكون خلافتهم على عهد النبوة كما ورد فى الحديث « إمام عادل وإمام عادل وإمام عادل ثم إمام عدل »

والعدل هو المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام بعد نزوله لقتل المسيح الدجال بعد خروجه المُعَلَن وظهوره العلنى بشخصه للناس ، أما الثلاثة السابقون عليه فهم الأئمة المهديُّون الثلاثة أولهم محمد بن الله والثانى القحطانى والثالث الهيثم .

والملاحم العظمى الرئيسية التى سيتم بها القضاء على الأديان الكفرية والشركية في الأرض كلها ويظهر بالانتصار فيها الإسلام على الدين كله رغم أنف الكافرين ورغم أنف المشركين قد ذكرها رسول الله ﷺ فى الحديث التالى:

أخرج مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن باب "مايكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال" بسنده عن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، قال : فأتى النبى ﷺ قوم من المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال : فقالت لى نفسي: إئتهم فقم

(١) سورة الواقعة الآية رقم « ١ – ٣ » .

(٢) سورة الواقعة الآية رقم « ٧ – ١٤ » .

بينهم وبينه لا يغتالونه. قال : ثم قلتُ: لعله نجيٌّ معهم، فأتيتُهم فقمت بينهم وبينه، قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدُّهم فى يدى ، قال ﷺ :

تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله .

ثم فارس فيفتحها الله.

ثم تغزون الروم فيفتحها الله.

وتغزون الدجال فيفتحه الله؟

قال: فقال نافع : ياجابر لا ترى الدجال يخرج حتى تُفْتَح الروم)(١)

وبعد مقتل الدجال تخرج يأجوج ومأجوج فيوحى الله تعال إلى عيسى بن مريم ﷺ أنّى أخرجتُ عباداً لى لا قبل لك ولمن معك بهم، فخذ عبادي والجأ إلى الطور" ، وبعد وصولهم(٢) إلى مشارف القدس يبيتون ليلة فلا يصبح عليهم النهار إلاَّ وقد قتلهم الله عن بكرة أبيهم، فتضع الحرب أوزارها إلى قيام الساعة.

وبعد أن يقضى الله تعالى بقوته وحوله على يأجوج ومأجوج تصبح الأرض مسلمة ويعيش الناس فى سلام لقوله ﷺ « ثم تضع الحرب أوزارها » فلا حروب حتى تقوم الساعة ،ويعيش الناس فى ريف وخصب ،ويسير الذئب مع الغنم والوحوش مع فرائسها وينزع الله من كل ذى سم سُمَّة وتُعطى الأرض بركتها حتى يأكل العصبة من الرجال الرمانة الواحدة ويستظلوُّن بنصف قشرتها ، وهذا فى عهد الإمام العدل سيدنا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، حيث يكون هو سلطان الأرض ، فتكون الأرض وكأنها عادت إلى حالة الجَنَّة التى كان فيها آدم وزوجه عليهما السلام ،قبل أكلهما من الشجرة ،ريف وخصب وسلام وأمان ومحبة ووفاق .

---

(١) صحيح مسلم / كتاب الفتن/ باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال حديث (٧٢٢٩) .

(٢) أى يأجوج ومأجوج .

وقال تعالى ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ (١)

أما القسم بالشمس وضحاها فهو نفس القسم بالضحى فى سورة الضحى ،وهو قسم برسوله وحبيبه ونوره ﷺ الذى هو سراج منير أى شمس منيرة، وأما ضحاها فهو العهد النبوى المبارك منذ مولده حتى موته ﷺ ، ومن الضحى حتى المغرب أو بدأ الليل هى جميعا كناية عن عهود الأمة الزاهرة، ثم عهود زوالها حتى إعتَمَّتْ الظلمة، فجعل الله لها فى ظلمتها وليلها البهيم قمرا منيرا، هو المهدى الأعظم خاتم المجدِّدين سيدى ومولاى محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه وقدَّس الله سره، وهو المهدى الهادى ، المهدى من النبى ﷺ والهادى لبقية المهديِّين الراشدين دولة آل البيت الذين بعده الإمام العادل والإمام العادل والإمام العادل الثالث الذى يسلم السلطة لسيدنا عيسى ﷺ الإمام العدل ،بعد أن يصلى سيدنا عيسى خلفه صلاة الصبح، ثم يخرجوا ليطاردوا الدجال واليهود ويُطَهِّروا منهم ومن أتباعهم الأرض .

وبعدها تخرج يأجوج ومأجوج فيقتلهم الله تعالى قبل وصولهم إلى القدس فى ليلة واحدة

ومن ثم يكون قوله تعالى ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ (٢) بلاغا وإعلانا للزمن الذى يحكم فيه سيدنا عيسى البشرية قاطبة بخير وسلام وعدل وريف وخصب وهو عهد قصير كقصر الوقت من بدء إنفلاق ضوء الصبح إلى بدء شروق الشمس ، وبعدها يموت المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام، ويدفن بجوار رسول الله ﷺ وما تلبث البشرية أن تَعود إلى المعاصى والفسق ،ثم إلى الكفر، إلى أن يُطْبِقِ الكفر فلا يبقى مؤمن واحد على الأرض، وهذا هو قَسَمُهُ ﷻ بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ (٣) فتكون البشرية

(١) سورة الشمس الآية رقم « ١ – ٣ » .

(٢) سورة الشمس الآية رقم « ٣ » .

(٣) سورة الشمس الآية رقم « ٤ » .

كلها كافرة مشركة بهيمية حيوانية ،ليس فيها مؤمن واحد يقول « الله » وهؤلاء ثلاثة أجيال تقوم على آخرهم الساعة ، لقوله ﷺ « لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع » (١)

وخلاصة هذا كله أن الأمة المحمدية الخاصة قد تَحقّق وسيتحققّ على يديها وبجهاد أبنائها فى آخر الزمان من التبليغ ومن البيان والتبيين للحق، ومن الجهاد بالقرآن ثم بالسيف ، ما لم يتحقّق بالأمة المحمدية العامة أى بكل الأنبياء والمرسلين وأممهم جميعا خلال عمر البشرية الطويل الذى لا يعلمه إلا الله ﷻ .

إن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان الذى بدأ مع بدء عهد البشرية بِتحوِّل إبليس اللعين الجنى إلى عدو لبنى آدم بعد أن رفض السجود لآدم عليه السلام ، ثم بقتل الخاسر الشقى اللعين قايين « قابيل » أخاه هابيل عليه السلام شهيد البشرية الأول، فى بدء قصة الصراع بين الحزبيْن، واستمر هكذا خلال جولات متعددة لا يعلم عددها إلاَّ الله ﷻ ،وانتهت معظمها إما بالاستئصال الكلى لقوم الرسول المرسل إليهم، وأبرز أولئك الأقوام قوم نوح ﷺ وعاد قوم هود ﷺ وثمود قوم صالح ﷺ وقوم لوط ﷺ ومدين قوم شعيب ﷺ، وغيرهم كثير جدا لم يذكرهم الله تعالى فى كتابه لقوله ﷻ ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٢) ولأن عمر البشرية طويل جدا بدلالتيْن :

الأولى : أن الله تعالى خلق آدم رجلا طوالاً ستون ذراعا فى سبعة أذرع، وظل الخلق يتناقصون عبر الأجيال، بنسبة لا تكاد يلاحظها الدارسون والعلماء المتخصِّصُون ، كما أن العلماء من حزب الشيطان وساداتهم من قادة

(١) الحديث فى مسند أحمد والطبرانى وابن أبى شيبة عن أبى بردة بن نيار ،عن كنز العمال مجلد(١٤)حديث رقم(٣٨٥٣٠)صـ٢٣٤ .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم « ١٧ » .

حزب الشيطان يحرصون حرصا شديدا جدا على إخفاء أى مكتشفات علمية تثبت أى حقيقه إيمانية رئيسية أو فرعية من ثوابت العقيدة فى القرآن والسنة، ومع ذلك هذا عثر بعض المنقِّبين فى الحفريات على حفرية لجمجمة بشرية بالربع الخالى جنوب جزيرة العرب ، حيث كان موطن قوم عاد، وأعلنوا أنها ضخمة الحجم جدا ، حتى أن فتحة العين ينفذ منها كائنا حَيّاً بحجم الفهد ، ولكن سرعان ما إختفت هذه الجمجمة واختفت أخبارها تماما ، وما هذا إلاّ لأن حزب الشيطان حريص جدا على أن يخفى أى أثر يثبت صحة قصة الخلق والحقائق الإيمانية بعامة كما جاءت أصولها فى القرآن والسنة، بل وفى الكتب السماوية السابقة مِمَّا نجا من التحريف من كتب أهل الكتاب، فَمِمَّا قاله هود ﷺ لقومه عاد رداً على تكذيبهم له مُذِكّراً لهم بنعم الله تعالى عليهم ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) فقوله ﴿ ..وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً .. ﴾ دليل على أنهم إزدادوا أحجاما عن أحجام قوم نوح عليه السلام مع أن قوم نوح كانوا عمالقة أيضا لأن الأجيال التى بين نوح وآدم عليهما السلام كانت عشرة فقط.

الثانية : أن الأعمار كانت ألف عام لآدم عليه السلام وربما أكثر لنوح عليه السلام وظلت الأعمار تتناقص مع الأحجام رويدا رويدا حتى وصلت إلى ما بين الستين إلى السبعين لأكثر أبناء الأمة المحمدية الخاصة بدليل قوله تعالى «أعمار أمتى بين الستين إلى السبعين وأقلهم ما يجوز ذلك» (٢)

هذه الحقائق الإيمانية وغيرها كثير من الحقائق المتفقة مع العلم، يعارض بل يبطل نظرية التطور لدارون تماما تلك التى تجعل الفرع أفضل من

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم « ٦٩ » .

(٢) أخرجه الترمذى (٥/٥٥٣، ٣٥٥٠)وقال حسن غريب ،والحاكم وقال على شرط مسلم(٣/٤٦٣)برقم ٣٥٩٨ وابن حبان والطبرانى وغيرهم.

الأصل وأكبر وليس على وجه الأرض شجرة فرعها أعظم وأفضل وأضخم من الشجرة نفسها وأكثر ثمارا وأزهاراً منها ، فإذا كان هذا مستحيلا أن يتفوق الفرع على الأصل فكيف يُصبح تفسير خلق الإنسان وتفوقه المدخل على القردة ،بأن يكون خلقه ووجوده فرعا من القردة إذ كيف يكون الأسفل أصلا وأبا للأعلى ؟!.

وخلاصة الشاهد من هذين الدليلين أن عمر البشرية طويل جدا وهو ما يتوافق مع عدد الأنبياء والمرسلين الذين تخلّلوا هذا العمر الطويل للإنسانية ، وهو كما ذكرنا من قبل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا ومائة وأربعة وعشرين ألف نبيا ، وظل الكفر غالبا على الناس ، وظل الشر سائدا على معاملات البشر ، ولأول مرة يُسلم لله تعالى هذا العدد الذى هو عدد الأمة الإسلامية، وهو فى عصرنا يزيد على مليار ونصف المليار مائتي مليون نسمة، وهم الذين ستنتهى بهم قصة الصراع فى جولتها الأخيرة إلى محو حزب الشيطان بالضربات القاضية المتلاحقة، ولتكون العاقبة لحزب الله ﷻ أى الأمة المحمدية الخاصة، بقيادة المهديِّين الثلاثة، ثم بقيادة عيسى بن مريم عليهما السلام بعد أن يصلى الصبح خلف المهدى الثالث، ويخرجوا لملاقاة الطاغوت وأعوانه من اليهود وأئمة الكفر وأبناء الزنى وهم حزب الشيطان، فيقضون عليهم ، فَيَقْتُلُ المسيحُ بن مريم عليهما السلام المسيحَ الدجال، ويقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله ورائى يهودى فتعال فاقتله ، وهو يوم الخلاص .

فالماحى للكفر هو رسول الله ﷺ ، ليس بأمته المحمدية العامة التى قادها وكلاؤه ونوابه أى هذا العدد الهائل من النَّبِيِّين والمرسلين قبله، ولكن بأمته المحمدية الخاصة تحت قيادته ﷺ المباشرة لها وبقيادة علماء عترتة وأولياء أمته والصالحين من الحكام والسلاطين وكأنه ﷺ كان وهو فى وجوده

الملكوتى الأحمدى يدفع بأمر الله تعالى بالرسول تلو الرسول من قِبَله نائبا عنه ليقود كل منهم مرحلة من مراحل الصراع : نوح ثم ثمود ثم صالح وهكذا إلى آخرهم قبل مجيئه ﷺ وعليهم وهو عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام.

فلما لم تستطع الأمة المحمدية العامة أى المائة والأربعة والعشرون ألف نبى بقيادة الثلاثمائة والثلاثة عشر رسولا ومعهم أممهم أن ينقذوا الناس من الشرك والكفر وعذاب الآخرة ،إلاّ قليلا جدا، نزل إمام المرسلين وقائد الغُرُّ المُحَجَّلين بنفسه ليكون هو نبى الرحمة ونبى الملحمة أى المواقع الحربية العظيمة التى تُنْهِى قصة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل ، بين أهل الخير وأهل الشر ، ويتحقق قول الله ﷻ ﴿ ..وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]وقوله تعالى ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ .. ﴾[2]ويتحقق قوله ﷻ ﴿ ..لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ.. ﴾[3]رغم أنف الكافرين ورغم أنف المشركين . فجنود وقادة وفرسان الأمة المحمدية الخاصة هم الغُرُّ المحجلين الذين سيمحوا الله بهم الكفر من الأرض مُحَقِّقاً قول المصطفى ﷺ « لى خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على يدى، وأنا العاقب »[4] وأحمد اسمه فى السماء ومحمد فى هذه الحياة الدنيا والعاقب الخاتم والماحى وهو الماحى للكفر من الأرض، والحاشر هو الحاشر للناس على قدمه ﷺ .

من أجل هذا لم يصطف الله ﷻ من الأمم إلا هذه الأمة لأن الاصطفاء لا يكون إلاّ لشرف عظيم، وهو أن تكون أمة محمدية خاصة لحبيبه ورسوله ﷺ ،

(١) سورة الأعراف الآية رقم « ١٢٨ » .

(٢) سورة المجادلة الآية رقم « ٢١ » .

(٣) سورة التوبة الآية رقم « ٣٣ » .

(٤) أخرجه الطبرانى(٢/١٢٣)برقم١٥٣٢ عن جبير بن مطعم.

ولأمر عظيم جلل عجزت عنه كل الأمم السابقة، وهو القضاء على الطاغوت ،ومحو الكفر والشرك ،وإيقاف سفك الدماء من الأرض ، فاصطفاها الله تعالى لوراثة الكتاب الخاتم من صاحبه، لتمضى به قُدماً خلال الزمان، ولتنهى هذا الصراع بضربة قاضية على القيادة الطاغوتية الشريرة سافكة الدماء ومصدر الشر والفساد فَيَنْمحِى بقيادة المصطفى الأعظم وبجنديَّة مجاهدى آخرة أمته الخاصة ينمحى الكفر من الأرض فيكونوا هم المتقين أصحاب العاقبة الذين يظهر الله تعالى دينه على الدين كله برسوله الخاتم للناس كافة ﷺ وبهم رضى الله عنهم معه. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ... ﴾ (١) فحقق الله بها مالم يتحقق وبالرسل والنبيين وأممهم أجمعين.

أفليس هذا كله مثبتاً بأدلة قطعيَّة جازمة بأن هذه الأمة المحمدية الخاصة أمة نبية ؟ ! بلى والله الذى لا إله إلا هو.

(١) سورة الفتح آية رقم (٢٩).

الفصل الثالث

الحكمة التى من أجلها أرسل الله تعالى الرسل مُتَحقِّقة يوم الدين بالأمة المحمديَّة الخاصة .

ما هى الحكمة الإلهية التى من أجلها أرسل الله تعالى الرسل ؟

الإجابة هى قوله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]

وذلك لأن الله ﷻ يعطى الناس يوم القيامة الفرصة ليدافعوا عن أنفسهم بالأقوال والأفعال إتقاءً للعذاب الشديد الأبدى بدليل قوله تعالى ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] فمن رحمة الله تعالى ، ولأنه هو ﷻ العدل ، ولا يظلم مثقال ذرة ، فإنه يأذن يوم القيامة لكل نفس أن تدافع عن نفسها ، حتى أن المشركين يكذبون على أنفسهم ويقسمون بأنهم لم يشركوا بالله ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[3]

فالمشركون والعصاة يوم القيامة سينكرون ويكذبون ويقسمون ويدَّعون أى إدِّعاءٍ ويزعمون أى زعمٍ طلباً للنجاة ، ومن ثم أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين ومعلمين حتى لا يكون للناس يوم القيامة حجة

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٦٥ » .

(٢) سورة النحل الآية رقم « ١١١ » .

(٣) سورة الأنعام الآية رقم « ٢٢ - ٢٤ » .

على الله تعالى بالجهل أو بوارثة عقيدة الشرك عن الآباء والأجداد أو بأى حجة أخرى ، ومن ثم قال تعالى عن الحكمة من إرسال الرسل إليهم : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١)

فحجة كل رسول على قومه الذين أبوْا إتباعه أو انحرفوا عن التعاليم والعقيدة التى تركها لهم تقوم هذه الحجة يوم القيامة عليهم بشهادة رسولهم عليهم .

ومثال ذلك شهادة عيسى ﷺ على ما أحدثه قومه من بعده من تحريف فى التوحيد الذى تركه لهم فى إنجيله الصحيح ، وهذه الشهادة هى فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢) فسؤال الله ﷻ عيسى بن مريم أمام قومه بقوله تعالى ﴿ ..أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ .. ﴾ لم يكن إلاَّ بعد أن زعم أتباعه المنحرفون عن عقيدة التوحيد التى تركها عيسى لهم أن عيسى هو الذى زعم لهم أنه وأمه إلهيْن من دون الله ، وأن الله تعالى بهذا ثالث ثلاثة ، ومن ثم سيكون نفى عيسى يوم القيامة مُكَذِّبا زعمهم هذا نفياً قاطعا لهذا الزعم الباطل ﴿ .. قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ .. ﴾ إلى آخر السياق وبهذا صار عيسى بن مريم حجة وشهيدا على قومه ، قال

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٦٥ » .

(٢) سورة المائدة الآية رقم « ١١٦ - ١١٨ » .

تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1] وليس عيسى عليه السلام فقط هو الذى سيكون شهيدا على أمته ، بل كل الرسل، وهكذا فكل رسول يأتى يوم القيامة شهيدا على قومه .

قال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[2] وذلك لأن الله تعالى يحاسب الناس يوم الدين حسابا جماعيا أولا ، فإذا قامت الحجة على فساد عقيدة أمة ما من الأمم وشركها بالله عز وجل ، فالحكم يكون على كل من ينتمى لها بدخول النار .

ومن ثم لا يُقام لأفراد هذه الأمة المشركة أوزانا أو مساءلات فردية . قال تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] هكذا يكون الحساب أُمَميًّا يوم الدين بإقامة الحجة عليهم بلسان نبيهم المبعوث إليهم وبكتابهم، الذى ينطق عليهم بأعمالهم الأممية والجماعية والتاريخية .

أما بالنسبة للأفراد، فالحساب يكون بعد ذلك، لتحديد دركة كل فرد فى النار بمقدار الشرور التى أرتكبها فى حياته ، ومن ثم لا يقام للكافرين الذين كَذَّبوا بلقاء الله تعالى وزنا الذين قال تعالى عنهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[4]

أما بالنسبة للحساب أولا وأساساً يوم القيامة فهو للأمم قبل الأفراد والمؤكد أن حجة الله تعالى على كل أمة هو الرسول الذى أرسله الله تعالى إليها والذى من مهامه أن يكون شاهداً على قومه يوم الدين فلا يكون لها على الله

(١) سورة النساء الآية رقم « ١٥٩ » .

(٢) سورة القصص الآية رقم « ٧٥ » .

(٣) سورة الجاثية الآية رقم « ٢٨ » .

(٤) سورة الكهف الآية رقم « ١٠٥ » .

حجة، وحيث أن عدد الرسل هو ثلاثمة وثلاثة عشر رسولا ، فإن الأمم يوم القيامة ستكون ثلاثمائة وثلاثة عشر أمة كل منها لها يوم القيامه رسولها المبعوث إليها فى الدنيا بشيرا ونذيرا ومعلما .

وبيان هذا ما علمناه من أن هؤلاء المرسلين والنَّبيِّين هم أمة أحمدية لرسول الله ﷺ ، فإذا صح قولنا أنه ﷺ رسول الرسل ونبى الأنبياء حسب ما فتح الله تعالى به علىَّ من تفسير لآية ميثاق النَّبِيِّين ، وأن النَّبِيِّين هم أمته الأحمدية ، فإنه يكون يوم القيامة شاهدا على هؤلاء النَّبيِّين والمرسلين جميعا ، ولزم من هذا أن يكون رسول الله ﷺ شاهدا على أمم هؤلاء الرسل أيضا ، أى على كل الناس يوم الدين، وهذا هو ما نص عليه قول الله ﷻ لرسوله ﷺ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾(1) فقوله ﷻ وجئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء على أممهم شهيدا عليهم ، لأن كلمة «هؤلاء» اسم إشارة للجمع القريب وأقرب مذكور فى الآية يسبق هذا الاسم «هؤلاء» هو مجموع الشهداء المذكورين قبلها فى قوله تعالى « من كل أمة بشهيد » أى شهداء الأمم يوم القيامة ، وهم رسلهم، فاسم الإشارة «هؤلاء» يعود على شهداء الأمم ، ومن ثم يكون منطوق الآية بمقتضى محض دلالة اللغة العربية أن رسول الله ﷺ هو يوم القيامة الشهيد على شهداء الأمم، وهذه نتيجة لازمة وحتمية باعتبار أنه ﷺ ، حالة كونه أحمديا ، فى عالم الملكوت رسول الرسل ونبى الأنبياء ، وباعتبار أنه ﷺ ، حالة كونه ، محمدياً رسول الأمة المحمدية العامة فى عالم الملك ، أى فى الوجود البشرى فى هذه الحياة الدنيا من لدن آدم إلى عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام ، ثم بإعتبار أنه ﷺ ، حالة كونه محمديا أيضا ، رسول الأمة المحمدية الخاصة خاتما للنبيين لهذه الأمة الخاصة الخاتمة للأمم والوارثة للكتاب .

---

(١) سورة النساء الآية رقم « ٤١ - ٤٢ » .

وحيث قد علمنا أن كل رسول شهيد على أمته ، فإن رسول الله ﷺ سيكون له شهادتان يوم الدين : شهادته على الرسل والنَّبيِّين وبالتالى على أممهم ثم شهادته ﷺ على أمته المحمدية الخاتمة الخاصة .

وحيث أنه ﷺ الشاهد والحجة على الأمتين الأحمدية والمحمدية الخاتمة ، فإن هذا يعطى نوعا من التعادليَّة بين الأمتين الأحمدية والمحمدية ، أقل ما يلزم نَقلاً وعَقلاً عن هذه التعادليَّة بين الأمتين الأحمدية والمحمدية ،أن تكون الأمة المحمدية شاهدة هى الأخرى على كل الأمم التى سيكون الرسل شهداء عليهم .

هذا من وجه ، ومن جه آخر فإن حيازة الأمة الخاتمة الوارثة لجميع مقومات النبوة وخصائص الأنبياء – كما أثبتنا – الأمر الذى رفعها ، كأمة وليست كافراد ، إلى مرتبة النُّبُوَّة يلزم منه أن تكون يوم القيامة شاهدة على غيرها من الأمم ، وهذا ما أخبرنا به المولى سبحانه وتَعَالى فى كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴾ [1] والمعنى المستفاد اللازم من جعل الأمة الخاتمة الوارثة أمة وسطاً أن يكونوا هم أصحاب معيار الحق ومقياس الهدْى الإلهى ، ومن ثم يأتى بهم الله تعالى يوم القيامة حجة على كل الناس وشهداء عليهم ، والناس هنا يوم الدين هم مجموع الأمم السابقة على الأمة المحمدية الوارثة الخاتمة .

فما كان لنا نحن الأمة المحمدية الخاصة لنرتقى إلى أن نأتى يوم الدين شهداء على كل أمم البشر بلا استثناء ،إلا لأننا نحن الذين اصطفانا الله تعالى على سائر الناس لنكون أمة محمدية خاصة لرسوله المصطفى له ﷻ ، ومن ثم لننال شرف أن يكون هو ﷺ شهيداً علينا، كما أنه شهيد على الشهداء ، فلزم

(١) سورة البقرة الآية رقم « ١٤٣ » .

عن ذلك أن نكون نحن شهداء على الناس ، كما أن الرسل الذين هم شهداء على أممهم هو ﷺ شهيد عليهم يوم الدين وعلى أممهم .

فإذا عدنا إلى قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [1] لوجدنا أن هذه الآية الثانية تتحدث عن كل الكافرين يوم الدين، من لدن آدم إلى نهاية الدنيا ، وكيف أنهم عندما يعلمون أن رسول الله ﷺ يأتى فى هذا اليوم شهيدا على شهدائهم من الرسل، يدركون على الفور ،أنهم لما عصوْا رسلهم المرسلين إليهم، كل أمة فى زمانها، فكذبوه وكفروا به ،قد كذبوا وكفروا برسول الله ﷺ الوحيد المرسل من الله تعالى لرسلهم، ولهم أى للناس أجمعين ، ومن ثم يدركون عظم الجرم الذى ارتكبوه بكفرهم وتكذيبهم ، فالذين كفروا وعصوْا الرسول من كل الأمم والأقوام يَوَدُّون بعد إدراكهم لجرمهم أن تُسَوَّى بهم الأرض ، أى أن يصيروا ترابا بعد أن رأوا وعلموا مكانة النبى ﷺ باعتبار أنه نبى الأنبياء ورسول الرسل ، ومن ثم يوقنون باستحقاقهم للعذاب فيتمنوْا لو أنهم كانوا ترابا ، وهو معنى أن تُسَوَّى بهم الأرض ،يؤكد هذا الذى توصلنا إليه قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [2].

ولقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى « على هؤلاء » فى هذه الآية أى على أمتك ، وهذا قول مرجوح ، والراجح فيما أرى والله تعالى أعلم اسم الإشارة للجمع القريب « هؤلاء » يعود على أقرب مذكور فى الآية أو حتى فى الآيات السابقة ، وليس فيها ولا فى سوابقها ذكر للأمة الإسلامية المحمدية ، وإنما أقرب مذكور فى الآية هو قوله تعالى ﴿ ..فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم .. ﴾

(١) سورة النساء الآية رقم « ٤١ - ٤٢ » .

(٢) سورة النحل الآية رقم « ٨٩ » .

ومن ثم يكون اسم الإشارة للجمع القريب « هؤلاء » عائدا بمقتضى قواعد اللغة على مجموع الشهداء على الأمم ، أى على أنبيائهم ورسلهم .
ويؤكد هذا قوله تعالى فى آية سابقة على هذه الآية التى نحن بصددها ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾(١) أى بعد أن يشهد كل رسول على أمته التى كذبته ،لا يؤذن لهؤلاء الرسل بالشفاعة العظمى فلا يستعتبون.أى لا يجدون أدنى رجاء فى الشفاعة للنجاة.
أما ثبوت شهادة رسول الله ﷺ يوم الدين علينا نحن أمته المحمدية فهو ثابت بقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴾(٢) .وفى قوله سبحانه وتعالى أيضا : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(٣) ففى هاتين الآيتين سالفتى الذكر ترتبط شهادة الرسول ﷺ وآله على الأمة المحمدية الخاتمة بشهادة الأمة على الناس، إرتباط العلة بالمعلول أو السبب بالنتيجة ، وهذه هى الدلالة التى توصلنا إليها وأثبتناها من قبل، ألاَ وهى وجود نوع من التعادلية بين الأمة المحمدية الخاصة خاتمة الأمم ووارثة الكتاب، وبين الأمة الأحمدية ألا وهى أمة النبيين والمرسلين ،وما كان هذا ليكون إلا لأن رسول الله ﷺ هو الشهيد على النبيين والمرسلين وأممهم يوم القيامة، كما أنه ﷺ له شهادة خاصة على أمته المحمدية الخاصة الوارثة للكتاب والخاتمة للأمم .
ومن ثم استحقت أمته الخاتمة الخاصة هذه أن تكون شهيدة على الناس بل يكون كل من ينتمى إليها شهداء على الناس ففى الأولى « لتكونوا شهداء على

---

(١) سورة النحل الآية رقم « ٨٤ » .
(٢) سورة البقرة الآية رقم « ١٤٣ » .
(٣) سورة الحج الآية رقم « ٧٨ » .

الناس » بلام التعليل ،وفى الثانية « وتكونوا شهداء على الناس » أى تكونوا هكذا نتيجة لذلك .

فَحُجِّيَّةُ الأمة المحمدية الخاصة على الأمم يوم الدين هى من مهام الرسل والنَّبيِّين يوم الدين،ومن وظائفهم .وهذا يؤكد نبوية الأمة نبوَّة رسالية أى بدرجة الرسل .

وفى آية سورة الحج قال تعالى عن أمة الإسلام الخاتمة « هو إجتباكم .. » والاجتباء هو التقريب وهو درجة قبل الاصطفاء للنبوة وقد وصف الله تعالى أرحام الأنبياء والرسل من الآباء والإخوان والذرية لهم بأنهم مجتبوْن ومهتدون قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] فالمجتبون أقل من المصطفيْن فهم على درجة عالية من الولاية ولكنهم لم يصلوا إلى درجة النبوة .

فقوله تعالى للأمة المحمدية الخاصة ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾[2]يعنى أن الله تعالى اجتباكم فجاهدوا فيه حق جهاده حتى تفوزوا بالاصطفاء الذى يجعلكم أهلا لأن يكون الرسول شهيدا عليكم يوم الدين ،ومن ثم تكونوا شهداء على الناس يومئذ، فذاك اصطفاؤكم لتكونوا شهداء على الأمم .

فالاجتباء هو التقريب وهو قبل النُّبُوَّة ، فالقول بأن الله تعالى إجتبى فلانا أى اختاره للصدِّيقية أو للشهادة أو ليكون وليًا من الصالحين ، فان كان على درجة الصِّدِّيقيَّة فإنه يكون مؤهلا للاصطفاء للنبوة ، فالاجتباء يسبق الاصطفاء كما أن مرتبة الصدِّيقية ليس بعدها إلا النبوة فكل نبى قبل إصطفائه مُجتَبى ، واصطفاؤه يكون ببعثه وإرساله إلى قومه والدليل على هذا قول يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ

(١) سورة الأنعام الآية رقم « ٨٧ » .

(٢) سورة الحج الآية رقم « ٧٨ » .

مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فـإذا تـدبرنا قولـه ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ .. ﴾ لماذا ؟ الإجابة هى قولـه تعـالى ﴿ .. وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أى ليصطفيك لتصل إلى مرتبة النبوة بتمام نعمة الله عليك كما أتمها على أبويك إبراهيم وإسحق باصطفائهما للنبوة والرسالة .

فإتمام نعمة الإيمان والهدى هو الاصطفاء للنبوة .

فقول الله ﷻ للأمة المحمدية الخاصة « هو اجتباكم » يستتبع إستنهاض الهمة أى فجاهدوا فى الله حق جهاده، لكـى يـصطفيكم لوراثـة الكتـاب، ويكـون الرسول ﷺ وآله شهيدا عليكم ،ومن ثـم تـصيروا شـهداء عـلى النـاس يـوم الدين، وهذا يثبت أن الحكمة التى من أجلهـا ارسـل الله ﷻ الرسـل وبعـث النبيين وهى أن يكونوا حججا وشهداء على أقوامهم وأممهم متحققـة بالأمـة المحمدية الخاصة إذ جعلها الله تعالى يوم الدين شـاهدة عـلى النـاس ،فترقـى بهذا من كونها أمة نبية فحسب لتصير أمة نبية بمرتبـة الرسـل ، أى أمـة نبيـة مرسلة.

وبهذا تكتمل فى الأمة جميـع عنـاصر النبـوة ووظائفهـا والحكمـة مـن بعـث الأنبياء فى الدنيا والآخرة .

فالأمة المحمدية الخاصة الوارثة الخاتمة أمة نَبِيَّة مُرسلة، وكل نبى أكمل قومه وأكمل قومه سيدهم، فالأمة المحمدية النبية خير الأمم وأكمل الأمـم ومـن ثمَّ فهى سيدة الأمم فى الدنيا ويوم الدين بل وفى الجنان دار النعيم .

وهذا هو موضوع الفصل التالى فى هذا الكتاب .

بإذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه .

---

(١) سورة يوسف الآية رقم « ٥ - ٦ » .

الفصل الرابع

المفاجأة .... نبوية الأمة المحمدية الخاصة

ثابتة بالحديث النبوى الصحيح الصريح .

وما هو وجه المفاجأة فى هذا ؟

وجه المفاجأة فى هذا أن الفصول الثلاثة السابقة بتفاصيل موضوعاتها وأدلتها من القرآن الكريم والسنة ما كتبتُها بفتح الله وعونه وتوفيقه إلاَّ لإثبات نَبَوِيَّةَ الأمة إستنباطاً ، وإذا بهذه الحقيقة ثابتة بحديث نبوى صحيح وصريح ، لا يزيد على بضعة أسطر ، فصلَّى الله تعالى وسلم على من أوتى جوامع الكلم و آله.

ومن ثم فإن الفصول الثلاثة الأولى من هذا الباب صارت شرحاً مُفَصَّلاً لهذا الحديث الشريف المُثِبت لنبوَّة الأمة المحمدية الخاصة ، بل صارت هذه الفصول مُثبتةً لصحة متنه، علاوة على صحة سنده ، وإن سبق الشرح المشروح .

وأما الحديث الشريف الذى جاء فى متنه التصريح بنبوة الأمة المحمدية الخاصة فهو حديث بل أحاديث الشفاعة العظمى الطويلة إذ جاء فيها « .... فيأتونى فيقولون : يا محمد إشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا ، فأقول : أنا لها حتى يأذن الله ﷻ لمن يشاء ويرضى ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يصدع بين خلقه ، نادى منادٍ : أين أحمد وأمته ، فنحن الآخرون الأولون ، نحن آخر الأمم ، وأول من يحاسب ، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا ، فنمضى غُرّاً مُحَجَّلين من أثر الوضوء ، فتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها »[1]

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن معاوية بن حيدة عن كنز العمال مجلدا « ١٢ » رقم « ٣٤٤٦٢ » .

وما من تعقيب على هذا الحديث الصحيح المحكم الصريح سوى أن ما قرأناه من قبل عن حيازة الأمة المحمدية الخاصة الوارثة الخاتمة أقول:الحائزة لمقومات النبوُّة كاملة، إنما هو شرح لهذا الحديث وتفصيل وبيان وإن تقدم الشرح المشروح وروداً.

فقوله ﷺ حكاية عن قول الأمم « أنبياء كلها » أى أنهم فى مجموعهم كأمة ، وليس باعتبار كل فرد منها ، أنبياء ، فالأمة فى كُلِّيتها ومجموعها بلغت درجة النبوة ، ومن ثم صَحَّ القول فيها : أنها أمة نَبِيَّة ، لأنها هى خير الأمم قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾(١) وقال النبى ﷺ « إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » ، ومن ثم فهى سيدة الأمم ، وخير كل أمة رسولها ونبيها وسيد كل أمة رسولها ونبيها ، فالأمة المحمدية الخاصة نبية الأمم كلها ،فهى إذاً سيدة الأمم بلا منازع .

وبهذا تتعادل الأمة المحمدية باعتبار نبوتها الثابتة لها بالكتاب والسنة مع الأمة الأحمدية التى هى مجموع الرسل والنَّبيِّين .

ولا يقدح فى هذه التعادلية وجود قسم ظالم لنفسه وقسم مقتصد فيها ، لأن القسم السابق بالخيرات على درجات متعددة ،أعلاهم على درجات الرسل الثلاثمائة والثلاثة عشر ،وأقل منهم درجة من هم على أقدام النبيِّين يدل على هذا قول الرسول ﷺ « أوحى الله إلى موسى بن عمران أن فى أمة محمدٍ لرجالا يقومون على كل شرفٍ وواد ينادون بشهادة أن لا إله إلاَّ الله ، جزاؤهم على جزاء الأنبياء »(٢)

فتدبر قوله ﷺ « جزاؤهم على جزاء الأنبياء » لتعلم أن هذه الأمة نبية فى الدنيا ولها جزاء الأنبياء فى الآخرة ،وأيضا قول النبى ﷺ أيضا « إنى وأمتى لمشرفون على كوم من مسك ، مشرفون على الخلائق ، وما من الأمم ومن

(١) سورة آل عمران الآية رقم « ١١١ » .

(٢) أخرجه الديلمى عن نس انظر: كنز العمال مجلد « ١٢ » حديث « ٣٤٥٥٠ »

المؤمنين إلا وَدَّ أنه منا ، وما من نبى كذبه قومه إلاَّ وأمة محمد شهداء له يوم القيامة، أنه قد بَلَّغَ رسالات ربه ، والرسول شهيد عليهم »[1] ومن هذا الحديث نتدبر قوله ﷺ « مشرفون على كوم من مسك ، مشرفون على الخلائق» والخلائق الذين تشرف عليهم هذه الأمة هم الأمم الموحدة جميعا ومعهم رسلهم وأنبيائهم .

ويؤكد نَبوِيَّةَ الأمة أيضا فى الدنيا والآخرة قوله ﷺ (أُعْطيَتْ هذه الأمة مالم يُعْطَ أحد : قوله :﴿ إدعونى استجب لكم ﴾ وإنما كان يقال هذا للأنبياء .

وقوله ﴿ .وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ . ﴾[2] وإنما كان يقال هذا للأنبياء .وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ . ﴾ [3] وإنما كان يُقال هذا للنبى : أنت شهيد على قومك .)[4]

أفليست هذه الأمة نبية إذ أفردها الله تعالى بهذه الثلاث من عطايا الأنبياء ؟ بل هي من أهم عطايا النبوة، فإذا أضفنا إليها مقومات النبوة الخمس التى ثبت حيازة هذه الأمة لها ، فمن يمارى بعد هذا كله فى نُبُوَّتِها ؟! بل فى نبوَّتها التى بلغت درجة المرسلين؟!. والحمد لله رب العالمين إذ جعلنا من الأمة النبية.

---

(١) أخرجه الديلمى عن جابر كنز العمال مجلد « ١٢ » حديث « ٣٤٥٥١ » .

(٢) سورة الحج الآية رقم « ٧٨ »

(٣) سورة البقرة رقم « ١٤٣» .

(٤) أطرحه الحكيم عن عبادة بن الصامت عن كنز العمال مجلد « ١٢ » حديث رقم « ٣٤٥٣٠ »

الباب الخامس

الفصل الأول

المصطفون فى الدنيا هم الصالحون فى الآخرة

فهل رسول الله ﷺ من فئة الصالحين فى الآخرة؟

الفصل الثاني

تنزيه وتقديس الله ﷻ عن الولد والابن

الفصل الثالث

الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله ﷻ

إصطفى رسوله ﷺ لذاته حبيبا

الفصل الرابع

الحبيب هو المخلوق الأقرب إلى الله ﷻ على الاطلاق

الفصل الأول

المصطفون فى الدنيا هم الصالحون فى الآخرة ، فهل يجوز القول بأن سيدنا رسول الله ﷺ من فئة الصالحين فى الآخرة ؟

قرأنا فى الفصل السابق قول الله عز وجل عن سيدنا إبراهيم ﷺ وعلى نبينا ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠. وقد علمنا أن اصطفاءه فى الدنيا كان للخلة بعد الرسالة ،وبعد الحنيفية فما دلالة أن يكون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من الصالحين ، و هو الذى قال فيه الله عز وجل ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥. فهل يقال لمن أو عمَّن وصل إلى مقام الخلة أى أصبح خليل الله عز وجل ، أنه من الصالحين؟ فى حين أن الله عز وجل يقول ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩. فالنبيون أولا يليهم فى الدرجة الصدِّيقون أى الأولياء ثم الشهداء وبعدهم وفى آخر درجات المقربين أو الأبرار " الصالحون ". فما معنى أن يشهد رب العالمين فى كتابه بأن إبراهيم الخليل ﷺ الذى اصطفاه سبحانه فى الدنيا هو فى الآخرة من الصالحين ، وهو ليس من النبيين فحسب ، بل هو من الرسل الأربعة أولى العزم ، بل اصطفاه ربه للخلة وإذا كان هذا هو حال الخليل فى الآخرة ، فما بال سائر إخوانه وأبنائه من الرسل والنبيين ؟

أفلا يدل هذا على أن دلالة لفظ "الصالحين" فى الدنيا تختلف عن دلالة لفظ "الصالحين" فى الآخرة؟!...بلى، فما دلالة لفظ "الصالحين" فى الآخرة؟!

هذا يستلزم منا تدبر الآيات التى ورد فيها لفظ " الصالحون " فى القرآن الكريم بمنهج الإحصاء الشامل برجاء إدراك دلالة الصلاح فى الآخرة، وتعيين الفئة المقصود بها اسم " الصالحون" فى الآخرة.

لقد ورد اللفظ مرفوعا " الصالحون " ومنصوبا " الصالحين " بصيغة الجمع والمثنى تسعة عشر مرة :

الأولى : قول الله عز وجل عن بنى إسرائيل ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٨ هذا ما حدث لهم بعد أن تشتتوا فى الأرض، وقوله تعالى (منهم الصالحون) أى ظل فيهم الذين حافظوا على عقيدة التوحيد وأحكام التوراة، ومنهم الذين فرطوا بدرجات متفاوتة وابتلاهم الله تعالى بالشر والخير أى بالضراء والسراء علاجا لهم لعلهم يرجعون لدينهم وصلاحهم.

ودلالة " الصلاح" فى هذه الآية تصدق وتصِحُّ أن تكون وصفا فى الدنيا والآخرة للموصوف به، فالصالح هو الذى بره وطاعته وأعماله الصالحة تزيد وتغلب على ذنوبه ومعاصية

الثانية : قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥، الصالحون لوراثة الأرض هم الصالحون لوراثتها فى الدنيا والآخرة قال بعض المفسرين عن الأرض أنها الأرض المقدسة فقط، وقال آخرون أنها كل الأرض،

والحق الذى أرجحه - والله تعالى أعلى وأعلم - أنها هذا كله فى الدنيا والجنة أيضا فى الآخرة.

فلا خلاف بأن المقصود بها الأرض المقدسة ، أى بيت المقدس وما حوله ، وكذلك مكة المكرمة وسائر الأرض لأن الله تعالى قال (والعاقبة للمتقين) وقال عن إسلام الناس جميعا بعد نزول المسيح وقتل الدجال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفتح: ٢٨ ، فتوريث الأرض للصالحين ثابت بدلالة نصوص قرآنية وحديثية صحيحة ، ولأن هذا صعب المنال والتصور ولا يرد على خاطر أحد قال تعالى (وكفى بالله شهيدا) تأكيدا له.

أما أن يدخل فى دلالة لفظ " الأرض" فى الآية الجنة فى الآخرة ،فيثُبت هذا قوله تعالى عن أهل الجنة بعد دخولها ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الزمر: ٧٤ فلم يقولوا (وأورثنا الجنة) بل قالوا (وأورثنا الأرض) وهذا يثبت أن الصالحين يرثون الأرض فى الدنيا والآخرة وليس فى الدنيا فحسب أو فى الآخرة فحسب ، بل فيهما معا.

الثالثة : قوله تعالى حاكيا مقالة الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ الجن: ١ ، إلى أن قالوا ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ الجن: ١١ ، ولفظ " الصالحون " فى هذا الموضع وصف لأتقى فئة فى الجن بدليل قولهم (ومنا دون ذلك) أى أقل من درجةالأنبياء فى التقوى بدرجات متفاوتة ، لان الجن ليس فيهم أنبياء ، بل قد لا يكون فيهم صِدّيقون، لأن درجة الصدِّيقية بين النبوة وبين الصلاح، فقول الجن ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ينفى عنهم الصديقية.

ووردت الكلمة منصوبة أو مكسورة بحرف الجر فى الآيات من الرابعة حتى التاسعة عشر وهى ما يلى :

الرابعة : ووردت الكلمة وصفا لإثنين من عباد الله عز وجل بالصلاح مع أن أحدهما رسول من أولى العزم هو نوح والآخر نبى كريم هو لوط عليهما الصلاة والسلام ، وهذا فى قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ١٠.

فالقول على نوح ولوط بأنهما صالحان يضع علامة استفهام وعلامة تعجب كبيرتين لأن وصف " الصالحين " جاء بعد ذكر الشهداء وجاء ذكر الشهداء بعد ذكر الصديقين الذين بدورهم جاء ذكرهم بعد ذكر النبيين ،الذين تصدَّروا الذين أنعم الله عليهم فى الآخرة، وهذا كله فى قوله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩ فما هو المعنى الدقيق لكلمة الصالحين أو الصالح أو من هم الذين يصدق عليهم هذا الوصف فى آية سورة النساء هذه ؟!.

وما هو المعنى الدقيق للصالح أو للصالحين فى آية التحريم آنفه الذكر التى يصدق الصلاح فيها على نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام ، وأحدهما رسول من أولى العزم والثانى نبى كريم عليهما الصلاة والسلام.

الخامسة : وهى قوله عز وجل عن إبراهيم ﷺ وآله ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠ .

إن تدبر هذه الآية الكريمة يوضح أن اصطفاء الله عز وجل إبراهيم كان فى الدنيا ، فلا يقال ولا يوصف الرسل والنبيون فى الآخرة بالاصطفاء ،إذ لهم وصف آخر فيها وهو الصلاح، ومن ثم فقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠ – ١٣١. تفسيره أنه لما استجاب هذه الاستجابة الفورية القوية لأمر الله تعالى له بالإسلام له قائلا (أسلمت لرب العالمين) ، صار بهذه الاستجابة وبهذا الإسلام من المصطفين فى الدنيا ،وفى الآخرة من الصالحين ، ومعنى (ولقد اصطفيناه فى الدنيا...) أى للنبوة والرسالة ثم للخلة فى الدنيا ، وجعله بها أيضا فى الآخرة من الصالحين.

أى أننا قد علمنا من أجل ماذا كان اصطفاء إبراهيم فى الدنيا؟

وهذا يدعونا إلى طرح هذا السؤال : من أجل ماذا يكون الصالح صالحا فى الآخرة ؟! وتتبين أهمية السؤال إذا طرحناه بصيغة أخرى ألا وهى :

من أجل ماذا سيكون الرسل والنَّبِيُّون صالحين فى الآخرة ؟!

وذلك أن الفعل " يصلح " يتعدى أحيانا بحرف " اللام " بمعنى أن هذا الشيء يصلح لكذا ولا يصلح لكذا. ويتعدى أحيانا أخرى بحرف " الباء " بمعنى أن هذا الأمر يصلح بكذا، ولا يصلح بكذا ، بيد أن هذا الاستخدام عادة ما يكون مضمراً ،وليس بذكر هذه الحروف صراحة.

ويتعدى بحرف "على" ومنه قول رسول الله ﷺ فى دعاء الطائف (أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة

،أن يَنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) [1].

ومعنى (وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) " وصلح به " أى بدونه لا يصلح أمر الدنيا والآخرة.

ويتعدى بحرف " فى " قال تعالى عن المسلم الذى يبلغ الأربعين فيدعو الله عز وجل ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥.وحيث أن الآيات المتضمِّنة ذكر الصالحين بعضها يُخصِّص الصلاح للدنيا والبعض الآخر يخصصه للآخرة ، فإن بيان المعنى الدقيق للآية يستوجب معرفة لأى شيء يكون صلاح الصالحين فى الدنيا أو فى الآخرة ،ففى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ ، وجدنا أن معنى الصالحون فى الآية بمعنى المؤمنون الأتقياء المجاهدون أى الذين هم ضد " المفسدين " ومن ثم يصبحوا صالحين أى مؤهلين لوراثة الأرض فى الدنيا وتحقيق النصر النهائى لهم على المفسدين الكافرين فيها ، ثُمَّ وراثة أرض الجنة فى الآخرة.

ويبرز لنا وصف إبراهيم بأنه من الصالحين فى الآخرة سؤالا يقول : لأى شيء أو أى أمر سيكونوا صالحين فى الآخرة ؟!

(١) انظر كنز العمال المجلد الثانى حديث(٥١٢٠)صـ٦٩٩ وعزاه للطبرانى والهيثمى فى مجمع الزوائد(٦/٣٥)

السادسة : وهى قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ٣٩. فهل قوله تعالى عن يحيى أنه نبى من الصالحين يعنى أن ثم أنبياء من غير الصالحين ؟! وهل معنى الصلاح فى هذه الآية هو ضد الفساد أم أن له دلالة أخرى ؟! ، مع أنه لا يختلف إثنان على أن كل نبى صالح ، وليس كل صالح نبياً ، بيد أن وصف يحيى عليه السلام فى الآية بأنه " نبى من الصالحين " يجعل القضية معكوسة إذ تصبح : ليس كل نبى من الصالحين ،ولكن كل من كان من الصالحين أولئك فهو نبى. وهذه هى علامة الاستفهام الكبرى فى هذا البحث وقولنا (ليس كل نبى من الصالحين) لا يتعارض أو يتنافى مع القول (بأن كل نبى صالح) فهو صالح للاصطفاء للنبوة فى الدنيا ولكنه ليس من الفئة المسماة بالصالحين فى الآخرة.

السابعة : قوله عز وجل عن عيسى بن مريم عليهما السلام ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ٤٦ ، أى فى الآخرة ، لقوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥، فتدبر قوله تعالى عن عيسى عليه السلام (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) فما دلالة قوله بعد هذا كله ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ٤٦ ؟! فهل هم المقربون فى الآخرة ؟! ومن الذى هم مقربون إليه أو مقربون منه ؟!هل هو الله ﷻ أو رسول الله ﷺ ؟!

الثامنة : قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

﴿ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢ – ٨٥ ومعنى قوله تعالى (كل من الصالحين) هو إثبات انتساب جميع الرسل والنبيين المذكورين فى هذه الآيات لفئة الصالحين وهم نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس. وقوله تعالى (ومن ذريته) تصدق على يعقوب كما تصدق على إسحق وإبراهيم ، وآخر السياق شهادة إلهية بأنهم جميعا من الصالحين ، والبيان السابق عن وصف يحيى عليه السلام بهذا الوصف ينسحب أيضا ويصدق على جميع الأنبياء المذكورين فى هذا السياق.

التاسعة : قوله تعالى عن دعاء يوسف ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١ ، فقوله (أنت ولى فى الدنيا) يقابله دعاؤه (توفنى مسلما) أما قوله (والآخرة) فيقابله دعاؤه (وألحقنى بالصالحين) فلنتدبر دعاء يوسف عليه السلام وهو الذى وصفه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وآله وسلم بأنه الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم وهو من النبيين عليهم السلام ، ومع هذا فهو يدعو الله عز وجل أن يلحقه فى الآخرة بالصالحين.

الصالحون فى الآخرة لأى شيء ؟ هل الصالحون للجنة ؟ أو ليس قوله (توفنى مسلما) كافيا ليكون من أهلها ؟ بلى. إذاً من هم الصالحون الذين دعا الله عز وجل أن يلحقه بهم ؟! وما معنى صفة الصلاح فيهم ؟!. ولأى أمر أو شيء هم صالحون له ؟! وإذا صح أنهم المقربون فمن يكون المقربون إليه ؟!.

العاشرة : قوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ٨٢ – ٨٥ ، فهؤلاء القساوسة والرهبان آمنوا وأعلنوا طمعهم فى أن يدخلهم الله عز وجل مع القوم الصالحين [(١)].

فجاءت الآية التى بعد هذا الدعاء بأن الله عز وجل أثابهم جنات تجرى من تحتها النهار ، فهل معنى الصلاح فى لفظ " الصالحين " هو أنهم صالحون لدخول الجنة ، والحياة فيها ؟! قد يكون هذا القول صحيحا بالنسبة لغير الأنبياء ، لكن بالنسبة للرسل والأنبياء علمنا بالدليل أن معنى الصلاح فى حقهم هو أكثر من دخول الجنة.

فما هو هذا المعنى ؟!

هذا هو ما نحاول كشفه ولكن مما يجدر ذكره والتنبيه إليه هو أن دعاء الأنبياء هو (وألحقنى بالصالحين) أو (وأدخلنى فى الصالحين) أما دعاء غيرهم من الأحبار والرهبان أى العلماء والعباد هو أن (يدخلهم ربهم مع القوم الصالحين) ولاشك أن ثَمَّ فرق بين الدخول مع القوم الصالحين وبين الدخول فى الصالحين أو الإلحاق بهم لأن الأول يوضِّح أن الداعى ليس من القوم الصالحين، فهو يدعو أن يكون معهم بينما الأنبياء يدعون أن

(١) الطمع فى الدخول مع القوم الصالحين هو طمع فيما هو زيادة عن الجنة.

يدخلوا فيهم ،أو يلحقوا بهم ،ومن ثم فكل نبى أو رسول هو من القوم الصالحين فى الآخرة، وهذا الفارق فى المعنى هام جدا لتحديد دلالة الصالحين بالنسبة للرسل والأنبياء فى الآخرة ، وإذا كان معنى الصلاح فى الآخرة هو أن يدخل أو يلحق الصالح بالمقربين فمن يكون المقرب له ؟!

فالدعاء بالإلحاق أو بالدخول فى جماعة أو فئة يستلزم أن تكون هذه الفئة أو هؤلاء القوم سابقين للداعى ،وهو يدعو للوصول إليهم ليكون منهم وفيهم أومعهم فى الآخرة ، وهذا هو دعاء المصطفين الأخيار فى الدنيا أما العلماء والعباد والأولياء فيدعون الله أن يدخلهم مع هؤلاء القوم.

الحادية عشرة : وموضوعها دعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام أن يلحقه الله تعالى بالصالحين، فبعد أن كسر الأصنام وحاور قومه مُبَيِّنًا لهم فساد عقيدتهم وكلمهم عن الإله الحق سبحانه وتعالى فقال ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الشعراء: ٧٨ – ٨٣. فلنتدبر دعاء الخليل ربه سبحانه بأن يلحقه بالصالحين، لنعلم أنه لم يكن قد وصل بعد إلى مقام الخلة، لأن هذا الدعاء كان بعيد أن كسر أصنام قومه الذين وصفوه يومئذ بأنه فتى يقال له إبراهيم، أما وهو فى مقام الخلة فقد بشر بأنه فى الآخرة من الصالحين.

الثانية عشرة : وموضوعها أيضا دعاء سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن يدخله برحمته فى عباده الصالحين، وذلك بعد أن سمع قول النملة لقومها ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩ ، وهكذا فإن الدخول فى العباد الصالحين هو

الغاية القصوى عند الأنبياء والرسل، وهو غاية أخروية كما هو واضح من أدعيه الرسل والأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام

الثالثة عشر: وهى قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ العنكبوت: ٩، وهذه بشرى عظيمة لكل الذين يؤمنون بالله تعالى ويعملون الصالحات أن الله تعالى سيمن عليهم بمطلب الرسل والنبيين فى الآخرة.

الرابعة عشر: وهذه بشرى للخليل عليه السلام اذ تتضمن الآية أكثر من تأكيد بأنه فى الآخرة من الصالحين قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ العنكبوت: ٢٧. فأجر إبراهيم فى الدنيا على جهاده فى سبيل الله عز وجل لإعادة الناس إلى الفطرة الحنيفية هو أن جعله الله تعالى للناس إماما، بأن جعل فى ذريته النبوة والكتاب، أما جزاؤه فى الآخرة فهو أن جعله الله من الصالحين.

الخامسة عشر والسادسة عشر: وعن إبراهيم عليه السلام أيضا بعد أن هاجر من العراق إلى الأرض المقدسة دعا ربه عز وجل أن يرزقه من الصالحين قال تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ الصافات: ٩٩ - ١٠١.

وهو إسماعيل عليه السلام وبعد ذلك رزقه الله تعالى بإسحق قال تعالى ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ الصافات: ١١٢.

السابعة عشر: وهى قوله تعالى عن يونس أو ذى النون صاحب الحوت بعد أن نجاه الله تعالى من بطن الحوت والظلمات ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ القلم: ٥٠، والاجتباء هو التقريب فاجتباه أى قربه ومقام

الاصطفاء أعلى ،ومعنى اجتباه أى بعد أن بعد بما حدث منه، فكان فى بطن الحوت، والفرق بينه وبين الاصطفاء أن الأخير يكون "من" و "على" لكن الاجتباء ليس " من" ولا " على " لأن الذى يَجْتَبى سبحانه يقرب إليه المُجْتَبى، بعد أن لم يكن مقربا منه أو بعد أن كان قد بعد عنه ،ونتيجة الاجتباء هو جعله من الصالحين ، فالصالحون إذاً هم المقربون وهذا يدل على أنه لا يكون من الصالحين فى الآخرة إلا الذين يجتبيهم الله عز وجل فى الآخرة ،فالاصطفاء يتضمن جوهر معنى الاجتباء ،وزيادة عليه الإعلاء ومن ثم فإن هذا يثبت أنه ثَمَّةَ صلة وثيقة بين الاصطفاء والصلاح ثم بين الصلاح و القربى فى الآخرة، وبالتالى، بَيَّنَ كون العبد من المصطفين فى الدنيا ومن الصالحين فى الآخرة ، بِأَنَّه من المقربين فى الآخرة.

الثامنة عشر : وهى قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٤ – ٧٥.

وفى هذا الموضع ربط وثيق بين الدخول فى الرحمة وبين كونه من الصالحين. وقوله تعالى (وأدخلناه فى رحمتنا) يدل على جعله فى الكون المرحوم ، ومعلوم أن رسول الله ﷺ هو رحمته تعالى للعالمين لقوله ﷺ (إنما أنا رحمة مهداة)[(١)]. وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[(٢)] فهل يدل هذا على أن الصلاح فى لفظ الصالحين هو صلاح للدخول فى رحمته سبحانه وفى جنته عز وجل التى هى عطاء خالص لرسوله ﷺ لقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ (الكوثر: ١). وأنها لا تفتح إلا له ﷺ ؟ ولكن

(١) الجامع الكبير للسيوطى المجلد الأول حديث(٨٧٠٩)وعزاه للبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

الجنة فى الآخرة لكل المسلمين والرحمة كذلك، وفئة الصالحين تزيد على الجنة والرحمة بالاجتباء وبالقرب ؟ ومن ثم فالسؤال هو لمن يكون القرب ؟ وهذا السؤال مرتبط بسؤال آخر فى الدنيا وهو لمن يكون الاصطفاء ؟ وحيث الإجابة هى : لا اصطفاء البتة إلا للأنبياء والمرسلين ، فإن صلاح الرسل والأنبياء فى الآخرة لابُدَّ أن يكون لأمر آخر زائد على الرحمة والجنة فى الآخرة.

التاسعة عشر : وفيها ربط أيضا بين الصلاح فى الآخرة والدخول فى الرحمة وهى قوله تعالى ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٥ – ٨٦. فالدخول هنا فى رحمة خاصة للصالحين فى الآخرة وهو ما يزيد على الخلود فى الجنة.

وخلاصة هذا الفصل أن لفظ " الصلاح " فى القرآن الكريم له دلالة فى الدنيا وهى وصف للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويجتهدون فى عمل الصالحات وترك المعاصى. كما أن له دلالة ثانية فى الآخرة إذ تصدق على فئة أو جماعة أو قوم أو أمة مرموقة ،حيث تَطَلَّع الأنبياء والرسل أن يكونوا منها ودعوا الله عز وجل أن يجعلهم فيها أو يدخلهم فيها أو يلحقهم بها فى الآخرة.

فمن يكون هؤلاء القوم أو من تكون هذه الأمة المسماة بالصالحين فى الآخرة ، وكما لم نجد فى القرآن الكريم كله وصفا صريحا للنبى ﷺ بالإصطفاء ، وكما وجدنا آية عن الاصطفاء لا تخص أى نبى أو رسول وهى قوله تعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر : ٤.

وهى لا تخص أحدا من الأنبياء أو غيرهم لأنها لا تصدق إلا على مخلوق يستحيل وجوده ، لأن قوله تعالى (لو أراد) فرض المستحيل فى حقه سبحانه وتعالى عن اتخاذ الولد علوا كبيرا ،والمعنى: على فرض إرادته فإن اتخاذه سبحانه الولد سيكون اصطفاءاً لواحدٍ من خلقه سبحانه ،لأن كل ما سواه فى الوجود مخلوق له.

كذلك لم نجد فى آيات " الصالحين " آية تدل أو تثبت أن رسول الله ﷺ وآله هو فى الآخرة من فئة الصالحين ،كما ثبت هذا بالنسبة لإخوانه من الرسل أولى العزم والنبيين أيضا ، إلَّا أنه قد بقيت آية واحدة ورد فيها ذكر " الصالحين" على لسان رسول الله ﷺ من غير أن تثبت أنه ﷺ من فئه الصالحين هذه وهى قوله تعالى ﴿إِنَّ وَلِيِّـۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٦.والذى يقول (إن ولى الله) هو رسول الله ﷺ ومعنى (الذى نزل الكتاب) أى نزله علىَّ وقوله ﷺ بعد هذا (وهو يتولى الصالحين) تنفى أن يكون هو ﷺ من هذه الفئة أو على الأقل لا تفيد أنه منهم أو معهم فى هذا الحكم، لماذا ؟ ، لأنه أكد أن الله عز وجل يتولاه بقوله (إن ولى الله) وهذا له وحده ﷺ ، ومن ثم فلما قال بعد هذا (وهو يتولى الصالحين)

أى كما أنه سبحانه وتعالى الذى نزل علىَّ الكتاب قد تولَّانى ، فإنه يتولى الصالحين أيضا.

وحيث أن هذه الآية هى الأخيرة فى الآيات المتضمِّنة للفظ " الصالحين " فإنه يكون من الثابت لدينا أن رسول الله ﷺ لم يُذْكَر فى كتاب الله تعالى ضمن الفئة أوْ الجماعة المصطفاة ،أى أنه لم يذكر فيه باعتبار أنه ﷺ واحد من فئة المصطفيْن الأخيار، فقولنا أنه ليس منهم ليس المراد منه أن النفى منصب على كونه ﷺ ليس مصطفى وليس صالحا ، حاشا لله عز وجل ولرسوله ﷺ وآله ، ولكنه ليس واحداً من فئتهم أو جماعتهم، أو ليس واحداً

منهم من حيث كون الصالحين أمة أو قوم أو فئة ذات درجة واحدة فى الآخرة ،وأن المصطفين أيضا أمة من الأمم فى الدنيا متميزة عن سائر المؤمنين من بنى آدم ، فهو ليس من هؤلاء فى الدنيا وليس فرداً من أولئك فى الآخرة ، لأن سيدنا محمد ﷺ ليس صالحا فحسب ، وإنما هو أسوة الصالحين أنبياء ومرسلين والذين من دونهم. أى هو مثلهم الأتم الأكمل الأعلى.

وهكذا فقد ثبت وتأكد لنا بالمنهج الإحصائى الشامل فى القرآن الكريم للآيات التى ورد فيها ذكر " الصالحين " أن هذا الذكر يشمل جميع الأنبياء والمرسلين المصطفيْن فى الدنيا والصالحين فى الآخرة ماعدا رسول الله ﷺ الخاتم ، ومن ثم فأمامنا علامتى استفهام وتعجب كبيرتين يجب علينا إتمام البحث لرفعهما ، وأعنى بهما السؤال القائل : كيف ولِمَ لَمْ يُذْكَر النبى ﷺ من المصطفين ؛ ولم لَمْ يُذكر من الصالحين فى الآخرة ؟

ومن ثم لا مناص من العودة إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة للبحث بين آياته بعامة ، وبين الآيات التى تخص الصلة بينه ﷺ وبين الأنبياء والرسل جميعا مستحضرين كل ما تعلمناه من الجزء الأول عن النبوة بعامة والجزء الثانى عن النور الأحمدى بخاصة.

لقد علمنا أن الاصطفاء من المقومات الخمس للنبوة ، وأن الله عز وجل اصطفى النبيين، وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيًا وثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا منهم ، وفى رواية وخمسة عشر رسولا، بدليل حديث مسند أحمد بن حنبل رحمه الله عن أبى ذر ﷺ قال (قلت يارسول الله : كم وفاء عدة الأنبياء ؟! قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جَمًّا غفيرا) [1].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده من حديث أبى ذر.

فما هى العلاقة أو الصلة بينهم جميعا وبين رسول الله ﷺ وآله وسلم.

هل هو واحد منهم ، أى هل هو رسول مثل غيره من الرسل ؟ قد يقول قائل : نعم بدليل قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ آل عمران: ١٤٤. فقوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران: ١٤٤ أى قد ماتت من قبله الرسل وهو أيضا مكتوب عليه الموت ككل الرسل والأنبياء وجميع الإنس والجن وكل حى فى هذه الحياة الدنيا ، فالموت من طبائع البشر ، بل من الطبائع الرئيسية لكل حى فى الأرض لكن هذا بالنسبة له ﷺ وآله فى الحياة الدنيا ، وهو بمقتضى بشريته وليس بمقتضى نوره الأحمدى أو نوره المحمدى ﷺ وآله ، لأنه حتى بمقتضى النور المحمدى فى الحياة الدنيا ،لم يكن قبله رسول مثله ﷺ ولكنه وباعتباره أحمد لم يكن له ﷺ مثيل بين النبيين أيضا لأنه مصدر نبوتهم ورسالته جامعة لرسائلهم جميعا.

أما من حيث نبوته المحمدية فى الدنيا أى فى الطبيعة الآدمية البشرية فهو مثلهم بشريا فقط ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ الكهف: ١١٠ فالمثلية بينه ﷺ وبين الناس فى الخصائص البشرية الرئيسية كالمولد والطفولة والنمو والمراحل العمرية حتى الكهولة وتناول الطعام والشراب والزواج والإنجاب ثم الموت ، وهذا كله بحسب مرحلة الوجود المحمدية ، وليس بحسب حال الوجود الأحمدى الذى هو الروح الكلى.

ومع هذا فليس فيما عدا هذه الخصائص البيولوجية أى التماثل أو التشابه بينه ﷺ وآله وبين غيره من الناس أى ليس ثم تماثل أو تشابه بينه وبين الناس، بل ولا بين إخوانه من الرسل والنبيين فى الخصائص الإنسانية العليا وأولها الأحوال الروحية والقلبية والخلقية والعقلية والعلمية ، هذا بالنسبة

لأنواره المحمدية هنا فى الحياة الدنيا أو عالم الملك ، أما أنواره الأحمدية فى عالم الملكوت فهذا أمر آخر كما علمنا من الجزء الثانى عن النور الأحمدى ، وهو أن كل نبى روح وكل رسول روح وكل مؤمن له روح وأنه هو الروح الكلى وأنه هو ﷺ وآله نبع النبوة فى الأنبياء ونبع الإيمان فى قلوب المؤمنين ولأنه هو وحده النور الذى جاءنا من الله عز وجل وأن كل ضياء أو كل المصابيح المضيئة فى القلوب المؤمنة جاءتنا منه ﷺ وآله. ومن ثم فهو فى الرسل والنبيين والمؤمنين نور فى قلوبهم جاءهم من ربهم عز وجل.

هذه الحقائق الأحمدية تتوافق تماما مع نفى اعتبار رسول الله ﷺ وآله وسلم ، حالة كونه نورا أحمديا فى عالم الملكوت ، تنفى اعتباره رسولا كغيره من الرسل أو نبيا كغيره من الأنبياء أو روحا مثل سائر الأرواح وتتوافق تماما بالتالى مع عدم ورود ذكر اسمه ضمن قائمة أسماء المصطفين فى الدنيا وكذا عدم ذكره ضمن فئة الصالحين فى الآخرة ومن ثم لا نجد ذكره فى القرآن صراحة ضمن هؤلاء أو هؤلاء .

وهذا وحده بيان واضح يرفع علامتى الاستفهام والتعجب إذ لو وجدنا ذكره ﷺ ضمن الأنبياء المصطفين فى الدنيا والصالحين فى الآخرة لتعارض هذا بالكلية مع ثبوت أنه أبو الأنبياء والمؤمنين ومع ثبوت كونه نبع النبوة فهو ليس مصطفى لما اصطَفَى الله له النبيين ، لأنه مصطفى لما هو أعظم وأعلى ، وليس هو فى الآخرة ضمن الفئة المسماة بالصالحين ، حيث هم صالحون لأمر، وهو ليس صالحا فحسب لهذا لأمر، وإنما هو صالح لأمر آخر أعلى وأجل وأعظم ، ومن ثم فرسول الله ﷺ وآله هو المصطفى فى حين أنَّ كل نبى مصطفى وهو الصالح فى حين كل نبى صالح من الصالحين ؟!....

نعم هذا حق بيد أن اصطفاء الله تعالى له لابد أن يكون لأمر آخر غير الأمر الذى إصْطَفَى الله تعالى له سائر النبيين ،وبالتالى فإن صلاح النبيين لابد أن يكون لأمر آخر غير الذى له ﷺ.

ومن ثم نحتاج لتوضيح هذا الأمر ، وهذا لا يكون إلا ببيان العلاقة بينه ﷺ وآله وبين جميع الأنبياء والرسل فى عالم الملكوت أى أحمديا ، مع التذكير بأن علاقته بهم ﷺ جميعا فى عالم الملك أى مُحمديًا بأنه خاتمهم جميعا ، وأن النبوة قبله كالبناء الكامل الذى ينقصه لبنة ، وجاء سيدنا محمد ﷺ خاتما للنبوة بمثابة وضع هذه اللبنة إتماماً للبناء ، بياناً لحقيقة ختم النبوة ،فلا نبى بعده ﷺ .

كذلك علمنا من الجزء الثانى أن رسول الله ﷺ وآله كان نبيا وآدم بين الروح والجسد ، أى قبل خلق الإنسان ، ومن ثم فإن نداء الحق تبارك وتعالى له بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦ هو نداء إلهى له فى عالم الملكوت قبل الحياة الدنيا، وهو غير حادث ،لأنه قرآن كريم فى هذه الآية بيان محكم الدلالة بأن رسول الله ﷺ هو النبى قبل خلق آدم ، وهو السراج المنير فى عالم الملكوت ، ومن ثم فلا جدال فى أن صلته بالرسل والنبيين قائمة منذ هذا العهد باعتبار أن وجوده ووجودهم كان فى عالم الروح قبل الوجود البشرى الجسدى فى الدنيا.

كما ثبت لنا من نتائج الجزء الثانى أنه ﷺ باعتبار أنه الروح الكلى هو الأب الروحى لآدم،ولمن بعده من النبيين حتى عيسى بن مريم عليهم جميعا الصلاة والسلام ،وكذلك سائر الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ،وكل من يموت على التوحيد ،كما أن آدم هو الأب الجسدى البشرى للبشر جميعا بمن فيهم سيدنا محمد ﷺ وآله ، وهذه الأبوة الروحية للأنبياء والمؤمنين جميعا هى الأساس الذى قامت عليها صلته ﷺ بهم جميعا.

وعلى هذا فإن الموضع الأخير الوارد فيه ذكر لفظ أو فئة "الصالحين " فى كتاب الله عز وجل وهى قول رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٦ ، والتى تثبت ولاية

ربانية إلهية خاصة لسيدنا رسول الله ﷺ مرتبطة بتنزيل الكتاب فى مقابل ولاية عامة لكل الصالحين فى الدنيا والآخرة ، وبالتالى لا نجد ذِكْرًا له ﷺ ضمن فئة الصالحين فى الآخرة، كما لم نجد له ﷺ ذكراً ضمن فئة المصطفين الأخيار فى الدنيا ، وبخاصة أنه ﷺ لم يرد فيه ما يثبت أنه من فئة الصالحين فى الآخرة وتفسير هذا نجده فى صيغة التشهد فى آخر الصلاة حيث يجلس المصلى تاليا تحية النبى ﷺ لربه سبحانه وتعالى بقوله له (التحيات لله والصلوات والطيبات....

فجاءه الرد من رب العزة سبحانه وتعالى :

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته.

فكاد رده ﷺ بقوله ﷺ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين....)

وحيث أن النبى ﷺ هو وحده المتلقى للسلام والرحمات والبركات من الله عز وجل ، فإنه ﷺ هو المقسم وهو الموزع وهو المصرِّف للسلام والرحمات والبركات المنزَّلات عليه من الله ﷻ، فهو مُقسمها على عباده الصالحين وهذا تفسير لقوله ﷺ (إنما أنا قاسم والله معطى) وهو تفسير لقول الله عز وجل ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ التوبة: ٥٩.

وتفسير لقوله تعالى أيضا ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤.

الفصل الثاني
تَنَزّه وتقدّس اللّه ﷻ عن أن يكون له ولد أو ابن

١ - تقدس الله سبحانه وتعالى وتنزه عز وجل عن أن يكون له ولد، أو أن يتخذ ولدا ، وصلتهما، أي التقديس والتنزيه، بالاصطفاء.

٢ - كذلك تقدس الله عز وجل عن أن يكون له ابن، كما أنه تقدس عز وجل وعلا عن أن يتخذ ابنا.

١ - تقدس الله سبحانه وتنزه عز وجل عن أن يكون له ولد أو أن يتخذ ولدا وصلتهما بالاصطفاء.

أما عن آيتيْ تقديسه سبحانه عن أن يكون لـه ولـد أو يتخـذ ولـدا ، فأُذكِّر بأنهما قوله عـز وجـل للنبـى ﷺ ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الزخـرف: ٨١ – ٨٢ ، لأن حرف " إن "بمعنى "لو" يفيد استحالة هـذا فى حقـه عـز وجل وإمتناعه وجوداً وتقدسه ذاتا وصفاتا وأفعالا عن أن يكون له ولد أما الآية التى تقدسه سبحانه عن أن يتخذ ولدا،فأُذكِّر بأنها قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر: ٤ ، وأيضا لأن حرف " لو " يفيد امتناع بـل واستحالة هذا فى حقه عـز وجـل وامتناعـه وجـودا وتقدسـه سـبحانه ذاتـا وصفاتا وأفعالا عن أن يتخذ ولداً.

والفرق بين نسبة الولد وبـين اتخاذ الولـد، واضـح ، إذا الأول لا يكـون إلا بالولادة ، والثانى يكون بالتَّبنِّى. وهذا وذاك محالان فى حقه عـز وجـل. أما الأول : وهو أن يكون له ولد فهو محال فى حقه وجوداً وإرادة.

وأما الثانى وهو أن يتخذ ولدا بمعنى التبنى ، فهو ليس محالاً فى حقه وجـوداً لأنه سبحانه وتعالى قادر وقدير ومقتدر على كل شيء ،بيـد أنـه عـز وجـل لا يريده تقدسا وتنزها وعلُوًّا لأنه ،من أفعال البـشر العـاجزين عـن الإنجـاب المحتاجين إلى الأولاد فى شيخوختهم ، ومن ثم فهـو سـبحانه لا يريـد إتخاذ الولد تنزها وعلوا واستغناءً عمَّن وعمَّا سواه.

ومن ثم توصلنا إلى أن هاتين الآيتين ضرورتان لاستكمال بناء حقيقة الاصطفاء وكشف بواطنها ، وكذا قضية الصالحين فى الآخـرة المرتبطـة بهـا ،

لأن الحقيقتين : الاصطفاء والصلاح مرتبطتان ارتباطا وثيقا إذ قدعلمنا أن الاصطفاء لا يكون إلا للنبيين فى الدنيا وإلتحاقهم بالصالحين فى الآخرة.

وحيث أن هذا الموضوع من جوهر عقيدة التوحيد الإسلامية، لذا نجد له أهمية خاصة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فما من عقيدة فاسدة شركية أو كفرية، إلا ونسبت لله عز وجل الولد أو البنين والبنات بالولادة، لذا وجب علينا بيان موقف القرآن الكريم منها جميعا وأول هذا البيان نقض عقيدة عرب الجاهلية الشركية الفاسدة الشنيعة فقال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) ﴾ الصافات: ١٤٩ - ١٥٩، فلم يجعلوا له سبحانه بنات هم الملائكة فقط، وبنين من الإنس أيضا ،بل ومن الجنة تعالى الله وتقدس عن هذا كله قال تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) ﴾ الإخلاص: ٣.

فهو سبحانه تقدس من أن يخرج منه شيء، لأن هذا ولادة وتقدس من أن يخرج من شيء ،لأن هذا لا يكون إلا لمن يولد، وتقدس من أن يحيط به شيء، لأنه اكبر من كل شيء ،وليس فوقه شيء، لأنه القاهر ولا يقهره شيء ،وليس هو فوق شيء ،و إلا لكان محمولا، وهو ليس سبحانه وتعالى بين شيئين، وإلا لكان محصورا ،وعز الله وتقدس من أن يكون محصورا أو مقهورا أو محمولا أو والدا أو مولودًا، أو تكون له حيْطة لأنه سبحانه منزه عن الأين والمتى ،فهو سبحانه منزه عن الحيْطة المكانية والزمانية، فهو لا قبل ولا بعد له زمانيا ولا يمين ولا يسار ولا فوقيه ولا تحتيه ولا أمام ولا خلف له سبحانه

مكانيا وهو محيط بكل شيء ومن ثم فمن المحال أن يكون لـه ولـد ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء: ١٧١. إذ كيف يكـون كـل مـا فى الـسماوات والأرض مـن خلقـه ومملوكا له ثم يكون واحد أو أكثر من هذه المخلوقات المملوكـة لـه أولاداً أو بنينًا له ؟!

وحيث أن البنين والبنات لا يولدون إلا من زوجين ذكر وأنثى ، فإن نسبة الولد أو الأولاد أو البنات لله عز وجل فرية كـبرى عـلى الله عـز وجـل ،وهى فى الحقيقة سب وشتم لله عز وجل ،وهم ينسبون الأولاد أو البنات لله عز وجل ولا ينسبون له صاحبة ،ومن ثم قال تعـالى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠ – ١٠٢.

أى أنه سبحانه هو الإله الواحد الحق لأنه هو الخالق ولا خالق غيره، وكل ما سواه مخلوق له ومربوب وعبد له، ومن ثم فهو قد تنزه وتقدس عـن أن يكون له بنين أو بنات ،لأن كل ما سواه عبيد له ومملوكين له.

ومن ثم فمن المحال أن يكون للخالق عز وجل ولد مولود منه لأنـه سبحانه وتعالى وتقدس هو الإله الغنى الخالق الذى كل ما سواه مـن إبداعـه وصنعه ،فهم عبيد له مقهورون لجبروته سبحانه وتعالى عن وصف المـشركين له بهذا الوصف، لأن هذا الوصف أبشع ما يقال فى حقه تعالى ، لأن الـولادة

لا تكون إلا من زوجين لأنها صفة بشرية شبيهة بحيوانية الحيوان ، ومن ثم قال الله تعالى فى الحديث القدسى (شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى ، وكذبنى ، وما ينبغى له أن يكذبنى ، أما شتمه إياى فقوله أن لى ولدًا وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوًا أحد ، وأما تكذيبه إياى فقوله : ليس يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته) [1].

ومن ثم لم يرد فى كتاب الله ذكر لهذه العقيدة الشركية الطاغوتية البشعة، إلا وتلى ذكرها على الفور التبشيع لها أشد التبشيع والتشنيع عليها أشد التشنيع والتنديد بأصحابها أشد التنديد وإنذارهم بالعذاب الشديد، وهذه العقيدة عادة ما تكون عند الوثنيين ومنهم عرب الجاهلية الذين قالوا ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الصافات: ١٥٢.

وهؤلاء أشد كفراً من آخرين نسبوا لله تعالى الولد ليس على السبيل السابق أى ليس بقولهم (ولد الله) ولكن بقولهم (إتخذ الله ولداً) بمعنى أنه سبحانه وتعالى إتخذ ولدا غير مولود له أو منه ، وهذا أيضا قول باطل وكذب على الله ، حيث لا يتخذ الولد إلا الذى هو فى حاجة إليه ، وحاشا لله ، فالله هو الغنى عن كل ماسواه ومن سواه ، وكل من وما سواه فقير إليه سبحانه وتعالى فلا ينبغى له أن يتخذ ولداً ، وخلقه لكل شيء سبحانه بقوله للشيء المراد " كن فيكون " والخالق إله والمخلوق عبد لخالقه شاء أم أبى ، فمن المحال أيضا عقلا ونقلا أن يتخذ الله عز وجل ولداً مما خلق ، لذا فقد نفى الله عز وجل عن نفسه إتخاذ الولد فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٦ – ١١٧.وحيث لا

(١) أخرجه أحمد والبخارى والنسائى عن هريرة وأورده السيوطى فى جمع الجوامع أو الجامع الكبير المجلد الأول حديث رقم (٨٧)

يتخذ ولداً إلا الذى يحتاج إليه سواء أكانت حاجة نفسية أم مادية وبخاصة عند الكبر ، والله هو الغنى عن العالمين ومن ثم قال تعالى ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٦٨) قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ (٦٩) مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ (٧٠) ﴾ يونس: ٦٨ – ٧٠. فمن قال بأن الله تعالى اتخذ ولداً فقد أشرك شركا صريحاً بواحاً لأن الولد شريك فى ملك من يتخذه ولداً قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا (١١١) ﴾ الإسراء: ١١١ .وقال تعالى عن أصحاب هذا الاعتقاد الفاسد فى الخالق سبحانه منذراً إياهم ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا (٥) ﴾ الكهف: ٤ – ٥.

فلو اتخذ الله ولدا – سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا – فإن هذا الولد يصير إلهاً معه مستحقا للعبادة ، وهذا باطل وإفك وكذب مبين ومخالفة بل وخرق للتوحيد ، قال تعالى رداً على النصارى ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ (٣٦) ﴾ مريم: ٣٤ – ٣٦ ، فمن يجعل مع الله تعالى إلها آخر كمن يقول إنه سبحانه وتعالى اتخذ ولداً ، لذا فقد قال الله تعالى مبطلا هذا الاعتقاد الفاسد فى الألوهية ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٩٢) ﴾ المؤمنون: ٩١ – ٩٢.

والعجيب أن قول المشركين بأن الله تعالى اتخذ ولداً، هذا القول الذى يقولونه بسهولة ومن غير أن يشعروا بأنهم قد آذوا الله تعالى وشتموه هذا القول يكاد الكون أن ينهدم منه قال تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: ٨٨ – ٩٣. فتدبر تأثير هذه الكلمة على أعظم المخلوقات وهى السماوات والأرض من إحساس أو إدراك لبشاعتها ممن يعتقدونها وهى التى يكاد الكون أن ينهدم منها.

وأحيانا يجعل المشركون الضالون الملائكة أولاداً أو بنات لله عز وجل، وأحيانا يجعلون أنبياءهم كذلك ،وأكثر ما حدث فى الأمم السابقة وصف رسلهم وأنبيائهم أبناءاً لله عز وجل مثل قول اليهود عزيز ابن الله عز وجل والنصارى عيسى ابن الله وكذلك قول الذين كفروا من قبل مثل البوذيين الذين قالوا أيضا بوذا ابن الله ، وغيرهم ، قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة: ٣٠ ، والذين نسبوا الولد لله عز وجل من قبل هم اليهود والنصارى والبوذيون والفراعنة وغيرهم.

وهذا وجه آخر من وجوه الشرك عند الوثنيين وقع فيه أهل الكتاب يهوداً ونصارى وهو موضوع البند الثانى بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

٢- كذلك تقدس الله وجل عن أن يكون له تعالى ابن كما أنه تقدس وجل وعلا سبحانه عن أن يتخذ إبنا:

وهذا قول ثالث من أقوال الشرك التى تنسب لله مالا ينبغى ولا يجوز أن يوصف به الله سبحانه وتعالى عما يصفون علوا كبيرا ، وهو ثالث القولين السابقين

فالأول : قولهم أنه ،عز وجل وتقدس ،يلد وله ولد، وهو أبشع الأقوال الثلاثة.

والثانى : قولهم أنه اتخذ ولدا من خلقه، وهذا قول بشع وإن قَلَّت بشاعته عن الأول.

والثالث : قولهم أن لله عز وجل إبنا، وهذا باطل وزور وبهتان وهو مثل الثانى لأنه يؤول ويرجع إليه ،لأن الابن هو فى الأصل ولد أو لأن الناس يعتبرونه ولدا ،بل إن اليهود والنصارى قد جعلوا أنفسهم أبناءاً لله عز وجل ،قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المائدة: ١٨.

أما قولهم نحن أبناء الله، فلأنهم كانوا الأمة التى اختارها الله تعالى لحمل التوراة والكتب الأخرى التى نزلت على أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام ومنها الزبور وأسفار الأنبياء مثل أشعياء وحزقبال وأرمياء ودانيال وآخرهم إنجيل عيسى عليهم جميعا السلام قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الدخان: ٣٢.

وهذا ما يعبرون عنه بأنهم شعب الله المختار، ولكن بعد أن بعث الله تعالى النبى الخاتم سيدنا رسول الله ﷺ صار الاصطفاء للأمة المحمدية على

سائر الأمم لوراثة الكتاب والحكم والإمامة والخلافة ، ومن ثم فقد تم عزل بنى إسرائيل بعد كفرهم وإفسادهم فى الأرض عن الرسالة، فلم تعد فيهم نبوة من بعد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، إذ لم يعد اليهود هم الأمة المختارة ،وكذا النصارى وإنما صارت الأمة المحمدية هى الأمة المصطفاة على جميع الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، فهى المصطفاة من الأمم التى كانت مختارة من قبل لتلقى الرسالات السماوية كلّ أمةٍ فى زمانها ، فآمنت وحملت الرسالة فصارت هى الأمة المختارة لزمانها، حتى طال على ذريتهم العهد وضلوا، ثم نزلت رسالة سماوية أخرى فى كتاب على رسول بعده،فآمن قومه وحملوا الرسالة وصاروا هم الأمة المختارة لزمانهم، وهكذا ، أمّا الأمة المحمدية فهى الأمة الخاتمة التى ليست مختارة فحسب ، بل ومصطفاة أيضا على جميع الأمم السابقة والمختارة أيضا لوراثة الكتاب الجامع لجميع الرسالات السابقة فهى مصطفاة لوراثة القرآن الكريم كتاباً، ومصطفاة أيضا لمن أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم ﷺ وآله أمة له ﷺ.

والملحوظ أن قول اليهود والنصارى (نحن أبناء الله وأحباؤه) لم يعقبه التشنيع لهذا القول لإبطاله إبطالا كليا من جميع الوجوه ، كما هو التعقيب الإلهى على نسبة الولد أو الابن للخالق عز وجل فى الآيات المتعددة آنفة الذكر ، فإذا تساءلنا عن الحكمة من هذا فإن الإجابة تأتى نتيجة لتدبر هذه الآية بأن اليهود والنصارى وصفوا أنفسهم بأنهم أبناء وأحباء الله عز وجل ، ومن ثم فلو جاء النفى كليا شاملا لنفى الله عز وجل أن يكون له أحباء، لكى ينفى أن يكون له أبناء ، والحق أن الله عز وجل له أحباء من خلقه قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ

لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائـــدة: ٥٤.فالـذين يحبهم الله تعالى ويحبونه هم أحباء الله عز وجل ،فهذا حق ، أمـا القـول بـأنهم أبناء الله عز وجل، فهذا لم يرد عندنا لا فى الكتاب ولا فى السنة ، أى لم يرد فى نصوص الوحى مـا يجيـز وصـف أحبـاء الله عـز وجـل بـأنهم أبنـاؤه أو أى تجويزلهـذا الوصـف أيـضا ، بيـنما نـسبة الأبنـاء متكـررة كثـيرا عنـد اليهـود والنصارى.

ولهذا فإن الله عز وجل لم يرد على قول اليهود والنـصارى بـالنفى أو الإبطال بالكلية ، لأنه لو نفى أن يكون لله تعالى أبناء لنفى أيضا أن يكـون لـه أحباء ، وإنما نفى أن يكـون اليهـود والنـصارى مـستحقين لهـذين الوصـفين بقوله تعالى فى نفس الآيـة ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ المائدة: ١٨.(قل : فلم يعذبكم بذنوبكم) ردٌّ على قولهم أنهـم أحبـاء الله ونَفْـىٌ لهـذا الوصف لأنفسهم ، أما قولهم (وأبناؤه) فقد جاء الرد عليه بالنفى المطلق لـه بقوله تعالى أيضا (قل :فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلـق....) إلى آخر الآية وتقدس الله عن أن يتخذ أبناء من البشر، ومن ثم فالتأكيد على أنهم بشر ممن خلق ، ليسوا متميـزين عـن غـيرهم بـشيء ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وهذا مصيرهم ومصير كل البشر، فكيف يكونـوا أبنـاءاً لله عز وجل حتى لو كانت هذه النسبة بالدلالة المعنوية وهم مملوكون له ؟

ذلك أن لدلالة كلمة " ابن " فى اللغة العربية دلالة معنويـة روحيـة بجانـب الدلالة التى ترادف دلالة " الولد " ، وكذلك الكلمـة المقابلـة " الأب " لهـا أيضا الدلالتان بخلاف دلالة لفظ " الوالد" فالدلالة المعنوية الروحية لـلأب

مثل قوله تعالى عن سيدنا إبراهيم ﷺ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الحج: ٧٨ ، فالأبوة هنا أبوة ملة وفطرة وعقيدة وإيمان ،وليست أبوة بشرية عصبية، ومنها الأبوة الروحية للروح الكلى للمؤمنين إذ لا يجوز أن يقال فيها أن المؤمنين، أولاد للروح الكلى ، لأن الصحيح أن يقال أن رسول الله ﷺ أبٌ للمؤمنين أبوَّة روحية، والمؤمنون أبناء له، أى أبناء روحيون له [١] ، ولا يجوز القول أنهم أولاد له ،لأن الولد لا يأتى إلا من التقاء الذكر والأنثى ، وهذا محال على الروح الكلى الذى ليس من البشرية فى شيء.

من أجل هذا لم يأت التعقيب على قول اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه بالتشنيع بالشدة التى جاء فيها التعقيب على نسبة الولد لله عز وجل ، وإنما أتى الرد مثبتا أنهم ليسوا أحباء الله عز وجل لأنهم ليسوا على عقيدة التوحيد، وليسوا مستحقين لوصف " شعب الله المختار" كما كانوا ، وإنما هم بشر ممن خلق لا يجوز أن يصفوا أنفسهم بأنهم أبناء الله عز وجل.

ومن ثم فإن نسبة الابن لله عز وجل، أيًا كان هذا الشخص المنسوب له، ابنا باطل وقد شنع به كتاب الله عز وجل فقال عن اليهود والنصارى لقولهم عزيز بن الله وعيسى بن الله (قاتلهم الله أنى يؤفكون) وهو تشنيع أقل من التشنيع على الذين نسبوا الولد لله عز وجل ، وكلاهما قول باطل وضلال ولا يجوز فى حق الخالق سبحانه وتعالى هذا ولا ذاك.

---

(١) راجع الجزء الثانى من موسوعة الحقيقة المحمدية.

ومع أن النصارى قالوا المسيح ابن الله ،إلا أن الرد القرآنى عليهم جاء بإبطال نسبة الولد إلى الله عز وجل فقال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ مريم: ٣٥ – ٣٦ ، فنفى أن يكون له ولدا ،ولم يقل عز وجل " ما كان لله أن يتخذ ابنا سبحانه " مع أنهم قالوا عن عيسى ابن الله عز وجل ، وهذا لأن عامة الناس فى كل الأمم لا يفهمون النبوة إلا بالمعنى البشرى الجسدى ، فيكون اعتقادهم بأن لله تعالى ابناً ، هو بمعنى أن له ولد ، وبالتالى فنسبة الابن لله عز وجل باطل وكذب كنسبة الولد سواء بسواء.

وبناء على هذا كله لا يجوز ولا ينبغى مطلقا نسبة الابن لله عز وجل إذ يكون بهذه النسبة أبا، ومن المحال فى حقه أيضا هذا الوصف ولا تجوز له هذه النسبة.

يثبت هذا ويؤكده الحديث الذى أخرجه (الإمام أحمد بسنده عن أبى بن كعب ﷺ أن المشركين قالوا للنبى ﷺ يا محمد : أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤ ، زاد ابن جرير والترمذى فى روايتهما قال (الصمد الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يكن له شبه ولا عدل ، وليس كمثله شيء)[1].

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة الإخلاص

ومن ثم فلا ريب ولا خلاف مطلقا فى أن أَفْسَدَ عقيدةٍ فى الألوهية على وجه الأرض هى التى تنسب لله تعالى الولد بالولادة لأنها بمثابة السب للمولى عز وجل، ويليها فى البطلان اتخاذ الولد ثم بعدها اتخاذ الابن.

وهذا القول المفصل فى هذا الاعتقاد الفاسد فى الألوهية هام فى موضوعنا الرئيسى، وهو اصطفاء النَّبيين جميعا بنصوص قرآنية صريحة محكمة الدلالة من غير أن يكون سيدنا رسول الله ﷺ من ضمن هؤلاء المصطفيْن الأخيار، كما وردت نصوص قرآنية محكمة الدلالة أيضا بأنهم جميعا صالحون ،أى كما أنهم جميعا مصطفوْن فى الدنيا ، فإنهم صالحون فى الآخرة أيضا من غير ذكر رسول الله ﷺ ضمن هؤلاء الرسل والأنبياء الصالحين فى الآخرة ، وإن كان هو أسوة المصطفيْن والصالحين فى الدنيا والآخرة ، لكن كونه أسوة لهم وإماماً لا يمنع أن يوصف معهم بالاصطفاء فى الدنيا والصلاح فى الآخرة ، وهذا السر هو الذى نسعى لمعرفته وهو : لِمَ لَمْ يوصف عليه الصلاة والسلام بهذا وبذاك ؟!

وأُذَكِّر بأنه قد بقى لدينا آية واحدة فى الاصطفاء ،وهى قوله تعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر: ٤ ، وهى تدخل أيضا فى قضية نسبة الولد إلى الله عز وجل بالإضافة إلى أنها فى الاصطفاء أيضا.

ومن الواضح بل من اليقين أننا لا نستطيع أن ننسب هذا الاصطفاء لسيدنا رسول الله ﷺ ولا لأى مخلوق آخر لأن " لو " هى لإفتراض ما هو محال فى حق الله عز وجل ، وهو إتخاذ الولد ، والمعنى أنه من الممتنع أصلا عقلا ونقلا أن يريد الله عز وجل اتخاذ الولد ،مع أنه سبحانه قادر على اتخاذ ولد باصطفاء واحد من البشر ، أى فرضا لو أراد سبحانه ، فإنه لا يكون إلا باصطفاء من يشاء من خلقه لهذه المكانة منه سبحانه.

ومن ثم فالموضوع يمس قضية نسبة الولد لله تعالى أيضا وحيث أنه لم يبق من الآيات التى تناولت نسبة الولد لله عز وجل إلا آية واحدة أيضا ، فإننا نجد أنفسنا ، حسب المنهج الموضوعى بعامة وقاعدة الإحصاء الشامل لآيات القرآن الكريم فى الموضوع قيد الدراسة بخاصة ، أقول نجد أنفسنا ، حسب قواعد هذا المنهج ، ملزمين بالرجوع إليها كلها لعلنا نجد بها الإجابة على السؤالين الرئيسيين وهما عن الاصطفاء بالنسبة لرسول الله ﷺ وعن نسبته للصالحين فى الآخرة.

أما الآية الباقية فى نسبة الولد لله عز وجل فهى قوله تعالى آمراً النبى ﷺ أن يقول للخلق جميعا : إنسهم وجنهم وملائكتهم والسماوات وما فيها ومن فيها ،والأرض ومن وما فيها ، أى قل يا محمد للعالمين ، أنه لو أراد الله عز وجل – وهذا محال فى حقه سبحانه – أن يتخذ ولدا فلن يتخذ غيرى لهذه المكانة ، لأننى أول من عبده قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ (٨١) سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) ﴾ الزخرف: ٨١ – ٨٢ فتدبر قوله تعالى لسيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله (قل) أى أبلغ وأعلن للعالمين بعامة ، ولكل أمة من الأمم التى وصفت نبيها بأنه ابن الله عز وجل بخاصة ، كاليهود والنصارى والبوذيين والذين كفروا بنفس هذه العقيدة الفاسدة من قبل ، قل يا محمد لهم أى للذين مازالوا على هذه العقيدة الفاسدة مقلدين أسلافهم : أيها اليهود قلتم عن عزيز ابن الله ، وهذا باطل من جميع الوجوه لأنه محال أن يكون لله ولد أيا كان ، ولأن مكانة عزيز عليه السلام فى دينكم ليست فى مستوى مكانة موسى عليه الصلاة والسلام الذى لم يزعم هذا لنفسه ،ولا أنتم قلتم عنه هذا ،وهو صاحب شريعتكم.

وكذا قل يا محمد للنصارى لأن عيسى أيضا لم يأت بشريعة ولم ينسخ شريعة التوراة وأُمِرَ أن يتبعها ،فيكف ينال هذه المكانة ، التى لا تجوز ولا تصح فى حق الله عز وجل.؟

فيكون بهذا عزيز أو عيسى أقرب إلى الله وأكرم مكانة من موسى عليهم السلام ، وهما مأموران بإتباعه ، هذا على فرض أن هذا الوصف جائز ، وهو، كما بينا ،باطل، ولا يجوز فى حق الخالق سبحانه.

هذا من وجه ، ومن وجه آخر ، فإن جميع الرسل والنبيين و فيهم الأربعة أولو العزم من الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام هم جميعا أمة لرسول الله ﷺ وهو رسول الله إليهم كما علمنا من الميثاق ، فكيف يوصف فرضا عُزيرْ أو عيسى أو أى نبى أو رسول آخر بأنه ابن الله عز وجل، أو ولده سبحانه وتعالى ،ورسوله الخاتم الذى شهدوا جميعا له بالرسالة وبالإمامة لهم يقول : إنما أنا عبد الله ورسوله.

وإستكمالاً للبحث فإن الآيتين المتبقيتين فى الاصطفاء وفى إبطال نسبة الولد أو الابن لله عز وجل ،إذا وضعنا هما متجاورتين وقرأنا هما قراءة واحدة، لوجدنا أن كل واحدة منهما تفسر الأخرى ،وتعطينا دلالة جديدة، وترفع علامات الاستفهام الكبرى المصاحبة لنا فى البحث فى مسألتىْ الاصطفاء والصلاح.

الأولى : وهى قوله ﷻ ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر : ٤.

وأما الثانية : فقوله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف: ٨١ .

وهذه الأخيرة تفيد دلالة واضحة لا يختلف عليها أولوا الألباب ، بل لا يختلف على هذه الدلالة إثنان منهم، وهذه الدلالة الواضحة تقول : بعد أن علمنا أن الآية الأولى تفيد أنه : فرضا لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء ،وحيث أن تفسير هذه الثانية هو أن الله تعالى يأمر النبى ﷺ أن يعلن للخلق أجمعين الأحياء منهم وغير الأحياء ، والجن منهم والإنس والملائكة و السماوات والأرض والكرسى والعرش ، أنه إن كان ، على سبيل الفرض ، للرحمن ولد ، فإنه لا يكون إلا أنا ، لأننى أول من عبده سبحانه : بأولية السبق الزمنى وبأولية الفضل، فليس فى الوجودأحد أسبق ولا أفضل منى، فيمن عبدوا الله تعالى ، وهو سبحانه الذى أمرنى أن أعلن هذا للعالمين، ولا فخر ،ومع هذا فأنا أعلن للعالمين أننى عبده ورسوله، فكيف تصفون غيرى من الذين هم أقل كرامة وقربا منى لله عز وجل ،بأنه ابنه أو ولده ، ولا ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ولكن يجوز أن يتخذ من خلقه وعبيده حبيبا ، ومن ثم فأنا عبد الله الأول ورسوله الأول ، وحبيبه الأول ، لأننى بلا منازع أول العابدين.

فالآية الأولى تبدأ بحرف (لو) الذى يفيد الامتناع عن حدوث هذا الأمر المذكور بعدها واستحالة وجوده فى حق الله تعالى، فالجملة التى بعد لو الافتراضية ،أى بفرض حدوث هذا المحال على الله عز وجل ، وهو إرادة اتخاذ الولد ، فهذا الولد لن يكون ولا يكون من ذاته سبحانه وتعالى لأنه منزه سبحانه عن أن يلد، وإنما سيكون هذا الولد من خلقه ، لأن كل ما سواه سبحانه مخلوق له ، فمحال أن يكون له ولد بهذا المعنى، أى محال أن يكون مولودًا له سبحانه ، وإنما حدوث هذا الممتنع ، لو حدث افتراضا ، فلن يكون إلا باختيار الله عز وجل من جميع المخلوقين مخلوقا ليصطفيه ، ليس ليكون ولداً أو ابنا له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ،ولكن ليكون حبيباً له ،

ومعلوم أن الحبيب أقرب لحبيبه من ولده أو والده ، وكذلك يكون أيضا قرب الأب من إبنه، أو قرب الإبن من أبيه أقل من القرب بين الحبيبين لأن الوالد والولد ،و لأن الأب والابن يمكن أن يتحوَّلَا إلى عدويَّن.

إذن ، فمن هو المخلوق الأحب للخالق سبحانه وتعالى ؟ إذ يكون هو المخلوق الأسعد والأكرم والأعلى والأقرب إليه سبحانه على الإطلاق من كل الخلق أجمعين.

ويتبع هذا أن يكون هو المخلوق الأكمل والأجمل والأعز والأجل عند الله سبحانه وتعالى ،وهو وإن كان مخلوقا إلَّا أن حب الله عز وجل له وحبه لله ﷺ دائم باقى أبدى، وهذا بخلاف الحب بين الوالد والأولاد والأب والأبناء والزوج وأزواجه.ودليل هذا قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤ ، هذا فى حين أن الحبيبيْن المخلصيْن لاو لن يتحولا إلى عدوَّيْن أبدا ،إلا إذا كانا غير مخلصين: أحدهما أو كلاهما للآخر ومن ثم، فلا مناص من طرح السؤال التالى : -

من هو المخلوق الأحب إلى الله ﷻعن سائر خلقه؟

او بعبارة أكثر إيجازاً:علمنا أن لله ﷻ أَحِبَّاء،فمن هو الحبيب؟

الإجابة: إذا كان الحبيب أى الأحبُّ إلى الله تعالى هو الأكرم عنده، فإن الأكرم عند الله هو الأتقى.لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣ ، فمن المخلوق الذى أخبرنا الله فى كتابه أنه هو الاتقى

مطلقا؟ ،إن أكرم أنواع الخلق عند الله ﷻ :الإنسان ،كما ثبت لنا هذا من قبل.

إذن ، فإن أتقى إنسان هو لزوما أتقى الخلق جميعا وأكرم الخلق جميعا عند الله.

فمن هو الفرد الأتقى لله عز وجل منهم أى، من بنى الإنسان على الإطلاق؟، إذ هوالذى يكون قد اصطفاه الله ﷻحبيبا ورفعه إلى المنزلة الأقرب إليه أى الذى لا يوجد مخلوق من جميع المخلوقين أحب إليه سبحانه من هذا الاتقى على الإطلاق.

فالذى يكون هو الأتقى على الإطلاق بين الخلق هو الذى اصطفاه الله تعالى حبيبا ،وهو الذى يكون أكثرهم خشية منه سبحانه ، وأكثرهم حُبًّا له، وأكثرهم رجاءً فى رحمته وعفوه وفضله.

لأن الشهادة لهذا المخلوق الأتقى على الإطلاق من بين الخلق أجمعين لا تَصِحُّ إلَّا من الله ﷻ العليم بخلقه الخبير بهم ، لذا فقد جاءت الإجابة محكمة الدلالة بقوله سبحانه وتعالى آمرا هذا المخلوق بإعلان أنه الأول عبادة لله تعالى كيفا بمعنى أفضل من عبده ، وكذا هو الأول كمًّا فى عبادته لله تعالى من حيث السبق الزمنى فلم يسبقه عبد آخرإلى عبادة الله عز وجل.

وهذا هو المفهوم والمستفاد من قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف: ٨١ ، أى أعلن يا محمد فى العالمين أنك أول وأسبق من عبد الله عز وجل بين الخلق أجمعين ،ومن ثم تكون أنت الأتقى لى على الإطلاق ،ومن ثم فأنت الأكرم علىَّ، والأقرب والأحب إلى على الإطلاق ، وحيث أنك عبد مخلوق لى ولا ينبغى أن أتخذ ولدا من خلقى لأنهم جميعا عبيدى ،وأنت أولهم وأكرمهم عندى ، فإنى اصطفيتك لى لتكون أقرب الخلق لَدَىَّ وأحبهم إلَىَّ أى أننى اصطفيتك حبيبا لى لأنى أنا القائل ﴿

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر: ٤ وأنا اصطفيتك لى حبيبا أحبك حبا لا أحب أحدا من خلقى مثله لأن لى من خلقى أحباباً كثيرين أحبهم ويحبونى ، ولكن كل منهم حبيب وأنت وحدك يا محمد الحبيب.

ومن ثم فللآيتين دلالة واحدة ،وهى اصطفاء الله عز وجل سيدنا محمد ﷺ حبيبا له، والأدق والأحكم تعبيرا القول بأنه: خلقه لذاته حبيباً وحيث قد علمنا بالأدلة القرآنية المحكمة الدلالة أن جميع الأنبياء والمرسلين قد اصطفاهم الله تعالى ليكونوا أمة أحمدية له فى عالم الملكوت.

وحيث قد ثبت لنا أيضا بالأدلة القرآنية محكمة الدلالة أن كل أمة مصطفاة لرسولها أو نبيها.

وحيث قد ثبت لنا بالأدلة القرآنية محكمة الدلالة أن الله تعالى قد خلق الخلق للإنسان بقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩ ، فاصطفى بهذا الإنسان على العالمين ،واصطفى النبيِّين على سائر الناس فإنه سبحانه وتعالى يكون قد خلق الخلق للإنسان ، وخلق كل أمة من بنى الإنسان لنبيها أو لرسولها ،وخلق الأنبياء والمرسلين جميعا أمة لحبيبه ﷺ ، أى أمة أحمدية له ﷺ فى عالم الملكوت ،وخلق الأمة الخاتمة للأمم المصطفاة لوراثة الكتاب الخاتم للكتب ،لتكون أمته المحمدية ﷺ فى هذه الحياة الدنيا ،أى فى عالم الملك فهو ﷺ المصطفى له كل ما خلق الله سبحانه فى الملك والملكوت ومن ثم ننتهى إلى هذه الحقيقة المحمديَّة الرئيسية الكلية اليقينية وهى أن الله سبحانه وتعالى خلقه ﷺ ليكون المصطفى المطلق لذاته سبحانه وتعالى عبداً فرداً وشاهداً ونَجِيًّا وخليلا وحبيبا فصار هو ﷺ "العبد" أى هو وحده عبد

الله الفرد، وغيره عبدٌ لله وفرد ،وهو وحده الشاهد ،وغيره شاهد وهو وحده النبى، وغيره نبى وهو وحده الحبيب وغيره حبيب :

والخلاصة أن الله تعالى خلق الخلق جميعا لآدم وبنيه ،وخلق بنى آدم أمما لرسلهم وأنبيائهم ،وخلق النبيين واصطفاهم أمة للنبى ﷺ، وخلق سيدنا ومولانا محمد ﷺ لذاته عز وجل حبيبا.

فاذا كان الرسل والنبيون مصطفين له ﷺ فلا يتوافق أن يذكر معهم فى قائمتهم ؟ من أجل هذا لم يرد ذكره فى آية واحدة تدل على أنه ﷺ من المصطفين الأخيار فى الدنيا كسائر الرسل والنبيين ، هذه واحدة.

أما الثانية وهى الأهم أن حبيب الله ﷺ لم "يصطفه"" من " أى أن الله تعالى لم يخلقه واحداً من جنس أو من نوع أو فريق أو قبيلة أو فئة أو واحدا من جماعة، أيا كانت، ثم اصطفاه الله عز وجل من هذا النوع أو هذا الجنس أو هذه الجماعة حاشا وكلا ،بل اصطفى الله له النوع والفريق والجنس والشعب والقبيلة والعشيرة والجماعة والبيت أى الجدين والوالدين.

فهو لم يكن من خلق ما ،ثم صار مصطفى عليهم، أى لم يكن فى المستوى الوجودى لهم، ثم رفعه الله عليهم باصطفائه لأمر هام ،كما حدث لجميع المصطفين رسلا أو أنبياء وأمما ، وإنما كان اصطفاء الله عز وجل الجنس له ليرفع هذا الجنس به ،والنوع له ليرتفع هذا النوع به، والقبيلة أو الشعب أو الفئة أو الجماعة أو الأسرة له ﷺ ليشرف ويرتقى كل منها على نظائرها به ﷺ.

وهذا يثبت أن الله عز وجل خلق الخلق له ﷺ وخلقه هو فقط حبيبا لذاته ﷺ ،ومن ثم فهو وحده فى الخلق جميعا المصطفى له سبحانه وتعالى، والأدلة على هذه الحقيقة العجيبة التى ليست لأحد ولا لواحد من الخلق غيره ﷺ ما ثبت لدينا من أن الله عز وجل قد اصطفاه وحده لذاته ،واصطفى النبيين له ، واصطفى الناس أمما للنبيين ، واصطفى سائر الخلق للناس أى للإنسان ، كما مر بنا.

ومن ثم لا يجوز القول أنه ﷺ " مصطفى من " بل الصحيح أن أفضل وخير كل ما سواه ومن سواه من الخلق قد اصطفاه الله تعالى له ﷺ وحيث قد ثبت لنا ووضح جليا فى القرآن الكريم حقيقة اصطفاء الله عز وجل النبى ﷺ لذاته سبحانه، فإننا نجد هذا فى كتابه سبحانه مفصلا ومطابقا مطابقة تامة وصريحة لهذه الحقيقة المستنبطة من الكتاب العزيز،سنجدها صريحة بأدلة مباشرة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

الفصل الثالث

الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى إصطفى رسوله لذاته حبيباً

أولا الأدلة من الكتاب على أن سيدنا محمد ﷺ هو المصطفى لذاته سبحانه حبيبا

الدليل الأول : هو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١.

فإذا كانت الوسيلة أو السبيل لنيل حب الله عز وجل ،هو أن يتبع المسلم رسول الله ﷺ ، فإن النتيجة الصحيحة المستنبطة من هذا القياس هى أن رسول الله ﷺ هو أحب الخلق إلى الله عز وجل ، لأن كل الإنس والجن لا سبيل أمامهم ،لنيل حب الله تعالى لهم إلا حب رسوله ﷺ وحبه هو الإيمان به وإتباعه، وعلى هذا فهو ﷺ السبيل الوحيد لنيل حب الله ﷻ ولا يكون الأمر كذلك إلا إذا كان أحب خلق الله إليه.

الدليل الثانى : وهو قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥ .فقوله عز وجل (إن الله يحب المحسنين) يستلزم أن يكون الأحب إلى الله عز وجل من خلقه أعظمهم إحسانا ، أى أن حبيب الله الأول لابد أن يكون هو المحسن الأول ، ومن البديهى أن يكون أول المحسنين هو أول العابدين، لأن الإحسان صفة لحال العبادة، ومن ثم لا يكون أول العابدين إلا إذا كان أول المحسنين ،والعكس أيضا صحيح ، فرسول الله هو أول المحسنين، ومن ثم فهو المحبوب الأول لرب العالمين، أى أنه إذا علمنا بحق أن لله تعالى أحباءاً كثيرين من خلقه وكل منهم حبيب له سبحانه، فإن المحبوب الأول له عز وجل يكون هو وحده

الحبيب ،ومن ثم فسيدنا محمد ﷺ العبد الأول والرسول الأول والنبى الأول والحبيب الأول ، والأولية فى كل هذا أولية سبق زمنى تفيد الأعظم فى الكم ، وأولية فضل تفيدالأعظم كيفاً، وهذا يستتبع بالضرورة أنهﷺ أول المحسنين، وهذا يعنى بالضرورة أنه أول المحبوبين.

الدليل الثالث : وهو قوله عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢ ولأن رسول الله ﷺ هو أول العابدين بشهادة رب العالمين وأول المسلمين بشهادة الله له بقوله تعالى له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣ ، فإنه ﷺ يكون بهذه الشهادة أول التائبين وأول المتطهرين ومن ثم يكون هو عند الله عز وجل أول المحبوبين. أى يكون هو المحبوب الأول، فهو إذاً الحبيب، بينما سائر المصطفين الأخرين كل منهم حبيب ، اذ لله تعالى أحباء كثيرون، أما الحبيب فهو واحد فقط ، هو سيدنا ومولانا ﷺ وآله.

الدليل الرابع :وهو قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ٧٦.

ولم يعرف تاريخ النبيين والمرسلين أحداً أَوْفَى بعهده وأتقى مثل سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، إذ سيجد يوم الدين كل نبى وكل رسول من نفسه ذنوبا صغيرة بل هنات ضئيلات ستجعل كل منهم يحجم عن التقدم للجبار يوم القيامة لطلب الشفاعة للبشرية منه سبحانه وتعالى خوفا وخشية ورهبة منه لشدة غضبة يومئذ ، فيتقدم رسول الله ﷺ وحده ويسجد فى بطنان العرش متشفعا للثقلين لإقامة الحساب ، فيقبل الله تعالى شفاعته ويقول له : سل تعطه ، واشفع تشفع.

وهذا دليل على أنه ﷺ لم يذنب قط ، ومن ثم فهو ﷺ بغيرجدال أتقى الخلق وأوفى الخلق بالعهد ،مهما كان الوفاء به شديدا على النفس ومهما كانت تكلفته وقسوته عليه ،ودليل هذا تسليم أبى جندل ابن سهيل ابن عمرو بعد أن فر من محبسه ولجأ للنبى فى الحديبية بُعَيْد توقيع المعاهدة ، فكان إعادته ، حسب أحد بنوده المعاهدة قاسيا جدا على النبى والمسلمين لتعذيب المشركين له، ولكل الذين أسلموا فى مكة وفى القبائل ، وتشهد أحداث السيرة أن النبى ﷺ قد أَوْفَى بكل عهوده وعقوده مع كل القبائل مهما كان عداؤها له ﷺ باعتبار أنه أتقى المتقين وأول أحباء الله سبحانه وتعالى ، فهو حقا الحبيب ، فى حين أن كل تَقِيٍّ وَفِيٍّ حبيب.

الدليل الخامس : وهكذا أيضا بالنسبة للصابرين حيث هو أعظم الأنبياء والمرسلين صبرا قال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦. فهو ﷺ قد أُبتلى بكل أنواع الابتلاء بالضراء بدءًا باليتم والفقر حتى رعى الغنم فى شعاب مكة صبيا،ثم موت أبنائه فى حياته ماعدا فاطمة عليها السلام ،حتى يمكن القول أنه كان أصبر الصابرين ،على الإطلاق أى أنه هو بلا منازع أصبر الصابرين لقوله ﷺ (ما أوذى أحد ماأوذيتُ فى الله) [1].وهذا فى حياته ثم بعد انتقاله حتى اليوم،أما فى حياته فلم يتركوا أى نوع من الأذى إلا أوذى به ﷺ من المشركين فى مكة والمنافقين واليهود فى المدينة فآذوْه حتى فى زوجه عائشة ؓ بحديث الإفك.

وأما صبره فى ميدان القتال فقد كان منقطع النظير فى تاريخ البشرية كله ، حتى أن الصحابة كانوا يحتمون به ﷺإذا اشتد عليهم العدو مثل ما حدث

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أنس وأورده صاحب كنز العمال ج٣ ص١٣٠ حديث رقم (٥٨١٨) فى الجامع (٥٣٢).

يوم حنين، إذ واجه النبى ﷺ جيشا بأكمله وحده ،وهو ينادى مُذَكِّراً أصحابه الذين تراجعوا عنه (أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك)[1].

فكل هذا يدل على أنه أصبر الصابرين ،ومن ثم فهو أول الصابرين وبالتالى أول المحبوبين لله عز وجل لقوله تعالى (.... والله يحب الصابرين.....) فإذا كان كل صابر محبوباً لله عز وجل، فإنه ﷺ هو الصابر الأول ، ومن ثم فهو المحبوب الأول لله عز وجل ،ومن ثم فهو الحبيب فى حين أن كل صابر سواه حبيب.

والخلاصة أن أولية المصطفى ﷺ فى كل ما يحبه الله عز وجل فرع من أوليته ﷺ فى العبودية لله عز وجل بشهادة رب العالمين له بأنه أول العابدين ﷺ ، وهذا كله يثبت أنه المصطفى لذاته سبحانه حبيباً.

وحيث أن أحباء الله عز وجل كثيرون وهم العابدون وهم المحسنون وهم المتطهِّرون وهم التائبون وهم المتقون الموفون بالعهود وهم الصابرون ، وكل منهم حبيب لله عز وجل وهو الأول فى هذا كله فهو بلا ريب أحب عباد الله عز وجل لله تعالى ، وهذا يتوافق مع القول بأن الله سبحانه اصطفاه لذاته حبيبا.

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن قتادة مرسلا عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣٢٠٨٥) ص٤٤٣.

ثانيا : الأدلة من السنة على أن صاحبها ﷺ هو المصطفى لذاته سبحانه حبيبا :

الدليل الأول : اجتمع نفر من الصحابة بالمسجد النبوى يتحدثون فقال أحدهم : هذا آدم صفى الله ،وقال آخر : وهذا إبراهيم خليل الله ،وقال ثالث : وهذا موسى نجى الله ،وقال رابع وهذا عيسى روح الله وكلمته ، فما يكون نبينا ﷺ وعليهم ؟ فسمعهم رسول الله ﷺ فآتاهم وقال لهم (قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نَجِىُّ الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، ألا ! وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر) [1].

ومعلوم أن هؤلاء الرسل الأربعة الكرام هم أحباء لله تعالى ، بل يحبهم الله تعالى أشد من كل الأنبياء والمرسلين ، لأن إبراهيم وموسى وعيسى ونوح هم الرسل الأربعة أولو العزم مع سيدنا محمد ﷺ وعليهم ، فعن أبى هريرة ﷺ (خيار ولد آدم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد) [2].ﷺ ، فكل رسول من هؤلاء الأربعة حبيب لله تعالى بل هم أكثر الخلق فوزا بحب الله عز وجل ، أما سيدنا محمد ﷺ فهو الأعظم فوزا بحب الله سبحانه وتعالى على الإطلاق ، فهو وحده الحبيب بألف ولام التعريف الاستغراقية، فلم يفز بلقب الحبيب سواه ، رغم أن غيره من الرسل محبوبين لله عز وجل ، إلا أن ما خص الله تعالى به كل رسول من هؤلاء

(١) أخرجه الترمذى عن ابن عباس كتاب المناقب باب فى فضل النبى ﷺ رقم (٣٦١٦) عن كنز العمال مجلد (١١) حديث رقم (٣١٩٧٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر عن كنز العمال مجلد (١١) حديث رقم (٣١٩٠٥).

الأربعة الكرام هو بالنسبة لعيسى عليه الصلاة والسلام روح الله وكلمته ، وبالنسبة لموسى عليه الصلاة والسلام نجى الله وكليمه ،وبالنسبة لنوح عليه السلام صفى الله، وبالنسبة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله ، وأما بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ فهو المتفرد بلقب الحبيب الذى يستتبع أن يكون أيضا الخليل والنجى والروح والصَّفِىَّ.

الدليل الثانى : يدل على هذا بصراحة وإحكام ما أخرجه البيهقى فى شُعَبِ الإيمان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (اتخذ الله إبراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذنى حبيباً ثم قال : وعزتى وجلالى لأوثرنَّ حبيبى على خليلى ونجى)[1]. فالحبيب ﷺ هو الخليل وهو النجى وهو الصفى لله عز وجل أيضا ، وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو حبيب وخليل ونجى وهكذا ، فالنجى حبيب لله تعالى حبا أقل من الحبيب المصطفى الرسول النبى ﷺ ، وإن كانوا محبوبين لله عز وجل أكثر من سائر الرسل والنبيين والملائكة وسائر الخلق أجمعين ما عدا الحبيب الأعظم ﷺ وآله وعليهم جميعا ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى فى هذا الحديث القدسى مُقْسِماً بعزته وجلاله ،بأن يؤثر حبيبه على خليله ونجيه.

الدليل الثالث : أخرج الدارمى وابن عساكر عن عمرو بن قيس بسنده أن رسول الله ﷺ قال (إن الله أدرك بى فى الأجل المرجو ، واختارنى اختيارا ، فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة ، وإنى قائل قولا غير فخر : إبراهيم خليل الله ،وموسى صفى الله ،وأنا حبيب الله ، ومعى لواء الحمد يوم القيامة ، وإن الله وعدنى فى أمتى وأجارهم من ثلاث : لا يفنيهم بِسِنَة[2] ،

(١) البيهقى / شعب الإيمان عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٩٣).

(٢)أى بمجاعة.

ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم على ضلالة)[1]. والسّنة هى الجماعة الشديدة المهلكة لشعب من شعوب الأمة.

فليس أوضحَ من هذا نصٌ صريح محكمُ الدلالة على أن سيدنا محمد ﷺ هو حبيب الله الأول ، أى أنه هو وحده الحبيب ومن ثم فتفسير قوله تعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الزمر: ٤. لا يتيسر إلا بتفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الزخرف: ٨١ - ٨٢. فهما حقا يدلان على أن الذى اصطفاه الرحمن فى الآية الأولى هو الموصوف والمشهود له من الله عز وجل بأنه أول العابدين ﷺ ، ولم يصطفه ليكون ولدا أو ابنا له سبحانه عز وجل وعلا عن هذا علوا كبيرا ، ولم يصطفه سبحانه حتى ليكون بالنسبة له بمثابة الولد أو الابن ، حاشا لله عز وجل ،وإنما اصطفاه سبحانه لذاته حبيبا ، إذ ليس فى الوجود من عبد لله عز وجل مثله ، وليس ثم مخلوق يسمى أصالة وبحق وبجدارة " عبد الله " إلا هو ، ولأنه ﷺ الأعبد لله عز وجل ، فهو أول العابدين الذى اصطفاه الله سبحانه وتعالى لذاته حبيبا ، ولأنه أول العابدين فهو العبد. "بالف ولام " التعريف الاستغراقية للعبودية.

فكل ما سوى النبى ﷺ خلقه الله عز وجل واصطفاه للنبى الذى هو عبده الأول ﷺ، أما النبى ﷺ فهو وحده المصطفى بألف ولام التعريف الاستغراقية لأنه وحده المصطفى لذاته سبحانه وتعالى حبيبا.

فهو العبد وهو الرسول وهو النبى وهو المصطفى وهو الحبيب له ﷺ وآله.وهو ليس مصطفى من الخلق ،ولكن الله تعالى خلق له الخلق على النحو

---

(١) عن كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣٢٠٨٠).

الذى ذكرناه،لأنه ﷺالعبد الأول ومن ثم فهو المخلوق الأول خلقه الله لذاته حبيبا وخلق النبيين أمة له وخلق الأمم الإنسانية للنبيين وخلق كل شئ للإنسانية فالحبيب ليس هو"مصطفى من"ولكن الكل "مصطفى له" وهو وحده مصطفى لله ﷺ ،ومن ثم جعله الله تعالى رحمته للعالمين فهو رحمة الله ،ورحمته تعالى سبقت كل شئ.

الفصل الرابع

الحبيب ﷺ هو المخلوق الأقرب إلى الله ﷻ

موضوع هذا الفصل هو إثبات أن العبد الرسول النبى المصطفى الحبيب هو الأقرب إلى الله ﷻ، ومكانته منه سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة لا ولم ولن يبلغها نبى مرسل ولا ملك مقرب، والأدلة على هذه الحقيقة المحمدية متعددة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أولا: الأدلة من القرآن الكريم :-

بادئ ذى بدء أذكّر وأُنبّه إلى أن مفهوم القرب من الله ﷻ هو قرب المكانة وليس المكان لأن الله سبحانه لا يُسؤل عنه ﷻ "بأين"ولا يُسؤل عنه "بمتى" ولا " بكيف "، كما لا يُسؤل عن فعله ﷻ"بِلَم" أو"لماذا" إلّا إذا كانت نية السائل من سؤاله ومقصده عن الحكمة من فعله جل وعلا ،فيكون السؤال: ما الحكمة من كذا؟

وحيث ان مسألة قرب العبد من ربه ﷻ ترتبط إرتباطا وثيقا بمسألة أخرى من مسائل التوحيد المختلف عليها بين السواد الأعظَم من الأمة من ناحية وبين بعض الفرق الخارجة على الأمة من ناحية أخرى ، وهى مسألة جوازالتوسل بالنبى والانبياء وبالصالحين إلى الله ﷻ ، وبالتشفع بهم لقبول الدعاء ،ومعلوم أن السواد الأعظم للأمة الذين هم على عقيدة النبى والصحابة والتابعين وتابعى التابعين يجيزون التوسل بالنبى ﷺ والصالحين لذا فإن الأدلة القرآنية على القرب من الله ﷻ بالنسبة لعباده الصالحين بعامة وبالنسبة لعبده الحبيب بخاصة سنتوقف عندها بشئ من التفصيل الذى يُتيح لنا الوصول إلى الحكم الصحيح فى مسالة التوسل ،وهو الذى سيكون مساعدا فى فهم قضيتىْ الإصطفاء فى الدنيا والصلاح فى الآخرة.

الدليل الأول: أما الدليل الأول على أن سيدنا محمد ﷺ هو الأقرب لله عز وجل مطلقا فهو قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ البقرة: ١٨٦. فقوله سبحانه وتعالى (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب....) أى وإذا سألك عبادى عنى ياحبيبى يا محمد، فإنى قريب، أى فليعلموا أنى قريب.

قريب ممن سبحانه وتعالى ؟

هل هو قريب من هؤلاء العباد ؟ إذا كانت الإجابة بنعم ،وهى كذلك، فمن هم الذين يصدق عليهم اسم (عبادى) أو وصفهم به؟

هم الذين ليس للشيطان أو إبليس عليهم سلطان لقول الله عز وجل له ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ الحجر: ٤٢ ، وقوله تعالى له أيضا ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾ الإسراء: ٦٥ .فإذاً الذين ليس لإبليس عليهم سلطان ،هم جميعا مستجابوا الدعوة لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

فهل كل من يصدق عليهم وصف (عبادى) يستجيب الله عز وجل دعاءهم؟

نعم: ولكن بثلاثة شروط:

أن يستجيبوا الكل أوامره سبحانه ويؤمنوا تمام الإيمان، ويرشدوا كمال الرشد لقوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ حينئذ يكونوا على الدرجة من القرب منه عز وجل التى يجيب لهم فيها دعاءهم.

فهل كل المسلمين أو كل المؤمنين مستجابوا الدعوة ؟

وهل كل الصالحين إستجابوا لله عز وجل الاستجابة التامة الكاملة حتى إمتنعوا عن كل المعاصى والذنوب ،واستجابوا لأوامره سبحانه كلها بالطاعة الكاملة التى لا تشوبها شائبة ؟

بالقطع لا .إذاً فالمعنى الدقيق لقوله سبحانه وتعالى (فإنى قريب) أى قريب منك يا محمد، بدليل أنه عز وجل جعل النبى ﷺ بينه وبين عباده فى هذه القضية ، فلم يقل سبحانه : يا عبادى إذا سألتمونى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى منكم إذا دعانى، فكان من البديهى أن يكون معنى (فإنى قريب) أى قريب منكم ومن كل من يدعونى فأجيبه ، أما وقد قال عز وجل لرسوله وحبيبه ﷺ (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) فقد جعله برزخا بينه وبين عباده من ناحية العبد إلى ربه وليس من ناحية الرب إلى العبد ، لأنه من حيث صلة الرب على العبد هو اقرب إليه من حبل الوريد (وهو معكم أينما كنتم) لكن القضية هى قرب العبد من ربه، وليست قرب الرب من العباد.ومن ثم جعل النبى ﷺ برزخا بينه وبين عباده فى قضية الدعاء ليكون ﷺ وسيلة لعباده إليه سبحانه فالمعنى يكون على سبيل اللزوم قريب منك يا محمد.

ومن ثم تصبح الآية الكريمة دعوة لمن دعى الله تعالى من عباده ولم يستجب له سبحانه، أقول دعوته إلى أن يتوسل بالمصطفى الحبيب الأقرب إليه من كل عباده ﷺ.

أما الذى يستكبر عن التوسل والتشفع به ﷺ فهو ممن يعتقدون أن درجة قربهم من الله عز وجل هى درجة قرب حبيبه ﷺ منه سبحانه وتعالى، ومن ثم يُحرِّم على نفسه وعلى وغيره التشفع به والتوسل بهﷺ فى سؤال الله تعالى.

بل إنهم يعتبرون هذا شركا مخرجا من الملة ،وأقل ما يُرد به على هذه العقيدة الفاسدة، أنها من سفه العقول لأن الملائكة عليهم السلام أو الجن ، كما أخبر

الله تعالى عنهم (.... يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب...) أى أنهم يسألون عن الأقرب منهم لله عز وجل أو أقرب الخلق إليه عز وجل ليتوسلوا به إلى الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾ الإسراء: ٥٣ – ٥٧. وتفسير وتفصيل هذه الآيات الواضحات المحكمات يثبتان : أن الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله عز وجل (عبادى) بأن الشيطان ينزغ بينهم ، ومن ثم يبعدهم بهذه النزغات عن الله عز وجل ، وأن من يظن فى نفسه منهم، أنه الأقرب إلى الله أو حتى أنه قريب من الله قربا يؤهله أن يستجيب الله له دعاءه ،فقد أخطأ لأنه يكون فى هذه الحالة قد زَكَّى نفسه على الله ،والله عز وجل نهى عباده عن أن يزكُّوا أنفسهم فقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) ﴾ النجم: ٣٢. فتدبر قوله عز وجل بأنه سبحانه وتعالى أعلم بعباده بدءا من إنشائهم من الأرض مرورا بمرحلة الأجنة فى البطون ثم بالطفولة إلى مرحلة الرشد ثم إلى مرحلة الاختيار والابتلاء وارتكاب الذنوب والمعاصى أو الطاعات ، ومن ثم نهانا سبحانه عن أن نُزكِّى أنفسنا ،لأنه عز وجل أعلم بنا من علمنا بأنفسنا ،بل إنه سبحانه وتعالى يجعل تزكية النفس من خصائص المشركين فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ النساء: ٤٨ – ٥٠ . فجعل سبحانه تزكيه العبد لنفسه نوعا من افتراء الكذب على الله عز وجل ،ومن ثم فقد نهى سبحانه عن تزكية العبد لنفسه .

فإذا علمنا أن العبد لا ينتهى عن تزكية نفسه ،إلا إذا جعل ذنوبه ومعاصية أمامه وبين عينيه دائما،فيديم الاستغفار منها ، أما طاعاته لله عز وجل فيجعلها خلفه بين الخوف والرجاء ، أى خوف العبد من ردها عليه، ورجائه فى أن تُقبل بفضل الله وبرحمته وبإحسانه، وليس بسبب حول العبد وقوته ، إذا علمنا هذا ، فإن العبد الذى يُزَكِّى نفسه يجعل معاصيه وذنوبه وآثامه خلف ظهره، ويجعل صلاته وقراءته وصومه أمامه ،موقناً بقبول الله عز وجل لها ، ومن ثم يرفع درجة نفسه عند الله عز وجل بهذه الطاعات ، مستبعدا عن نفسه الوقوع فى الآثام والخطايا لمجرد أنه تمسك من الطاعات بقشورها [1] ، وما يخص مظاهرها وظواهرها المتمثلة فى الأعضاء البدنية الظاهرية كإعفاء اللحية وقص الشارب وتقصير الثوب وإبراز "زبيبة" السجود فى أعلى

(١) كتب أحد وابرز رؤوس هذه الفتنة كتيبا بعنوان (بدعة تقسيم الدين إلى لب وقشور)وأقل ما يُرَدُّ عليه به هو أن الإنسان جسد وروح وأعضاء وقلب وظاهر وباطن وبتعبير سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ البرانية والجوانية ولكل من هذين الجانبين للإنسان تشريعات إسلامية ، ومن ثم فللجوارح عبادات وأولها المحافظة على الصلاة ، وللقلوب والأفئدة والأرواح عبادات ، أهمها الخشوع فى الصلاة ، فثم سجود للقلب غير سجود الأعضاء ، وهذا المفتون الذى كتب هذا الكتيب التافه الضال لا يعرف أن للقلوب أعمالاً وأحوالاً تزكوا بها النفوس.

الجبهة والحرص الشديد على إتقان قراءة القرآن وبصفة خاصة فى الصلاة الجهرية .

وأمثال هؤلاء عندهم دأبٌ على تصيُّد الأخطاء بحق وبغير حق لغيرهم من الدعاة والعلماء ، بل يسعى بعضهم إلى أن يَتَسَقَّطُوا غيرهم ، أى يوقعونهم فى الخطأ ،إستعلاء عليهم وإظهارا لجهلهم وإبرازا لعلمهم هم ، وكثيرا ما يكون إعتمادهم على هذا بأن يُضَعِّفُوا الأحاديث النبوية الشريفة التى يسمعونها من علماء الإسلام الذين لا يوافقونهم على مذهبهم، وهذا كله من أحوال المزكى لنفسه، أحواله النفسية والسلوكية .

أما بالنسبة لأثر خطيئة تزكية النفس على عقيدة المزكى لنفسه، فإن هذا يتمثل أعظم ما يتمثل فى إنكار الشفاعة مطلقا فى الدنيا والآخرة ،ويصر على أن الحساب ومصير العبد فى الآخرة يتوقف على عمله فقط فى هذه الحياة الدنيا ،ومن ثم فهو ينكر وجود شفاعة للأنبياء والأولياء والصِّدِّيقين عند ربهم لإجابة الدعاء ،سواء كان لأنفسهم أو كان الدعاء لغيرهم بمن فيهم رسول الله وحبيبه ﷺ ، فينكرون كل أحاديث الشفاعة التى أثبتت شفاعة الرسول العظمى لأهل المحشر يوم الدين لإقامة الحساب ، وينكرون شفاعته لأهل الكبائر من أمته الظالمين لأنفسهم ، وينكرون شفاعة الشهيد لسبعين من أهله يوم القيامةوينكرون ما ورد من شفاعة المؤمن لعدد من أهله قدردرجةإيمانه وهكذا،ومن ثم يقصرون تحديد مصير العبد يوم الدين على عمله فقط[1] .

---

(١) من هؤلاء الدكتور مصطفى محمود فى مقالات له بجريدة الأهرام ، وهو لم ينكر الشفاعة فقط ،وإنما أنكر السنة النبوية الشريفة أقوالا وأفعالا وأحوالاً وقال ان الله تعالى وعد بحفظ القرآن ولم يعد بحفظ البخارى. وقد قمت بعون الله تعالى وفتحه بالرد على أباطيله بانكار السنة والشفاعة فى كتاب نشرته جريدة التصوف الإسلامى هدية مع العدد الشهرى بعنوان(الشفاعة بين المثبتين والمنكرين)

أما فى الدنيا فأقل أثر للمزكى لنفسه على عقيدته هو إنكار شفاعة النبى ﷺ للمسلمين فى حياتهم الدنيا سواء فى حياته ﷺ أو بعد مماته ﷺ، أى أنهم يحرمون على المسلم التوسل بالنبى ﷺ رجاء فى أن يستجيب له الله تعالى ويحقق له طلبه، بل إن هؤلاء المزكين لأنفسهم يحكمون بالشرك المخرج من الملة على من يتوسل بالنبى ﷺ أو بالصِّدِّيقين أو بالشهداء أو بالصالحين، وليس ذلك إلا لأنهم بتزكيتهم لأنفسهم جعلوا أنفسهم على مستوى واحد من القرب لله ﷻ مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحجتهم فى هذا قول الله ﷻ (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب...) بفهمهم السقيم إذ فسروا قوله تعالى (فإنى قريب) أى من كل العباد، فليس ثم أدنى اختلاف بين قرب عبد وقرب آخر من الله عز وجل.

ومن ثم وجدنا هذا السياق السابق ذكره من سورة النجم الذى أثبت فيه الله عز وجل أن الشيطان ينزغ بين عباده، وأنه سبحانه أعلم بمن فى السماوات والأرض، ومن ثم فلا تزكوا أنفسكم وأنه حتى النبيين صفوة الإنسانية وأكمل البشر فإنهم ليسوا على درجة واحدة من القرب لله عز وجل فقال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥ ﴾ الإسراء: ٥٥، ومن ثم فداود عليه الصلاة والسلام أقرب من كثير من النبيين إلى الله عز وجل، لأن التفضيل والتقريب متلازمان، فكلما كان العبد عند الله أفضل وأكرم كان أقرب والعكس صحيح. ومن ثَمَّ فإن المرسلين جميعا وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أقرب من النبيين جميعا.

ومع هذا فبين الرسل تفاضلا أيضا قال تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا

جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة: ٢٥٣.

كما أن أقرب هؤلاء الرسل إلى الله عز وجل الخمسة أولوا العزم من الرسل صلى الله عليهم جميعا وسلم ، أما الأقرب إلى الله عز وجل على سبيل الإطلاق فلا أقرب منه إليه فهو حبيب الله ﷺ ،ومع هذا فإن هؤلاء المتُهَوِّكين[1] المزكِّين لأنفسهم يروْن أنهم على مستوى واحد من القرب لله عز وجل معه ﷺ ، ومن ثم ينكرون التوسل به ،وبالمرسلين والنبيين والصدِّيقين.

كما أنكر الغلاة من هؤلاء المزكِّين لأنفسهم الشفاعة مطلقا فى الدنيا والآخرة بسوء فهمهم وتفسيرهم لقوله تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب..) فى حين أن التأويل الصحيح دليل على جواز التوسل بالنبى ﷺ ، فأما الذى يفهم منها أن الله عز وجل قريب من كل العباد بنفس المستوى أو الدرجة ، فإنه يقرر بأن المسلمين جميعا على درجة واحدة فى الإيمان والطاعة ،ومكانتهم من رب العالمين سبحانه واحدة ،وهذا محال لإختلاف الناس فى كل هذا ،كما رأينا حتى بين المرسلين والنبيين والشهداء والعلماء والصالحين ، ومن ثم فمن يدعو الله تعالى زمنا طويلا لتحقيق أمر هام فى حياته ولا يجد استجابة ،أفليس هذا دليلا على أنه ليس قريبا من الله بالدرجة التى تجعله ممن قال الله فيهم (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ؟

فهل كل المسلمين استجابوا ويستجيبون وسيستجيبون لله تعالى بدرجة واحدة ؟

وهل كل المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل يؤمنون بدرجة واحدة؟

---

(١) المتهوِّك هو المتسارع المندفع فى القول بدون رَوِيَّة

وهل يتحقق لهم الرشد المرجو من هذه الاستجابة وهذا الإيمان بمستوى واحد وبدرجة واحدة من الرشد أيضا بحيث صاروا ويصيرون جميعا مستجابى الدعوة ؟

بالقطع لا ، لأن الرشد أيضا على درجات من القرب لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤ ، أى لأقرب من هذا الهدى الذى انتّ عليه رشدا لان الرشد غاية الهدى.

ومن ثم لا يمارى إثنان فى أن مستجابى الدعوة قليلون جدا من المؤمنين ،بل ومن الصالحين الراشدين أيضا. وهذا يدل على أن أكثر الناس ليسوا على درجة من القرب من الله سبحانه وتعالى تجعلهم مستجابى الدعوة، ومن ثم فمنهم الذين فى حاجة ماسة إلى أن يتوسلوا بمستجابى الدعوة سواء من الأحياء أو من أهل البرازخ الذين كملوا فى الإيمان وفى الرشد وفى مقدمتهم المرسلين ثم النبيين صلى الله عليهم وسلم وعلى رأسهم جميعا سيدنا ومولانا عبد الله الأول ورسوله الأوحد ومصطفاه لذاته حبيبا سيدنا محمد ﷺ ،وذلك لأن الله عز وجل قريب من عباده ومعهم إلا أنهم هم الذين يبتعدون بأنفسهم عنه سبحانه بخطاياهم ، كما توسّل آدم عليه السلام بعد معصيته بسيدنا محمد ﷺ فغفر الله تعالى له مع أنه نبى مُكَلَّم فمن الذى ينكر بعد هذا شرعية التوسل به ﷺ.

إن العجب كل العجب من قوم هم الجيل المعاصر من الخوارج سفهاء الأحلام يحتجُّون على مذهبهم الفاسد القائل بتحريم التوسل بالحبيب ﷺ بنفس الآية التى ينبثق من تفسيرها الصحيح جواز التوسل به ﷺ ، بل ربما وجوب التوسل به ، إذا لم يجد العبد الداعى من الله تعالى إجابة وقبولا لدعائه

، فإنه يكون حينئذ قد علم أنه بسبب معاصيه وذنوبه لم يصل إلى درجة القرب من الله عز وجل ،التى ينال بها إجابة دعائه المتكرر الطويل ، لأنه هو الذى لم يستجب لله عز وجل بالطاعة ودرجة الإيمان الكافيَيْن للإجابة ، حسب سنة الله عز وجل فى استجابته سبحانه وتعالى للدعاء من المؤمنين ، فجعل الله عز وجل لحكمة شاءها سبحانه التوسل إليه عز وجل بالمرسلين والنبيين والصديقين أحياءاً ومنتقلين ، بسبب قربهم من الله عز وجل وحب الله عز وجل لهم بعامة ، وبسيدنا رسول الله وحبيبه بخاصة أقول : جعل سبحانه التوسل إليه بأحبابه سببا لإجابة الدعاء ، والحكمة هى أن يعلم المؤمنون ،بل ويوقنوا بأن طاعة هؤلاء المرسلين والنبيين والصديقين هى التى أهلتهم لقبول شفاعة الله تعالى منهم، لهؤلاء المؤمنين، فيكون هذا باعثاً لهم على اتخاذهم أسوة حسنة فى الإيمان والقول والعمل والطاعة بعامة وفى الإمتناع عن الذنوب والمعاصى وتقوى الله تعالى بخاصة.

ومن ثم فإن المؤمن إذا توسل فى الدعاء أو إذا دعى متوسلا ، فإنه يجب عليه أن يتوسل بمن يعلم أنه أقرب أو الأقرب إلى الله عز وجل.

ومن ثم فلا الملائكة ولا الجن الذين عبدهم بعض الجاهليين وإتخذُوهم آلهة واعتقدوا أنهم أربابا قبل الإسلام، ظانين بأن اتخاذهم آلهة وأربابا تَقَرُّبًابعبادتهم إلى الله تعالى زلفى متوسلين إلى الله تعالى بهم ، أقول قد أثبت الله تعالى الضلال البعيد الذى كان فيه هؤلاء الجاهليون ، إذ أن هؤلاء الجن أو الملائكة لم يكونوا الأقرب إلى الله تعالى لأن هؤلاء الجن بعد أن أسلموا وآمنوا ومن قبلهم الملائكة كانوا يتحرُّون عن المقرَّبين من الله عز وجل، ويسعون لمعرفة الأقرب ليتوسلوا به إليه سبحانه، وهذا واضح من قوله عز وجل عن الجن والملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يُأَلِّهونهم ويعبدونهم مع الله عزوجل أن هؤلاء المعبودين لهم من دون الله كانوا يبتغون

إلى ربهم الوسيلة أَيُّهم أقرب ، فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الإسراء: ٥٦. لماذا ؟

لأنهم عبيد أمثالكم ضعفاء وهم أنفسهم محتاجون لكى يجاب دعاؤهم إلى أن يتوسلوا بالمقربين بحق ،أو بالأقرب إلى الله عز وجل بحق، ومن ثم فهم يَتوخُّون الأقرب لكى يتوسلوا به، فقال تعالى بعد هذه الآية مباشرة (﴿ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٧،فهم يبتغون إلى ربهم الاقرب ليجعلوه وسيلة لربهم وليس ليعبدوه ويتخذونه إلها إذ ثمَّ فرق وإختلاف وتباين كبير بين العبادة التالية من ناحية وبين إتخاذ الأقرب وسيلة إلى الله من ناحية أخرى.

فقوله تعالى عن هؤلاء الملائكة أو الجن الذين أسلموا وآمنوا والذين كانوا معبودين من الجاهليين، أنهم كانوا يَتوخُّون الأقرب إلى الله ليتخذوه وسيلة إلى ربهم رجاء رحمته وخوفا من عذابه عز وجل ، فهذا دليل قرآنى محكم الدلالة على مشروعية ابتغاء الوسيلة إليه سبحانه وتعالى مع الاعتقاد أن المتوَسَّل بهم عبيدُ لله ﷻ، ولكنهم مقربون له سبحانه ، لكن من الخيبة والضلال أن يعبد المشركون هؤلاء الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، إعتقادا باطلا وزائفا منهم ،لأن الذين ظنوا فيهم أنهم الأقرب وأنهم مستحقون بهذا للعبادة وبالدعاء، وهم عباد ضعفاء يبحثون عَمَّن يتخذونه وسيلة إلى ربهم لقبول دعائهم مثلهم ،فلا شك أنهم كانوا فى ضلال بعيد ،فقوله تعالى عن الملائكة أوالجن المسلمينُ أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب دليل على مشروعية توسل العبد إلى الله عز وجل لإجابة دعائه بمن

يتيقن أنه قريب إلى الله تعالى ، أو أقرب منه إلى الله عز وجل ، أو الأقرب منه إليه سبحانه وتعالى.

وذلك لأن جمهور المفسرين قالوا عن هؤلاء الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب أي يسألون ويتحرون ويتوخُّون الأقرب للتوسل به وقالوا عنهم أنهم كانوا ملائكة وفريق مسلم من الجن كان الجاهليون يعبدونهم ، وحيث قد سكت القرآن عن توسلهم هذا ولم يعقب فهو إذاً مشروع لأن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ثم فلا تذكر فيه ضلالة إلا بَيَّنَ ضلالها ، والملائكة لا يرتكبون ضلالة ولا يفعلون معصية (أي أن قوله تعالى عنهم أنهم (يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.....) هو في حد ذاته تشريع للمسلم بتحرى الأقرب إلى الله تعالى للتوسل به إليه.

الدليل الثاني : وهو قوله عز وجل ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ الأعراف: ٥٦ فقوله تعالى " إن رحمة الله قريب من المحسنين " يحتاج لوقفة ، لأن الصفة في لغة العرب تتبع الموصوف في الإعراب وفي " التذكير" والتأنيث " ولفظ "رحمة" مؤنث وهو مبتدأ وخبره " قريب" بمعنى الصفة " ورحمة الله " هو الموصوف ، ولفظ " قريب " خبر بمعنى صفة ، لكنه مُذَكَّر وكان ينبغي أن يكون مؤنثا فتكون الجملة هكذا : " إن رحمة الله قريبة من المحسنين " فما دلالة هذا الاختلاف الظاهري مع هذه القاعدة النحوية ؟

الإجابة هي أن لفظي "رحمة الله " اسم لشخص مذكر هو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ الذي قال له الله عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ الأنبياء: ١٠٧ فهذا حصر وقصر للحكمة من خلق الله عز وجل له ، والرحمة للخلق حقيقة كونية ،وليست تبليغية فقط ،وبخاصة

أنها لكل الخلق ،ومن ثم قصر الله عز وجل حقيقته ﷺ وحصر وجوده فى أنـه سبحانه خلقه لحكمة ،وهى أن يكون رحمة لكل ما سواه من خلق الله تعـالى ، وبهذا أيضا فسر النبى ﷺ الغاية من وجوده ومفسرا لهذه الآية الكريمة بقولـه ﷺ (إنما أنا رحمة مهداة)[1].

فهو رحمة الله لكل الخلق لكنه أقرب ما يكـون للمحـسنين، فجـاءت الصفة مذكرة لأن لفظ " قريب" فى الآيـة خـبر إن مرفـوع فى موقـع الـصفة لرحمة الله الذى هو ﷺ ، ومن ثم جاء لفظ قريب بصيغة التذكير لأنه صفة لـه ﷺ ، والمحسنون أعلى طبقة من طبقات الإيمان فوق المؤمنين والمسلمين فـإذا تساءلنا عن المقـربين الـوارد ذكـرهم فى قولـه تعـالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ الواقعة: ١٠ – ١٤. إذا تساءلنا عن هؤلاء المقربين قائلين : لمن هم مقربون ؟ هل هم المقربون لله عزوجل ؟ أم هم المقربـون لعبـد الله ورسـوله وخليلـه وصفيه وروحه الكلى وحبيبه ﷺ ؟! لكانت الإجابة هى : إذا قلنا أن المقـربين هم المقربون إلى الله عزوجل ،لكانت إجابة صحيحة. وإذا قلنا أنهم المقربـون إلى عبده ورسوله وحبيبه ﷺ لكانت أيضا صحيحة ،لماذا ؟

لأن هؤلاء المقربين هم أصحاب الطبقة الأعـلى مـن أهـل الإسـلام وهم المحسنون ،والمحسنون هم بنص الآية القريبون من رحمـة الله ورسـوله وحبيبه ﷺ الذى هو أقرب الخلق إليه سبحانه ،بـل الأقـرب مطلقـا،ومن ثـم فكل من كان قريبا منه ﷺ هو قريب من الله عز وجل ، لأن حبيبه هو الأقرب بحيث قد إنمحى ما بينه وبين هذا الحبيب من البـيْن :و عليـه فـالمقربون هـم مقربون من الله تعالى بقدر قربهم من حبيبـه وعبـده الأول ﷺ ، إلا أنـه لـيس

(١) ورد بلفظ (يا أيها الناس :إنما انا رحمـة مهـداة) كـنز العمـال مجلـد(١١) برقم(٣٢٠٩٨)وعزاه للحاكم على شرطهما وابن عساكر عن أبي هريرة

أحدٌ أقرب إلى الله عز وجل منه ﷺ ، لأن الحبيب هو الأقرب على الاطلاق، قال تعالى موضحا الفرق فى القرب بين أهل اليمين والمقربين ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ الواقعة: ٨٨ - ٩١. فتدبر قوله سبحانه وتعالى عن أصحاب اليمين :أنهم يرسلون السلام لك ياحبيبى يا محمد ، أما بالنسبة للمقربين فهم فى روح منك وريحان وفى جنة النعيم التى أنت فيها، فهم معك ، لأن المحبين إذا كانوا فى معية دائمة مع حبيبهم ينعمون بقربه ، فإنهم بلا ريب لا يرسلون السلام إليه، لإن إرسال السلام، لا يكون من الأحبة إلا إذا كانوا على البعد.

وهذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه ﷺ الأقرب إلى الله عز وجل ، وهذا متوافق مع كونه ﷺ هو وحده عبد الله المصطفى لذاته حبيباً ونبياً ورسولاً للعالمين بالرحمة ورسولا بالرسالة التبليغية والنبوة للرسل والنبيين المصطفون له أمة أحمدية ،ورسولا خاتما إلى خاتمة الأمم أمة محمدية مصطفاة له ولوراثة كتاب الله تعالى الخاتم لكتبه والمصدق لها.

وهنا ينكشف لنا سر لفظ "الصالحين" الذين حرص المرسلون والنبيون ان يكونوا منهم بدعائهم (والحقنى بالصالحين) و(وأدخلنى فى الصالحين) إذ يكون معناه(المقربون منك يا محمد)لأنهم إذا صاروا كذلك صاروا أقرب ما يكونوا من الله ﷻ فى الفردوس الأعلى،ويتحقق بهذا معنى الإصطفاء للأنبياء أمة أحمديّة له فى الدنيا وإدخالهم فى الصالحين فى الآخرة فالسابقون السابقون من أمته ﷺ المحمدية،وهم ثلة من أول الأمة وقليل من آخرها ،أسأل الله تعالى أن يجعلنى منهم بسابقة الحسنى منه سبحانه وتعالى وليس بعلم منى أو بحال أو جهود، آمين يا رب العالمين بجاه نبيك الكريم ﷺ

ثالثا : الأدلة من السنة الشريفة على أنه ﷺ أكرم الخلق على الله عز وجل،وأقربهم إليه.

أولا: أخرج أبو نعيم وابن منده وابن عساكر بمسنده عن عبد الرحمن ابن غنم الاشعرى أن رسول الله ﷺ قال (سلَّم على ملك ثم قال لى : لم أزل أستأذن ربى عز وجل فى لقائك حتى كان هذا أوان أذن لى فإنى أبشرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك) (١).

وهذا نص صحيح صريح محكم الدلالة على أنه ﷺ أكرم الخلق على الله عز وجل ،وهو يتوافق مع كونه أعبد الخلق لله ،وأول المسلمين وأول المؤمنين وأتقى المتقين وأول العابدين الرسول النبى المصطفى لذاته حبيبا ،وهو الاتقى على الإطلاق ، ومن ثم فمكانته عند الله تعالى لا يبلغها ملك مقرب ولا نبى مرسل.(٢)

ثانيا : عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من كرامتى على ربى عز وجل أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى) (٣).

وهذا لم يكن لغيره حتى الرسل الأربعة لأنه قد ثبت أن الله تعالى بَرَّأ موسى عليه الصلاة والسلام مِمَّارماه قومه به من أذى فى جسده ،فأمر الحجر أن يأخذ ثيابه ويطير إلى أن وصل إلى قوم موسى وهم يغتسلون وموسى عليه

---

(١) عن كنز العمال مجلد ١١ ص٤٥١ حديث رقم (٣٢١٢٣).

(٢) كذبت الشيعة الإمامية إذ قالوا إن مكانة الإمام لا يبلغها نبى مرسل ولا ملك مقرب وخسروا وخابوا إذ خالفوا الله تعالى ورسوله ﷺ ،وهذا ثابت مشهور ومذاع عن إمامهم إمام الضلالة الخمينى..

(٣) الجامع الكبير للسيوطى وأورده صاحب الكنز بمجلد رقم(١١) حديث رقم (٣٢١٣٤) وقال السيوطى أخرجه الطبرانى فى الأوسط والخطيب وسعيد بن منصور فى سننه وابن عساكر.

الصلاة والسلام يجرى خلفه عاريا ويقول: ثوبى حجر حتى رآه قومه وثبتت براءته، ومن ثم فقد رأى قوم موسى – وهو الكليم – سوأته.

ثالثا : وعن أنس ﷺ أيضا قال قال رسول الله ﷺ (أنا أول الناس خروجا إذا بُعثوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) (١).

وحيث أن الآدمية أكرم أنواع الخلق بدليل اصطفاء آدم على العالمين ، فإنه ﷺ يكون أكرم الخلق قاطبة، كما جاء صراحة فى الحديث الأول.

رابعا : أورد الإمام السيوطى فى الجامع الكبير أيضا ما أخرجه الديلمى عن جابر ﷺ عن النبى ﷺ قال (أنا أشرف الناس حسبا ولا فخر ، وأكرم الناس قدرا ولا فخر أيها الناس من أتانا أتيناه ، ومن أكرمنا أكرمناه ، ومن كاتبنا كاتبناه ، ومن شيَّع موتانا شَيَّعنَا موتاه ، ومن قام بحقِّنا قمنا بحقه.

أيها الناس : حاسبوا الناس على قدر أحسابهم ، وخالطوا الناس على قدر أديانهم ، وأنزلوا الناس على قدر مُرُوَّاتِهم ، وداروا الناس بعقولكم) (٢).

فقوله ﷺ عن نفسه انه اشرف الناس حسبا وأكرمهم قدرا يفيد أيضا أنه أكرم الخلق قاطبة لأن الإنسان أكرم الأنواع ، ومن ثم يكون أكرم الناس هو الأكرم مطلقا.

خامسا : كتب الإمام السيوطى رحمه الله فى الجامع الكبير ما أخرجه ابن سعد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ وعن أم سلمة رضى الله

---

(١) الجامع الكبير للسيوطى عن الدارمى والترمذى وقال حسن غريب وهو فى كنز العمال ح١١ برقم (٣٢٠٤٥).

(٢) أخرجه الديلمى عن جابر عن كنز العمال مجلد رقم(١١)حديث رقم(٣٢٠٨٤).

عنها وعن أم هانئ رضى الله عنها وعن ابن عباس ﷺ وقال السيوطى " دخل حديث بعضهم فى حديث بعض أن رسول الله ﷺ قال (حُمِلْتُ على بيضاء بين الحمار وبين البغل فى فخذيها جناحان تحفز بهما رجليها ، فلما دنوتُ لأركبها شَمَسَتْ فوضع جبريل يده على معرفتها[1]. ثم قال : ألا تستحين يابراق مما تصنعين ؟ والله ما ركب عليك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه ، فاستحْيَتْ حتى إرفضَّت عرقا ، ثم أقرَّت حتى رَكِبْتُهَا ، فعلقت بأذنيها وقبضت الأرض حتى كان منتهى وقع حافرها طرفها ، وكانت طويلة الظهر طويلة الأذنين ، وخرج معى جبريل لا يفوتنى ولا أفوته ، حتى إنتهى بى إلى بيت المقدس ، فانتهى البراق إلى موقفه الذى كان يقف ، فربطته فيه ، وكان مهبط الأنبياء. ورأيت الأنبياء جُمِعُوا إلىَّ ، فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى فظننت أنه لابد أن يكون لهم إمام ، فَقَدَّمنى جبريل حتى صلَّيتُ بين أيديهم ، وسألتهم فقالوا : بُعثنا للتوحيد) [2].

أليس كل هذا يتوافق مع بعضه بعضا ؟ اى كونه ﷺ الأعبد مطلقا لله عز وجل ،والأحب مطلقا إلى الله سبحانه وتعالى ، والأقرب مطلقا إلى الله جل وعلا فلم يكن أقرب منه أحدٌ من الرسل أولى العزم إلى الله ﷻ فَأَمَّهم فى صلاتهم أى وهم بين يديه ﷻ لإمامته ﷺإياهم صلى الله عليهم جميعا وسلم، وهذا ما يتوافق مع كونه ﷺ، هو الأكرم مطلقا على الله سبحانه وتعالى، والأقرب مطلقا إليه.

---

(١) معرفتها منبت العرف من رقبة الحصان وفى الحديث (ما أكلت لحماً أطيب من منبت عرف البرزون) النهاية (٣١٨/٣).والبرزون هو الحمار الوحشى

(٢) انظر كنز العمال مجلد ١١ حديث رقم (٣١٨٥٢).

الباب السادس

رسول الله ﷺ هو وسيلة النَّبيِّين والذين مِنْ دونهم لرؤية الله ﷻ في الفردوس الأعلى

الفصل الأول

الصلاح فى الدنيا لدخول الجنة،
والصلاح فى الآخرة للمزيد اللدنى

الفصل الثانى

رسول الله ﷺ هو البرزخ بين الحق سبحانه
وبين الخلق فى الدنيا بالرحمة، وفى الآخرة بالوسيلة.

الفصل الثالث

تقدس وتنزه وتعالى الله عن أن تحدُّه صورة
أو تُقَيِّده هيئة ثابتة معلومة لأحد من خلقه.

الفصل الرابع

الصالحون فى الآخرة هم الذين زكت نفوسهم،
فصاروا أهلا لنيل إذن صاحب الوسيلة ﷺ لرؤيته ﷻ فى الجنة.

الفصل الخامس

الصالحون للرؤية لا يتساوون فى النظر إليه تبارك وتعالى، وإنما هم فيها ذووا مقامات ومراتب، بحسب قرب كل منهم من صاحب الوسيلة ﷺ

الفصل الأول
الصلاح فى الدنيا لدخول الجنة والصلاح فى الآخرة للمزيد اللدنى

علمنا أنه لم يرد ذكر اسم رسول الله ﷺ وآله فى قائمة أسماء معشر النبيين المصطفين الأخيار، وعلمنا أن الحكمة من هذا، أنهم مصطفون له ﷺ، كما علمنا أنه لم يرد ذكره ﷺ فى قائمة الصالحين فى الآخرة أيضا، لأن دلالة لفظ " الصلاح " فى الآخرة غير دلالته فى الدنيا، ومن ثم قرأنا فى كتاب الله ﷻ عن بعض الرسل والنَّبِيِّين دعاءهم بأن يلحقهم الله ﷻ بالصالحين، وبأن يدخلهم فى الصالحين فى الآخرة، ولم ترد البشرى لأحدهم بأنه من الصالحين فى الآخرة بطريقة مباشرة صريحة ومتكررة، إلا لخليل الله إبراهيم ﷺ وآله، فلم ترد البشرى هكذا حتى لموسى ولا لنوح ولا لعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام، مع أنهم موصوفون بأنهم من أولى العزم من الرسل صلى الله عليهم وسلم.

أما رسول الله ﷺ وآله فقد نزل فيه قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الأعراف: ١٩٦ فتفرد ﷺ وآله بولاية إلهيه ربانية مُؤَكَّدَة خاصة به منفردة عن الولاية الربانية العامة لكل الصالحين، والدليل على هذا ربط ولاية الله تعالى له بتنزيل الكتاب عليه، وحيث أن هذا الكتاب جامع لما سبقه من الكتب ومصدق لها، فإن ولاية الله تعالى له تعدل ولايته لكل الصالحين بل وتزيد، كما أن ما أنزله عليه يعدل كل ما نزل من الكتب قبله، وحكمته جامعة لحكمة النبيين من قبله ﷺ وعليهم جميعا بل وتزيد.

ومن ثم نجد للرسل والأنبياء فى كتاب الله ﷻ الآيات التى تنسبهم للصالحين فى الدنيا أو الآخرة.

فبالنسبة لسيدنا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام جاء البيان بأنه من الصالحين حين بشرت الملائكة أمه به فى قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ

إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥ – ٤٦.

لكن لم يرد النص على أنه من الصالحين فى الآخرة مثل البشارة لسيدنا إبراهيم ﷺ، وبالنسبة ليحيى عليه السلام جاءت البشرى أنه من الصالحين، وهذا حين بشرت الملائكة أباه زكريا عليه السلام به فى قوله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ٣٩ فقوله تعالى (ونبيا من الصالحين) أنه ثم أنبياء ليسوا من فئة الصالحين الأمر الذى يثبت أن لفظ " الصالحين " يدل على فئة من الأنبياء متميزة فى الآخرة.

وفى سورة الأنعام بشرى لزكريا ويحيى وعيسى وأنبياء آخرين معهم بأنهم من الصالحين فى قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنعام: ٨٤ – ٨٥.

ومع هذا فإن يوسف عليه السلام يجعل آخر دعاء له لله أن يلحقه بالصالحين فى الآخرة وهذا فى قوله تعالى مخبرا سبحانه عن دعاء يوسف فى آخر أيامه فى الدنيا ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١

وفى سورة النحل ذكر الله تعالى دعاء سليمان عليه السلام بأن يدخله فى الصالحين فى قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن

قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٨ – ١٩.

ولا شك أن اقتران الدعاء بالرحمة للدخول فى عباد الله الصالحين يثبت أن سليمان عليه السلام يقصد الدخول فى الصالحين فى الآخرة.

وبالنسبة ليونس عليه السلام قال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ القلم: ٤٨ – ٥٠. فاجتباه أى قربه، ومن ثم جعله من الصالحين.

وفى سياق من سورة الأنبياء بدأ بقوله تعالى ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٦ – ٨٥.

وهكذا بعد أن ذكر الله تعالى فيها نوحا وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ثم عقب على ذكرهم بقوله تعالى ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا

ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٥ قال تعالى ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٦، أفليس هذا هو تلبية دعائهم فى الدنيا بأن يدخلهم الله فى الصالحين فى الآخرة ؟ بلى.....

وبهذا يتبين لنا معنى الصلاح الذى وصف الله تعالى به رسولا من أولى العزم هو نوح ومعه النبى لوط عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ١٠ رسول من أولى العزم هو نوح عليه الصلاة والسلام وكذا نبى الله لوط عليه الصلاة والسلام يوصفا بالصلاح، هل هو الصلاح الذى يوصف به المؤمنون فى الدنيا أم هو الصلاح الذى بشر الله تعالى به إبراهيم فى الآخرة ؟ !

وعن لوط عليه الصلاة والسلام قال تعالى أيضا ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٥ وهذا الوصف بالصلاح أيضا بالنسبة لنبى الله لو ط عليه السلام يجعلنا نتساءل : هل الصلاح فى الدنيا أم فى الآخرة ؟

أما إبراهيم الخليل فهو وحده المبشر بها صراحة فى كتاب الله ﷻ ثلاث مرات بأنه من الصالحين فى الآخرة.

المرة الأولى : فى قوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠

والمرة الثانية : فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ النحل: ١٢٠ – ١٢٢.

ففى الآية الأولى والثانية إخبار بصلاحه فى الآخرة فتأكيد بقوله تعالى (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين)

فما دلالة الصلاح فى الآخرة، وهؤلاء الصالحون فى الآخرة صالحون لأى أمر أو أى شيء فى الآخرة ؟! هذان السؤالان محور بحثنا فى الفصول التالية.

والمرة الثالثة : فى قوله ﷻ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٧ فلأى أمر سيكون إبراهيم الخليل ﷺ صالحا فى الآخرة، هو والذين مَنَّ الله تعالى عليهم بالصلاح فى الآخرة ؟ !.

ويبقى فى قضية الصالحين فى الآخرة سؤال هام يهم كل المؤمنين والمسلمين حتى المحسنين منهم والشهداء والصديقين أيضا، ألا وهو : هل تقتصر فئة الصالحين فى الآخرة على المرسلين والنبيين فحسب ؟!

الإجابة : بل المؤمنون الموحدون من الأمم السابقة على الأمة المحمدية يطمعون فى أن يدخلهم الله تعالى مع القوم الصالحين فعن أتباع المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام قال تعالى ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ المائدة: ٨٢ – ٨٤.

هذا عن مؤمنى الأمم السابقة الذين حرصوا بأنهم يطمعون فى كرم الله تعالى أن يدخلهم الله تعالى مع الصالحين من قومهم أى أنبيائهم، وأما قولهم (نطمع) فمناسب جدا لأنهم يعلمون أن هذا الدعاء هو دعاء الأنبياء، وهذا الرجاء فى أن يكون لهم حظ فى أن يكونوا مع الصالحين فى الآخرة، أى يجعلهم الله تعالى صالحين لما بشر الله تعالى به رسله بأن يكونوا صالحين له فى الجنة.

وكذلك بالنسبة لمؤمنى الأمة المحمدية جاءهم الوعد من الله ﷻ بأن يدخلهم فى الصالحين، بل أكد لنا رب العزة بفضله هذا الوعد، بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ العنكبوت: ٩. وهذا فضل الله تعالى للأمة المحمدية التى سيكون الصديقون فيها على مقامات ودرجات النَّبيين فى الجنة، ومن ثم جاء إدخال الله تعالى لهم فى الصالحين بصيغة التأكيد (لندخلنَّهم) الذى هو قريب من تأكيد الله تعالى لخليله إبراهيم ﷺ.

ومن ثم يرد على الذهن هذان السؤالان :

أ- السؤال الأول هو :

إذا كان معنى الصلاح فى الدنيا هو موافقة عمل العبد بعد إيمانه بالله ورسوله ﷺ بقدر الإمكان شرع الله ﷻ، إعتقاداً قلبيا ونطقاً قوليا باللسان وعملاً سلوكياً بالجوارح، لكى يفوز الإنسان فى هذه الحياة الابتلائية فيما يبتلى به، ومن ثم يصير من أهل الجنة، فيكون معنى الصلاح فى الدنيا هو الاجتهاد فى توحيد الله ﷻ وتحقيق العبودية له سبحانه وتعالى وهذا مقصور على الدلالة اللغوية للصلاح، فما يكون الصلاح فى الجنة إذاً وهى دار نعيم لا إبتلاء فيها ولا تكليف ولا عبادة لله ﷻ ؟!

وبصيغة أخرى لم يكون الصلاح فى الجنة، أى لأى شيء يكون الإنسان صالحا فى الجنة ؟!

ب- والسؤال الثانى هو :

بم يلحق الصالح فى الدنيا بطبقة الصالحين فى الآخرة التى حَرَصَ النبيون على الدعاء بأن يكونوا منهم ؟ أو السؤال بصيغة أخرى وهل هذه الدرجة العليا فى الجنة، بل الدرجة الأعلى فى الجنة، قاصرة على النبيين فحسب، أم يمكن لغير النبيين أن يبلغوها ؟! وبم يبلغونها ؟

أما عن إجابة السؤال الأول : فمما لا شك فيه أن معنى الصلاح فى الآخرة غير معنى الصلاح فى الدنيا لأن قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩، يجعل فئة الصالحين فى الدنيا مسبوقين بثلاث طبقات هم النبيون والصديقون والشهداء فالمعية ليست معية الدرجة، ولكنها معية المصير فى الجنة، أى أنهم جميعا فى الجنة، ومن ثم يكون معنى الصلاح فى الدنيا هو الإسلام ويكون الصالح هو المسلم الذى يعمل الصالحات.

أما فى الآخرة فإن النبيين جميعا مبشرون بأنهم أول الذين سيدخلون الجنة حيث كل نبى يسبق فى دخولها كل المؤمنين من أمته وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم عليهم السلام لمّا دعوا أن يكونوا مع الصالحين فى الجنة أرادوا أن يكونوا ضمن فئة سيكون اسمها فى الآخرة " الصالحون " بدلالة أخرى غير دلالة الصلاح فى الدنيا التى هى محض الإسلام والإيمان وعمل الصالحات، أى أن دلالة لفظ الصالحين فى الآية آنفة الذكر تدل على محض الإيمان بالله ﷻ وبسائر الأركان، هذه الأركان التى تعبر عنها شهادتنا " لا إله إلا الله محمد رسول الله ".

بينما دلالة لفظ الصالحين التى دعا النبيون ربهم أن يلحقهم بهم فى الآخرة تزيد وترتفع كثيرا جدا عن هذه الدلالة.

ثانيا : أما إجابة السؤال الثانى فيزداد بها لب القضية، التى نحن بصددها، وضوحا وهى أن الصلاح فى الجنة ليس بدلالة الحرص على طاعة الله ﷻ فى الدنيا التى هى دار التكليف والابتلاء، والجنة لا تكليف فيها ولا إبتلاء، ولكنها نعيم خالد وزيادة، قال تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ

نُورٌ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور: ٣٥.

الآية تتحدث عن نور الله فى قلب عبده المؤمن الذى مَثَلُهُ بمصباح فى صدر المؤمن، الذى، أى الصدر، مَثَلُه كمثل المشكاة، أى الكوة فى الحائط، والمصباح الذى هو الفتيلة المشتعلة داخل زجاجة بللورية تتلألأ بالضوء، وهذه الزجاجة هى مثال لقلب المؤمن، أما الوقود أو الطاقة التى بها يشتعل المصباح ويظل مضيئا فيأتي عبر " وصلة " من الشجرة المباركة الزيتونة، وممتدة منها بالعروة الوثقى، وهذه الشجرة هى شجرة النور الأحمدى، وكل مصباح ما هو إلا ثمرة طيبة موصولة بهذا الفرع الذى يغذيه بهذا النور الذى يجعل المصباح دائم الإضاءة، هذه المصابيح هى فى قلوب رجال مؤمنين، قال تعالى لمن أراد أن يلتقى بهم ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ النور: ٣٦ – ٣٨.

وشاهدنا فى هذا السياق أن المؤمنين سيدخلهم الله الجنة لقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أى يحاسبوا بمقياس أحسن درجة طاعة وصلوا إليها، بل (ويزيدهم من فضله) فإذا كان الجزاء بأحسن ما عملوا هو الجنة، فما هى الزيادة من فضله سبحانه وتعالى فى الجنة ؟

وقال تعالى أيضا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر: ٢٩ – ٣٠ وفى هاتين الآيتين الكريمتين أيضا قوله ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ وهذا بإدخالهم الجنة فماذا تكون الزيادة من فضله سبحانه وتعالى بعد دخول الجنة ؟!

وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس: ٢٥ – ٢٦ ودار السلام هى الجنة، وهى الحسنى التى هى جزاء الذين أحسنوا فما تكون الزيادة بعد الجنة ؟!

وقال تعالى أيضاً ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣١ – ٣٥.

تلك هى الجنة فما المزيد ؟!

وتلك دار السلام فما الزيادة ؟

ومن ثم هذا ما أردنا إثباته، وهو أن الصلاح فى الدنيا لدخول الجنة، أما الصلاح فى الآخرة فهو للزيادة.

وبطاقة دخول الجنة دار السلام فهي الصلاح فى الدنيا المُتمثِّل في شهادتىْ "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، والصلاح فى الدنيا هو الإسلام.

أما بطاقة الفوز بالمزيد (الزيادة) فهي الصلاح فى الآخرة، الذى هو أعظم وأكثر بكثير من الصلاح فى الدنيا، كما أن الإحسان أعظم وأكثر بكثير من الإسلام.

فالإسلام بطاقة دخول الجنة والإحسان بطاقة الفوز بالمزيد أو الزيادة.

الفصل الثانى

رسول الله ﷺ هو البرزخ بين الحق سبحانه وتعالى وبين الخلق فى الدنيا بالرحمة وفى الآخرة بالوسيلة.

أما برزخيته فى الدنيا فلكونه رحمة الله للعالمين، وأما فى الآخرة فلكونه وسيلة أصحاب الدرجات التى هى دون درجة الوسيلة فى الجنة والتى تخصه وحده، وكل من سواه ﷺ دون هذه الدرجة بلا جدال، فهو وحده ﷺ وسيلة كل أهل الجنة فى الآخرة لنيل المزيد.

لذا فلا سبيل لهم لرؤية ربهم ﷻ إلا بأن يستأذن هو ﷺ لهم إذ لا يستأذن على الله ﷻ لأهل الجنة إلا صاحب الوسيلة، أما هو فلا يستأذن لنفسه، لأن الحبيب لا يستأذن على حبيبه، ولأنه رسول الله ﷺ فى الدنيا كونيا وتبليغيا ودعويا ورسوله بالرحمة للعالمين فيها، فهو كذلك وسيلة أهل الجنة إلى ربهم فى الآخرة وليس هذا إلا إمتداداً لبرزخيته ﷺ الوجودية بين الخالق سبحانه والمخلوقين.

فبرزخيته ﷺ بين الحق سبحانه وتعالى وبين الخلق، ممتدة منذ بدء الخلق وفى عالم الملكوت، ففي عالم الملك أى فى الدنيا، ثم فى الآخرة أيضاً، فبرزخيته ﷺ فى الدنيا بالرحمة للعالمين، وفى الآخرة بالوسيلة لأهل الجنة لرؤية ربهم ﷻ، فهو رسول الله كونيا قبل أن يكون رسوله إلى الإنس والجن فى الحياة الدنيا تبليغيا وقوليا، أى قبل أن يكون داعياً إلى الله وهاديا إليه بإذنه ومبشرا ونذيرا أحمديا ومحمدياً فى الدنيا، وسراجا منيرا للقلوب كونيا فى الدنيا والآخرة أيضا لأن قوله سبحانه (وسراجا منيرا) على سبيل الإطلاق، وهو شهيد يوم البعث على الإنس والجن أجمعين محموداً فى المقام المحمود يوم القيامة الكبرى الذى هو يوم الدين، أما أنه هو ﷺ رسول الله بالرحمة بالتَّعَيُّن الأول الكونى، فتفسيره أنه الموجود الأول الذى أوجده الله تعالى أولا وفاتحا للخلق قبل خلق السماوات والأرض، وهذا تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾

الأحزاب: ٤٥ ، أى شاهدا على بدء خلق الله تعالى للسماوات والأرض فى لازمان ولا مكان قبل خلق الزمان والمكان ودوران الفلك، ولأنه رحمة الله المهداة والمسداة، الذى إفتتح الله به الكون باسمى الرحمن والرحيم فسبق وجوده ﷺ وجود الخلق أجمعين، لكى تدركهم رحمته فأرسله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين، أى لكل من سيخلقه الله تعالى من بعده، فكان هو ﷺ الرحمة الكونية الشاملة لكل الخلق والتى لولا سبق وجودها ما استمر مخلوقا واحدا من المخلوقين فى الوجود إلى انقضاء أجله قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وهذا يَتَضَمَّن سبق إيجاده وإرساله ﷺ لكل ما خلقه و يخلقه الله تعالى فى العالمين ليكون كل مخلوق مرحوما به ﷺ الرحمة اللازمة لاستمرار المخلوق إلى أجله المقدر له. (١)

ومن ثم إذا تساء لنا : من أى ضرر أو أى خطر جعله الله تعالى رحمة لكل شيء ؟

لجاءتنا الإجابة على الفور من قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤.

وعلمنا فى باب سابق أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يطلب الرؤيا من الله فى الدنيا إلا بعد علمه بأن رسول الله ﷺ سيراه فى الدنيا، ونسى موسى عليه

(١) هذا هو الدليل الأول لعشرة أدلة على أن الحبيب ﷺ هو أول خلق الله ﷻ وسيأتى ذكرها فى الجزء الرابع للحقيقة المحمدية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه إن امتد بي الأجل.

الصلاة والسلام أنه، وإن كان هو كليم الله ورسول من أولى العزم، إلا أنه مبعوث فقط لبنى إسرائيل أى لقومه فقط، شأنه شأن كل المرسلين من قبله، وربما نسى أيضا مع غلبة الشوق عليه إلى معرفة ربه ورؤيته أن رسول الله ﷺ هو رسوله للعالمين، حتى لجميع النبيين والمرسلين فهو ﷺ برزخ بين الله ﷻ وكل النبيين والمرسلين لأنه رسول الله إليهم جميعا، والأهم من هذا كله أنه رسوله سبحانه بالرحمة فى الكون قبل أن يصبح رسوله بالدعوة للثقلين بشيرا ونذيرا، فهذه رسالته التبليغية الدعوية، أما رسالته الكونية ﷺ فبكونه سراجا منيرا لكل العالمين.

فهو رسول الله تعالى إلى كل الخلق بالرحمة، من كل ما يضر، ثم بالرحمة من التهدهد الذى حل بالجبل لما كشف الله سبحانه وتعالى الأقل القليل جدا من حجابه أو حجبه التى هى نور يحجب به الله سبحانه بين سبحات وجهه ﷻ وبين خلقه، حماية لهم من التهدهد الذى أصاب الجبل والصعق الذى أصاب موسى عليه الصلاة والسلام مما أصاب الجبل.

وأما عن مقدار ما رفع الله تعالى من حجابه للجبل فقد أخبرنا رسول الله ﷺ فيما رواه عنه (أنس بن مالك ﷺ عنه قال : فإن النبى ﷺ قرأ هذه الآية «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا» قال : هكذا، وأشار بإصبعيه ووضع طرف إبهامه على أنملة الخنصر، وفى لفظ على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل وخر موسى صعقا، وفى لفظ فساخ الجبل فى الأرض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة)[1]. أى أنه سبحانه تجلَّى للجبل بمقدار حجم ظفر الخنصر أو عقلة الإصبع الأصغر فى الكف فقط .

---

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص١٢٩، ١٣٠ وقال رحمه الله : وأخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه وابن مردوية والبيهقى فى كتاب الرؤية من طـــرق عن أنس بن مالك.

ومن ثم جعل الله تعالى حجابا من نور بينه وبين خلقه رحمة بهم ولهم، هذا الحجاب هو رحمته سبحانه وتعالى للعالمين، وقد علمنا من هو رحمته تعالى للعالمين ﷺ وآله.

وعن هذا الحجاب أيضا أخبرنا رسول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه (عن أبى موسى الاشعرى ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال " إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، وفى رواية أبى بكر " النار " لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل ما إنتهى إليه بصره من خلقه " [1].

فماذا يكون هذا الحجاب النورانى الذى يمنع اختراق وتهدهد وسيخان خلقه فى الأرض فلا يكون لهم وجود بانتهاء أو بوصول سبحات وجهه ﷻ إليهم ؟.

ماذا يكون الحجاب سوى رحمته تعالى للعالمين ؟!

فهو ﷺ الدافع للفناء عن الخلق جميعا، والحاجز بأمر الله تعالى بهذا المرسل بالرحمة بين الحق والخلق، والحجاب أو الحاجز أو الرسول برزخ بين المُرسل سبحانه والمُرسَل إليهم، ومن ثم فهو بهذا المعنى الكونى أيضا برزخ بين الله ﷻ وعبيده، حاجز برحمته تعالى الإحراق والإفناء لخلقه ﷻ بمشيئته وحوله وقوته هو سبحانه وتعالى، ومن ثم فهو ﷺ برزخ بين الحق والخلق.

وفى الكتاب عن البرزخ قوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ الرحمن: ١٩ – ٢١.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب فى قوله عليه الصلاة والسلام (إن الله لا ينـــام) وفى قوله حجابه النور المجلد الأول ص٤١٧.

أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد تفسيراً لظاهر هذه الآيات : أن علماء البحار إنتهوا فى أبحاثهم إلى حقائق عن البحار : مياهها وأملاحها وأعشابها وأحيائها وقيعانها وغاباتها المرجانية، وغير ذلك مما يخصها، إلى حقيقة عامة هامة جدا، وهى أن كل محيط من المحيطات وكل بحر من البحار وكل بحيرة من البحيرات، وحتى كل نهر من الأنهار، له شخصيته التى يتميز بها عن سائر المحيطات والبحار والأنهار الأخرى، فلا يشترك محيطان أو بحران أو نهران فى خصائص المياه والأملاح والأحياء، فلكل ماؤه الخاص وملحه الخاص وأحياؤه المتميزة عن الأحياء فى غيره، فشكل ذرة الماء فى المحيط الأطلسى، مثلا ، تختلف عن شكل ذرة الماء فى البحر الأبيض المتوسط، وكذلك الحال فى شكل ذرة الملح لكل منهما وفى أعشابهما وأحيائهما وكل ما فيهما .

والأمر العجيب هو أن التقاء مياه البحرين الأطلسى والمتوسط عند مضيق جبل طارق، أو فى منطقة التقاء أى مياهين لبحرين، أو لنهر وبحر ، أو لنهر يصب فى محيط، هذا الالتقاء لا يعنى الإختلاط الذى يمحو الخصائص الخاصة بكل منهما، بل يلتقيان، ولا يبغى أحدهما على الآخر ، بمحو أو إذابة خصائص مياه الآخر فى خصائصه، أى أنهما يلتقيان من غير أن يبغى أحدهما على الآخر.

والسر فى هذه الحماية لخصائص مياه كل بحر أو نهر من الآخر، هو أن بين كل بحرين أو مياهين برزخ يقف بينهما ، والبرزخ منطقة مغايرة للإثنيْن، فيمنع هذا البرزخ أن يبغى هذا على ذاك أو ذاك على هذا، وهذا البرزخ هو ما ثبت لعلماء البحار وعلماء الأحياء الذين أكدوا وجود البرزخ بين كل بحرين أو بين مياه النهر الذى يصب فى المحيط وبين مياه المحيط ويظل يخترق ماء المحيط الذى يحيط بمجرى هذا النهر من جميع الجهات، ومع هذا يظل الماء العذب مستقلا تماما عن المياه المالحة للبحر أو للمحيط حتى أن بحارة السفن لو أنزلوا الدلاء، تحتهم وهم فوق مجرى النهر لاستخرجوا منه ماءً عذباً مع أنها تجرى فى أعماق

المحيط المالح، وهذا ما حدث لسفينة استغاث ربانها باللاسكى طالبا المياة العذبة حيث هو ومن معه كادوا أن يهلكوا من العطش فسألوهم عن الموضع الذى هم فيه فأخبروهم به ، فقالوا لهم أنتم فوق مجرى مصب نهر الميسيسبى فأدلوا بالدلاء ونزعوها ممتلئة بالماء العذب.

هذا الذى ذكرناه عن برزخية البحار هو المعنى الظاهر لهذه الآيات الثلاث من سورة الرحمن، لكن لهذه الآيات دلالة باطنية أخرى، لأنه كما هو معلوم أن لكل آية ظاهر وباطن، أقول : هذه الدلالة الباطنية مطابقة تماما للدلالة اللغوية، بل أكثر مطابقة من الدلالة الظاهرية، وهى أن الآية الثالثة تثبت أن هذه البرزخية بين البحرين من أعظم آلاء الله تعالى على الخلق بعامة وعلى الثقلين بخاصة، وهى قوله تعالى لهما ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1].

وهى تفيد أن البرزخ الذى بين البحرين من أعظم نعم الله تعالى على الثقلين، (سبحانك ربنا ما بشيء من نعمك نكذب ولك الحمد)[2]، وأعظم نعم الله تعالى التى أسبغها على الثقلين هو رسول الله ﷺ الذى هو برزخ وحاجز وحجاب بين الحق والخلق، وفى نفس الحال هو رسول بالرحمة والخير والرزق للخلق، وبهذه البرزخية صار رحمة للعالمين ﷺ وهو برحمته أيضا فيض المدد الإلهى للعالمين، وهذه هى برزخيته الكونية فى الدنيا أما برزخيته فى والآخرة، فسيأتى الكلام عنها بعد.

ولكن لقوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٢ تفسير آخر بالمعنى الباطنى الذى لا يدركه إلا المطهرون وهو أن البحرين فى هذه

---

(١) سورة الرحمن ٢٢.

(٢) هذا ما ردده مؤمنوا الجن لما سمعوا قوله تعالى﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن: ١٣.

الآيات هما البحر أو بالأحرى المحيط اللا متناهى أى الوجود الواجب الأزلى الأبدى سبحانه وتعالى، والبحر الآخر هو بالأحرى بحيرة أو نهر الحدوث والإمكان والعدم، فالحق سبحانه بحر الإحاطة اللانهائية والدهرية الإزلية الأبدية ووجوب الوجود والقدم، والوجود المخلوق نهر المحدودية، محدودية المكان بين شاطئين، ومحدودية الزمان بين منبع ومصب أى بين بدء وإنتهاء، هذا الوجود المحدود بالزمكان " يعم جميع المحدثات التى هى ممكنات الوجود والعدم، والزمكان هو الزمان والمكان لانهما وجهان لحقيقة واحدة وهيهات هيهات أن يلتقى بحر الإحاطة اللانهائية الأزلية الأبدية ووجوب الوجود والقدم، مع نهر الممكنات المحدثات والعدم لضعف هذا الوجود الممكن الثاني، إذ الإلتقاء بينهما يُصَيِّرُ المحدث دكاً وعدما، ومن ثم شاء الرحمن الأزلى الباقي الأبدي أن يجعل بينه وبين الخلق الممكن برزخا لكيلا يصير عدماً وفناء، هذا البرزخ هو من وجه الحُجُب، وهو من وجه آخر رحمته تعالى للعالمين، الذى أبدعه سبحانه فى لا زمان ولا مكان، فكان من هذا الوجه، لكونه ﷺ مخلوقاً وعبداً له سبحانه وتعالى، كان من هذا الوجه، محدثا بالنسبة لمبدعه الأزلى سبحانه وتعالى، ومن وجه آخر هو ﷺ قديم بالنسبة لمن خلقهم الله سبحانه من بعده، أى السماوات والأرض أى الزمان والمكان وما فيهما وما بينهما، وبلفظ واحد البرزخ قديم بالنسبة للعالمين، ومن ثم فهو ليس من العالمين، وهو ﷺ من إبداعه سبحانه، لذا فهو برزخ بينه سبحانه وبين العالمين.

ومن ثم فهو ﷺ قديم بالنسبة للخلق، ولكن بمعنى القدم النِّسْبِي، وليس بمعنى القدم المطلق الذى هو لله ﷻ وحده، فالبرزخ هو المحدث بالنسبة لرب العالمين والقديم بالنسبة للعالمين، تلك هى برزخيته ﷺ بين الحق والخلق فى الدنيا، فهو دون الإله الخالق جل وعلا، وعبد له، وفى نفس الحال ليس من العالمين لأنه فوق العالمين.

هذه برزخيته ﷺ الكونية فى الدنيا، أما برزخيته ﷺ بين الرحمن ﷻ وبين أوليائه فى الفردوس الأعلى فمتمثلة فى كونه الوسيلة، لأن البرزخ والوسيلة يشتركان فى جزء من معنى كل منهما، وهو معنى الواسطية والوسطية، لأن الوسيلة التى سيمن الله تعالى بها على المصطفى لذاته حبيبا ﷺ تتمثل فى أنه ﷺ الذى له وحده أن يرى الله ﷻ بلا إستئذان كلما شاء ﷺ أن يراه، فيراه فى اليوم الواحد أكثر من مرتين بغير إستئذان وهذه خالصة له وحده من دون أهل الجنة قاطبة، ينظر إلى ربه ﷺ كلما أراد بدون استئذان لأن الحبيب لا يستأذن لرؤية حبيبه.

بل وله ﷺ بهذه البرزخية الأبدية أن لا يُؤْذَن لأحد عليه ﷻ إلاَّ عن طريقه هو ﷺ ، ومن ثم صار هو ﷺ وسيلة الصالحين لرؤية ربهم بأن يستأذن لهم على الله، الأمر الذى جعل النبيين يدعون الله فى الدنيا بأن يلحقهم أو يدخلهم فى الصالحين فى الآخرة.

❁❁❁❁❁

الفصل الثالث

تَقَدَّس وتَنَزَّه ﷻ وتعالى اللهُ عن أن تَحَدُّهُ صورةٌ أو تُقَيِّدُه هَيْئَةٌ ثابتةٌ معلومةٌ لأحدٍ من خلقه

ذات الله ﷻ فى عماء العماء وفى ظلمة الظلمة وفى غيب الغيب[1]، والمعنى أن الذي يحاول معرفة أو العلم بذاته سبحانه وتعالى يجد بهذه المحاولة أنه توجه إلى عماء وظلمة وغيب محال عليه إدراكه، فهل لله عزوجل صورة ؟

من مقتضيات التوحيد الإسلامى التنزيه المطلق لله ﷻ، وهو أن ينفى الموحِّد عنه كل خصائص وصفات وأحوال المخلوقين النابعة من جوهر الحدوث كالبدء والإنتهاء، أو محدودِيةً الوجود فى المكان أى الحجم، أو فى الزمان أى الأجل، وأن ينفى الموحِّد عنه العجز والضعف والفقر والحاجة إلى الطعام والشراب والنوم والصاحبة والولد، أو التعرض للضرر والألم، أو إرتكاب أفعال الشر وأخلاق السوء وإرتكاب الظلم، أو وصفه بالذل والبخل والخوف وبالخشية من الغير وغير ذلك من الصفات والأفعال التى يستحيى الإنسان منها أو يرفض أن ينسبها غيره له.

وأهم هذه الخصائص الوجودية للمخلوق محدوديته فى ظرفى الزمان والمكان، الأمر الذى يستتبع أن يكون محاطاً بغيره، أى بحدود مكانية تشكل له هيئة أو صورة معلومة منسوبة لكل مخلوق ويتميز بها عن غيره ويُعْرَفُ بها، هذه الهيئة الإحاطية للمخلوق فى المكان تحدد صورته فى لحظة معينة وتباينها خلال الزمان .

هذا على مستوى الجنس، فلكل جنس صورته التى تميزه عن الأجناس الأخرى، ولكل صنف من غير الأحياء صورته، ولكل نوع من الأحياء العليا من

---

(١) من أقوال سيدى ومولاى الإمام محمد ماضى أبو العزائم المأثورة.

الثدييات مثلا صورته المشتركة بينها، وللدنيا منها أيضا كالحشرات مثلا صورة أو هيئة مشتركة، وللإنسان صورة يتميز بها عن جميع الأحياء، فلا تُرى هذه الصورة أو هذه الهيئة إلا ويدرك الرائى على الفور أن المرئى له ما هو إلا إنسان أو نبات أو حيوان أو شجر أو جبل وهكذا.

هذه الصورة أو هذه الهيئة لا تنفك عن هذا المخلوق ، ولا يستطيع هو أيضا أن ينفك عنها، سواء أكان جنساً أم كان نوعاً أم صنفاً أم فردا من هذا أو من ذاك، وسواء أكان حيا أم ميتا أم جماداً .

فهل لله ﷻ صورة بهذا المعنى ؟!

وإذا أدركنا على الفور بحكم قوله تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١ أن نسبة الصورة لله ﷻ التى تلحق به ﷻ النقص والعجز والقيد وخضوعه للحدود المكانية، ومن ثم للحدود الزمانية، إذا أدركنا أن إثبات صورة له لا يجوز فى حق الإله الخالق سبحانه لأنه فى جوهره نفى للألوهية، إذا علمنا هذا يقيناً فهل يجوز، منعا لمخالفة قوله تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١ ، هل يجوز القول بأن لله تعالى صوره ثابتة دائمة ليس كمثلها صورة لمخلوق ؟ كما هو قول المشبهة والمجسمة ؟ (١)

هذا أيضا لا يجوز فى حقه ﷻ، ويجب أن يُنَزَّه عنه لأن القول بنسبة صورة له سبحانه، ليس كمثلها صورة، لا يمنع ولا ينفى عنه حصره فى الحدود المكانية والزمانية، لإن نسبة حدود مكانية ليس كمثلها حدود للإله ﷻ، وحدود زمانية، أىْ أَجَل، ليس كمثله أجل للإله ﷻ، لا ينفى عنه المكانية والحجم ومحدودية

(١) هم فى عصرنا هذا الوهَّابيون الذين أطلقوا على أنفسهم السلفيَّة.

الأجل، فهو قول باطل لأنه ينفى عنه اللانهائية، وينفى عنه الأزلية الأبدية، ويثبت أنه مُحَاطٌ بالحدود المكانية، وهو نفي الطَّلاقة فى الخصائص الوجودية وصفات الذات وصفات الأفعال، وفى هذا إثبات بدء له فى الوجود، كما هو نفى عنه للأبدية اللانهائية، لأن إثبات أجل ليس كمثله أجل لما سواه، يثبت فقط طول الأجل الذى ليس لغيره، ولا ينفى عنه محدودية الأجل، أى يثبت له الانتهاء فى الوجود، وفى هذا إثبات العدم له، وهو نفى للألوهية عنه، ومن ثم ننتهى إلى أنه لا يجوز ولا يصح أيضا نسبة الصورة الثابتة لله ﷻ إستناداً إلى أنها صورة ليس كمثلها صورة.

هذا أصل رئيسى من أصول التوحيد الإسلامى وهو الأصل الذى يخص تنزيه الله تعالى وتسبيحه عن كل خصائص المخلوقية التى تتناقض مع كل خصائص وصفات وكمالات الربوبية و الألوهية، وهو مخالف إذاً لقاعدة التنزية الرئيسية فى التوحيد الاسلامى، وهى قوله سبحان وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١ ومعلوم أن المخالفين لهذا الاصل من أصول التوحيد الإسلامى هم المشبهة والمجسمة الذين أثبتوا له سبحانه الصورة الدائمة والأعضاء .

ولكن، أفلا يتعارض هذا الأصل الثابت من أصول التوحيد الإسلامى مع عقيده أهل السنة والجماعة المثبته لرؤية الناس لربهم عزوجل بالنقل قرآناً محكما وسنة صحيحة صريحة فى المراحل الوجودية الإنسانية المتتابعة، وهى رؤيته تعالى فى عالم الذر، ثم رؤيته فى يوم الحشر والحساب، ثم رؤيته فى دار النعيم والخلود ؟

أولا : رؤيته فى عالم الذر يوم : " ألست بربكم " : وهذا إذ خاطبنا ربنا ﷻ كفاحاً أى ليس بيننا وبينه نحن بنى آدم حجاب قائلا لنا " ألست بربكم " ؟ فرددنا عليه قائلين، " بلى " أى " : نعم أنت ربنا " ودليل هذا الميثاق هو قوله

تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣

تلك هي عملية الإشهاد التى تمت بمخاطبة الله تعالى لذرية آدم بقوله لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ فشهدوا بأنه ربهم الواحد ﷻ.

روى الترمذى عند تفسير آية الإشهاد بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال أى رب من هؤلاء ؟

قال هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبة وبيص ما بين عينية، قال: أى رب من هذا ؟

قال : هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود

قال : رب وكم جعلت عمره.

قال : ستين سنة.

قال : أى رب قد وهبت له من عمرى أربعين سنة ؟ فلما أنقضى عمر آدم جاءه ملك الموت.

قال : أولم يبق من عمرى أربعين سنة ؟!

قال : أولم تعطها ابنك داود ؟

قال فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسى آدم، فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته) [1].

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب التفسير، وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم.

وروى هذا الحديث ابن أبى حاتم فى تفسيره بسنده إلى أبى هريرة رفعه وذكر نحو ما تقدم إلى أن قال (ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الاسقام فقال آدم : يارب لم فعلت هذا بذريتى ؟! فقال : قال : كى تشكر نعمتى.

قال آدم : يارب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً.

قال : هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك. ثم ذكر قصه داود على نحو ما تقدم) [1].

لقد رأى آدم ذريته كلا بصورته التى يكون عليها فى الدنيا، فرأى الأنبياء وما يتميزون به من نور على غيرهم، ورأى ما يتميز به داود وسأل عنه وعن عمره، ورأى أصحاب الابتلاءات البدنية من المرضى وذوى العاهات، وسأل الله عن الحكمة من مشيئته فى ابتلاءهم بهذه الابتلاءات، هذا كله يدل على حدث حقيقى وليس أمراً مجازيا، ومن ثم تكون مخاطبة الله تعالى لنا نحن أبناء آدم قبل الخلق، وشهادتنا بأنه ربنا الواحد قد حدثت بالفعل.

ولكن هل كان خطاب الله ﷻ لنا مواجهة ؟ أو بتعبير آخر : هل تمت رؤية بنى آدم الله ﷻ مع الكلام، أم كان كلاما بلا رؤية، أى من وراء حجاب؟

يجيب على هذا السؤال الهام فى موضوعنا الخاص بمعرفة الله ﷻ، التى لا تتم إلا بالرؤية، ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث (ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال : " إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرها فنثرها بين يديه ثم كلَّمهم قبلا قال (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين إلى قوله

---

(١) تفسير ابن كثير ح٢ ص٢٦٣.

" المبطلون ") [(١)]. فقوله " قبلا" يفيد معرفة الله تعالى " قبلاً" كفاحا ويفيد الرؤية مع الكلام.

ولعل من أفضل ما قيل فى تفسير آية الاشهاد ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فى مسند أبيه بسنده موصولا إلى ابى ابن كعب ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، قال : فجمعهم له يؤمئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فجعلهم فى صورهم ثم استنطقهم فتكلَّموا وأَخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) الآية، قال فإنى أُشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا. أعلموا أنه لا إله غيرى، ولا رب غيرى، ولا تشركوا بى شيئا. وأنى سأرسل لكم رسلا لينذرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى.

قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك. فأقرُّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم أدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يارب لو سَوَّيتَ بين عبادك ؟

قال : إنى أحببت أن أشكر

ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور، وخُصُّوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية وهو الذى يقول (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله) ومن ذلك قوله (هذا نذير من النذر الأولى) ومن ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الآية [(٢)].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، والنسائى فى كتاب التفسير موقوفا وأخرجه الحاكم فى المستدرك، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وكذا البيهقى فى الأسماء والصفات.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور / ح٢: ص١٥٥ وقال (وأخرجه ابن جرير عن جويبر.

فالعهد والميثاق الأول الذى أخذه الله تعالى على بنى آدم هو الذى تم بالإشهاد، أورد السيوطى فى الدر المنثور قال أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى قوله (وإذا اخذ ربك من بنى آدم) الآية قال (ان الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم : من ربكم فقالوا : الله ربنا. ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة).

وذكر السيوطى أيضا قال (وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال : مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه ما يكون من ذريته إلى يوم القيامة، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم واعطوه ذلك فلا يسأل أحد كافر ولا غيره : مَنْ رَبكُّ ؟ إلاَّ قال : الله) [1]. وفى هذا إشارة إلى الفطرة أى طبيعة التدين التى تجعل التسليم بالخالق ﷻ أصيلاً فى النفس البشرية.

وما نخرج به من ميثاق الإشهاد للآدميين جميعا هو أنه سبحانه وتعالى خاطبهم كفاحا، وفى هذا إثبات رؤيتهم لربهم ﷻ يقينا، بيد أن أحاديث الإشهاد لم تتضمن نسبة صورة لله تعالى، لكن النصوص الصحيحة الواردة فى رؤية المؤمنين لربهم يوم الدين أثبتت صراحة له ﷻ صورة كما سيأتى بعد.

ثانيا : رؤية الموحدين ربهم يوم الدين : تضمنت أحاديث معرفة الله تعالى يوم القيامة نسبة صورة له ﷻ فى رؤية بنى آدم لربهم عند أخذ الميثاق يوم " ألست بربكم " وكذلك تضمنت نسبة صورة لله ﷻ فى حديث رؤية المؤمنين الموحدين لربهم يوم القيامة فى « الصورة التى لا يعرفون»، فينكرون أنه ربهم، ثم لما يتجلى لهم فى «الصورة التى يعرفون» أى التى تجلى لهم بها إذ رَأَوْه يوم " ألست بربكم ؟ " يخرون له سجداً قائلين : أنت ربنا، وهذا ما ورد فى الحديث الذى

---

(١) تفسير ابن كثير / ح٢ / ص٢٦٣.

أخرجه مسلم فى صحيحه عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال (قلنا يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

قال : هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟!

قال : قلنا لا يارسول الله.

قال : هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيه سحاب ؟

قالوا : لا يارسول الله.

قال : ما تضارون فى رؤيته يوم القيامة إلاَّ كما تضارون فى رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة نادى مناد، ألاَ تلحق كل أمة بما كانت تعبد ؟!

فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا فى النار ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب.

قال : ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا.

قال : ثم تدعى اليهود، فيقال : ما كنتم تعبدون ؟

فيقولون : عزيراً ابن الله.

فيقول : كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون ؟

فيقولون : أى ربنا ظمينا.

فيقول : أفلا تَرِدُون ؟ فيذهبون حتى يتساقطوا فى النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر.

ثم تدعى النصارى فيقول : ما كنتم تعبدون ؟

فيقولون : المسيح ابن الله.

فيقول : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تريدون ؟

فيقولون : أى رب ظمينا فاسقنا.

فيقول : ألاَ تَرِدُون، فيذهبون حتى يتساقطوا فى النار ويبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر.

قال : ثم يَتَبَدَّى الله ﷻ لنا فى صورة غير صورته التى رأيناه فيها أول مرة.

فيقول : يا أيها الناس : لحقت كل أمة بما كانت تعبد، وبقيتم، فلا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء فيقولون : فارقنا الناس فى الدينا ونحن كنا إلى صحبتهم أحوج، لحقت كل أمة بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد.

فيقول : أنا ربكم.

فيقول : هل بينكم وبين الله ﷻ من آية تعرفونها.

فيقولون : نعم. فيكشف عن ساق، فيخرون سجدا أجمعين... ولا يبقى أحد كان يسجد فى الدنيا سمعة ولا رياء ولا نفاقا إلا عاد ظهره طبقا واحداً كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه، ثم يُرْفَعُ بَرُّنَا ومُسِيؤنا وقد عاد لنا بصورته التى رأيناه فيها أول مرة.

فيقولون : نعم أنت ربنا، ثلاث مرات، ثم يضرب الجسر على جهنم...)[1]. إلى آخر الحديث.

فقوله ﷺ (ثم يَتَبَدَّى الله ﷻ لنا فى صورة غير صورته التى رأيناه فيها أول مرة) أى يوم الميثاق يوم " ألست بربكم ".

فماذا يكون رد الموحدين عليه سبحانه إذا قال لهم سبحانه (أنا ربكم) ؟ يقولون : (نعوذ بالله منك) وفى روايات أخرى (لست ربنا نعوذ بالله منك)، لماذا قالوا له هذا القول ؟

لأنه تَبَدَّى لهم فى غير الصورة التى رأوه فيها أول مرة يوم ألست بربكم ؟".

فيقول لهم : هل بينكم وبين الله ﷻ من آية تعرفونها ؟

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١، حديث ٣٠٢ وأورده ابن منده فى كتاب الإيمان بلفظ مختلف.

فيقولون : نعم، فإذا تجلى مبديا لهم هذه الآية، وهى أن يكشف لهم عن ساق ، وهي ساق الصورة التى رأوه فيها أول مرة، فيعرفون أنه ربهم، ويخرون له سجداً، قائلين له : نعم أنت ربنا.

وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال (قلنا يارسول الله هل نرى ربنا ﷻ .

قال : هل تضارون فى رؤية الشمس إذا كانت صحوا ؟

قلنا : لا

قال : هل تضارون فى رؤية البدر إذا كانت صحواً ؟

قلنا : لا

قال : فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم ﷻ يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهما. ثم ينادى مناد : ليذهب كل قوم مع ماكانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل إله يتبعوا الههم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات من أهل الكتاب.

ويؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون.

قالوا : كنا نعبد عزيزاً بن الله .

فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولداً ، فما تريدون ؟

قالوا : نريد أن تسقينا.

قال : إشربوا فيتساقطون فى جهنم.

ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون.

فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله.

فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فماذا تريدون ؟

فيقولون : نريد أن تسقينا ؟

فيقال : إشربوا فيتساقطون فيها حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر.

فيقال لهم : ما يجلسكم وقد ذهب الناس ؟

فيقولون : قد فارقناهم ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا سمعنا مناديا يقول : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنا ننتظر ربنا فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته، التى رأوه فيها أول مرة، فيقول : أنا ربكم.

فيقولون : لستَ ربنا.

ولا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء.

فيقول : هل بينى وبينكم آية تعرفونها ؟

فيقولون : الساق.

فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى كل من يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحداً، ثم يؤتى بالجسر فَيُجْعَلُ بين ظهرانى جهنم...) (١). إلى آخر الحديث.

والذى ذكرناه فى التعقيب على حديث صحيح مسلم رحمه، أقوله أيضا فى هذا الحديث آنف الذكر للإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه. وليس ثم تباين بين الاثنين إلا قوله فى رواية الإمام مسلم رحمه الله عن الآية التى عرفوا بها ربهم بقول الموحدين : " الساق " وفى رواية الإمام البخارى قولهم " ساقه " فذلك قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ القلم: ٤٢ - ٤٣ فالساق إذاً آية الصورة التى رأوها أول مرة يوم " ألستُ بربكم " لأنهم إذ يرونها يخرون سجداً قائلين : " أنت ربنا ".

---

(١) صحيح البخارى ك التوحيد باب وجوه ناضرة وفى فتح البارى مجلد ١٣ ص٤٢٠ حديث ٧٤٣٩ وأورده ابن منده ص ٨٠٠، ٨٠١ حديث ٨١٧.

ثالثا : رؤيته تعالى فى الجنة : وردت عدة أحاديث صحيحة تثبت الرؤية بدون نسبة صورة لله ﷻ وذلك فى الجنة وهذه الأحاديث هى :

١ - قال تعالى عن أهل الفردوس ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ وهذا إثبات صريح للرؤية فى الجنة، وسنقرأ لاحقا الأحاديث المثبتة لرؤية أهل النعيم لربهم ﷻ فى يوم الجمعة يوم المزيد فى الجنة رسلاً ونبيين وصدِّيقين وشهداء والذين من دونهم.

٢ - قوله تعالى عن المؤمنين فى الجنة ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ ق: ٣٥ قالت كتب التفسير (قال جابر وانس ﷺ : هو النظر إلى وجه الله الكريم) فالمزيد على نعيم الجنة هو النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى.

٣- قوله تعالى أيضا ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾ يونس: ٢٦ وقد فسَّر جمهور المفسرين فى قوله (وزيادة) أى النظر إلى وجه الله الكريم ونسبوه إلى أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعرى وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وغيرهم ﷺ، ومن التابعين : الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسرى ومجاهد وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبى ليلى وعبد الرحمن بن سابط وقتادة ومحمد بن أسحق وغيرهم من السلف .

وقد فسر ابن كثير الزيادة فى هذه الآية بالمزيد فى التى تسبقها وروى حديثا عن انس بن مالك ﷺ فى تفسير هذه الآية (قال : يظهر لهم الرب ﷻ فى كل جمعة).

٤- قوله تعالى أيضا ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٤ وقد فسرها أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة بقوله (إعلم رحمك الله أن عند أهل العلم باللغة أن اللقى هاهنا لا يكون الاَّ معاينة، يراهم الله ﷻ ويرونه، ويُسَلِّم عليهم ويكلِّمهم ويكلِّمونه).

فهل ورد فى نصوص رؤيته تعالى فى الجنة نسبة الصورة إليه ﷻ الإجابة : لا البتة. وسيأتى لاحقا الأحاديث الصحيحة المفصلة فى رؤيته تعالى فى الجنة التى لم تتضمن نسبة الصورة له تعالى بل تَضَمَّنَت صراحة نفى الصورة.

رابعا : رؤيته تعالى فى المنام :

أخرج الترمذى بسنده عن ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال (أتانى ربى فى أحسن صورة فقال : يا محمد قلت : لبيك ربى وسعديك.

قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟

قلت : ربى لا أدرى.

فوضع يده بين كَتِفَيَّ حتى وجدتُ بردها بين ثَدْيَيَّ، فعلمت ما بين المشرق والمغرب.

قال : يا محمد

فقلت : لبيك ربى وسعديك.

قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟

قلت : فى الدرجات والكفارات، وفى نقل الأقدام إلى الجماعات، واسباغ الوضوء فى المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن يحافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

قال (أبو عيسى) أى الترمذى رحمه الله " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفى الباب عن معاذ بن جبل وعن عبد الرحمن عن عائشة عن النبى ﷺ وقد روى هذا الحديث عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ بطوله وقال (إنى نعست فاستثقلت نوما، فرأيت ربى فى أحسن صورة، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى....).

ولهذا الحديث رواية بأكثر من سند إلى أنس وإلى أبى هريرة وإلى جابر بن سمرة وأيضا إلى طارق بن شهاب وإلى ابن عباس رضي الله عنهم جميعا، وبلفظ رواية عبد الرزاق رحمه الله قال قال رسول الله ﷺ (أتابى الليلة ربى فى أحسن صورة،

أحسبه قال : « فى المنام»، فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا، فوضع يده بين كَتفَىَّ حتى وجدتُ بردها بين ثَدْيَىَّ فعلمتُ ما فى السماوات وما فى الأرض، فقال : يامحمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟

قلت : نعم فى الكفارات والدرجات :

والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات، والمشى على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى المكاره.

قال : صدقت يامحمد، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه.

وقال : يا محمد، إذا صلَّيْتَ فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضنى إليك غير مفتون.

قال : والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام)[(١)].

ونستنبط من هذه الروايات وروايات الرؤية الأخرى أمورا هامة :

الأمر الأول :

هو أن شاهدنا من هذه الروايات الخاصة بالرؤية المنامية هو قوله ﷺ فى رواية (أتانى ربى فى أحسن صورة).

وفى رواية أخرى عن معاذ بن جبل ﷺ قال ﷺ (إنى نعست فاستثقلت نوما فرأيت ربى فى أحسن صورة) فدل هذا على أنها رؤيا منامية.

ويؤكد هذا فى رواية عبد الرزاق عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (أتانى ربى فى أحسن صورة، أحسِبُه قال : فى المنام) ورؤيا الأنبياء حق ورؤيا سيد المرسلين

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مسنده وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن غريب، وكذا الطبرانى وابن ماجة والبزار وابن مردوية عن أنس، وابن مردوية عن أبى هريرة وابن مردويه عن جابر بن سمرة وعن ابن عباس رضي الله عنهم جميعا.

والنَّبيّين أحق، ومن ثم فقوله ﷺ فى أحسن صورة أى أنه سبحانه وتعالى تبدَّى لرسوله ﷺ (فى أحسن صورة) والمعنى فى أحسن صورة مِماً تبدَّى ربه ﷻ لرسول أو لنبى فى منامه أى فى أحسن صورة له سبحانه يمكن للنَّبِيّين والمرسلين أن يرونها فى منامهم، أو يمكن لرسول أو نبى فى منامه قد رآه ، فهى صورة أقل حسنا من الصورة التى رآها خاتم النَّبيين وسيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين، ونفهم بل ونعلم، من هذا أن الذين دون النبيين كالصدِّيقين لا يرون ربهم فى المنام إلا فى صور أقل حسنا من الصور التى يراه فيها النبيون، ونعلم من هذا أيضا أن تباين الصور التى يرى العباد الصالحون ربهم بها فى منامهم، إنما تتباين حُسْنًا ونوراً وبهاءً، بحسب إستعداد قُلوب الرائين للتلقى، فكلٌّ يتلقى بحسب سعة قلبه وصفاء روحه.

الأمر الهام الثانى :

هو أن قوله ﷺ (فوضع يده بين كَتِفَيَّ حتى وَجَدْتُ بردها بين ثَدْيَيَّ) يدل على أن اليد فى هذا النص هى يد الصورة التى تبدَّى ربه ﷻ بها له فى منامه، وهى بداهة ليست يمين رب العالمين التى تكون السماوات مطويات بها يوم القيامة، فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٧)

حاشا لله ﷻ أن يكون لله سبحانه صورة دائمة محصور فيها ومحدودٌ بها وأن يكون له أعضاء الآدميين أو غير الآدميين، أو حتى أن تكون ذاته ﷻ مركبَّة من أعضاء كالمخلوقين.

الأمر الهام الثالث :

هو أن جميع النصوص القرآنية والحديثية التى نسبت صورة له ﷻ لم تنسبها إليه بلفظ الجلالة " الله " سبحانه وتعالى، سواء المرئية للعباد يوم الميثاق فى عالم الذر، أو يوم الدين والحساب، أو فى الرؤية المنامية، وإنما هى منسوبة دائما إليه باسم

الرب مضافا إلى الرائين " ربكم " أو " ربهم " أو مضافا إلى الرائى، وليس الرب المضاف إلى العالمين أو إلى العرش العظيم أو إلى السماوات والأرض أو المرسلين والنبيين أو إلى المشارق والمغارب، لأن رب العالمين ورب كل شيء ومليكه الموصوف بالربوبية المطلقة هو الله ﷻ، ومن ثم جاءت نسبه الرؤية أو النظر إليه سبحانه فى دار الخلود، منسوبة لوجه الناظر أو وجوه الناظرين، ناظرين كل إلى ربه، والرب واحد هو الله جل جلاله ولم ينسب النظر إلى الله تبارك وتعالى، فقوله سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣) تثبت نظر كل ولى لله تعالى فى الجنة إلى ربه سبحانه أو إلى ربهم حيث قد نسب الربوبية وقصرها هنا على وجوه الناظرين، لأن كل ناظر إنما يرى من نوره وجماله وجلاله وبهائه سبحانه بقدر ما يسعه قلبه، وبحسب صفاء روحه، وعلى قدر سمو نفسه بحسب تزكيته لها فى الحياة الدنيا، وبعبارة واحدة بحسب درجته فى الجنة.

ومن ثم يمكن أن نقطع بأنه لم يرد نص واحد فى الكتاب ولا فى السنة، ينص على أن العباد رأوْا الله ﷻ فى عالم الذر لقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢) فقوله لرسوله المصطفى ﷺ (وإذا أخذ ربك) وقوله لذرية آدم (ألستُ بربكم) كفاحا يدل على أن كل واحد منهم رأى ربه كفاحاً، إذ لم يقل هنا سبحانه (وإذ أخذ الله) ولم يقل (ألستُ الله) لأن الذى تجلَّى لهم هو ربهم سبحانه وتعالى، والله ﷻ هو ربهم وهو رب العالمين ورب كل شيء ورب العالمين هو الله ﷻ وليس رب سواه للعالمين وللناس بَيْدَ أن دقة البيان القرآني المذهلة تدل على أن الله تعالى لم يتجلَّ للناس فى عالم الذر بجميع صفات الإلوهية والربوبية وبأسماء الذات والأفعال وإنما تجلى لهم بصفات الربوبية وأسمائها وكمالاتها فحسب، ومن ثم قال لهم (ألست بربكم

؟) فرأوه أى رأوْا ربهم فى صورة تَجَلَّى لهم بها، وهى التى يَتَجَلَّى لهم بها يوم الحساب فيعرفونه بها أنه سبحانه ربهم الذى شهدوا له بالربوبية فى عالم الذر أما " الله " ﷻ الذى هو اسم يدل على الذات المحتجبة بصفات الجمال والجلال العليا المحتجبة هى أيضا، أى الصفات العليا، بأسمائه الحسنى كلها أى أسماء الإلوهية والربوبية فلا تُدركه الأبصار وإنما هو يدرك الأبصار.

فجميع أحاديث الرؤية فى هذه المراحل الوجودية الثلاث جاءت لفظ "الرب" مضافاً إلى الرائى أو الرائين فى الرؤية وليس إلى لفظ الجلالة " الله " وتثبت لفظ الرب منسوبا للرائى المفرد أو للرائين بالجمع، ففى الصحيحين واللفظ للبخاري (عن عدى بن حاتم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد إلاَّ سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه) [1] فهنا إثبات السماع والرؤية بإضافة الربوبية مقصورة للرائى الفرد (ربه) ولكن بدون إثبات صورة وهذا فى الجنة وليس فى مرحلة من المراحل أو الأحوال الوجودية الثلاثة أو فى يوم الدين.

أما اثبات الربوبية مضافة للرائين بالجمع ففى صحيح البخارى (عن جرير بن عبد الله ﷺ قال { كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة – يعنى البدر – فقال: " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم ألاَّ تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ ق: ٣٩ } [2]. فقوله ﷺ (سَتْرون ربكم) فيه إضافة الربوبية إلى الرائين بالجمع (ربكم)، ولكن من غير

(١) صحيح البخارى / أى يوم الميثاق ويوم الحساب وفى الرؤيا المنامية.

(٢) صحيح البخارى باب فضل صلاة العصر رقم (١٦) حديث رقم (٥٥٤) وفى مواضع أخرى عنده.

اثبات الصورة، وهذا فى دار النعيم، فليس فى دار النعيم إثبات للرؤية مع إثبات الصورة لله ﷻ.

الأمر الهام الرابع :

هو أنه ليس لله ﷻ صورة لأن الله سبحانه وتعالى ﷻ وتنزه وتقدس عن أن يكون محدوداً محصوراً، لا ذاتاً ولا صفات ولا بأسمائه ولا بكمالاته ولا بأفعاله فلا يجوز نسبة الصورة لله تعالى، وإنما هو سبحانه وتعالى يتَبَدَّى أو يَتَجلَّى لعباده فى عالم الإبتلاء – رحمة بنا – فى الصورة التى يشاء لمن يشاء سبحانه وتعالى كما ثبت لنا فى نصوص يوم الميثاق، وفى يوم الدين والحساب وفى الرؤيا المنامية فى الدنيا.

ولم تُنسب إلى لفظ الجلالة " الله " الصورة له سبحانه وتعالى، ولو لمرة واحدة، فى كل هذه المواضع، وإنما هى الصورة التى يشاء سبحانه أن يتجلى لعباده أو لعبده بها فى يوم الميثاق أو فى الرؤيا المنامية.

فهو ﷻ يتجلى فى الدنيا لمن يشاء من عباده فى الصورة التى يشاء ، ومن ثم فهى ليست صورة له ثابتة محدودة مقيدة لذاته ﷻ، فحاشا لله سبحانه وتعالى أن يُرى بكيفية وحدود وصفة معلومة، والصورة لا تكون إلا بهذه الثلاث مجتمعة، والذى ورد يدل على أن الصورة منسوبة للرب مضافاً للرائي أى بربوبية على قدر سعة قلب الرائي فحسب.

الفصل الرابع
الصالحون فى الآخرة هم الذين زكت نفوسهم فصاروا أهلاً لنيل إذن صاحب الوسيلة لرؤيته ﷻ فى الجنة

هل كل أهل الجنة صالحة وجوهم للنظر إلى ربهم ؟

ليس كل من يدخل الجنة صالح وجهه للنظر إلى ربه ﷻ وعلا، وإنما الرؤية للذين أحسنوا قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس: ٢٥ – ٢٦.

ودار السلام هى الجنة لأن الله تعالى هو السلام والجنة هى داره لعباده الصالحين، وهى دار السلام الخالية من الشر والعدوان والحروب والصراعات والضغائن والحسد والكراهية، فدار السلام هى التى جعلها لعبادة الموحدين، ومفتاحها " لا إله إلا الله محمد رسول الله "

وفى تفسير " الحسنى وزيادة " أورد الإمام السيوطى رحمه الله الأحاديث التالية :

١- أخرج الطيالسى وهناد وأحمد ومسلم والترمذى وابن ماجة وابن خزيمة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والدار قطنى فى الرؤية وابن مردوية والبيهقى فى الأسماء والصفات عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله مَوْعِداً يريد أن ينجزكموه.

فيقولون : وما هو ؟ ألم تُثَقِّل موازيننا وتبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتزحزحنا عن النار، قال فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم ولا أقر لأعينهم) (١).

٢- وأخرج الدار قطنى وابن مردوية (عن صهيب ﷺ فى الآية قال : قال رسول الله ﷺ :" الزيادة النظر إلى وجه الله ") (٢).

٣- وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والدار قطنى وابن مردوية (عن أبى موسى الاشعرى ﷺ عن رسول الله ﷺ " أن الله يبعث يوم القيامة مناديا : أهل الجنة بصوت يسمعه أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن)(٣).

٤- وأخرج ابن جرير وابن مردوية واللالكائى فى السنة والبيهقى فى كتاب الرؤية (عن كعب بن عجرة ﷺ عن النبى ﷺ فى قوله " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن) (٤).

٥- وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والدار قطنى وابن مردوية واللالكائى والبيهقى فى كتاب الرؤية (عن أبى بن كعب ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال الذين أحسنوا أهل التوحيد والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله) (٥).

---

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣٠، ٢٣١.

(٢) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٣) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٤) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٥) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

٦- وأخرج ابن مردوية (عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى﴿ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال، أحسنوا : شهادة أن لا إله إلا الله والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله) [١].

٧- وأخرج أبو الشيخ وابن منده فى الرد على الجهمية والدار قطنى فى الرؤية وابن مردوية واللالكائى والخطيب وابن النجار (عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ سئل عن هذه الآية ﴿ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فقال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا لهم الحسنى وهى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم) [٢].

٨- وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدار قطنى وابن منده فى الرد على الجهمية وابن مردوية واللالكائى والآجرى والبيهقى كلاهما فى الرؤية (عن أبى بكر الصديق ﷺ فى قوله ﴿ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله).

٩- وأخرج ابن مردوية من طريق الحرث (عن على ﷺ عنه فى قوله ﴿ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : يعنى الجنة والزيادة : النظر إلى الله تعالى).

١٠- وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والدار قطنى واللالكائى والآجرى والبيهقى (عن حذيفة ﷺ فى الآية قال : الزيادة النظر إلى وجه الله).

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٢) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

١١- وأخرج هناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والدار قطني واللالكائي والبيهقي (عن أبى موسى الأشعرى ﷺ فى الآية قال : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم) [١].

١٢- وأخرج ابن مردوية والبيهقى فى الأسماء والصفات (عن طريق عكرمة ﷺ عن ابن عباس ﷺ " للذين أحسنوا الحسنى قال : قول لا إله إلا الله، والحسنى : الجنة، والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم) [٢].

١٣- وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى من طريق (على عن ابن عباس ﷺ : للذين أحسنوا، قال : للذين شهدوا أن لا إله إلا الله، الحسنى : الجنة) [٣].

١٤- وأخرج ابن أبى حاتم واللالكائى (عن ابن مسعود ﷺ فى الآية قال: أما الحسنى فالجنة، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله، وأما القتر فالسواد)[٤].

هذه الأحاديث تدل على أن عقيدة أهل السنة والجماعة التى هى عقيدة السواد الأعظم للأمة الإسلامية فى رؤية الله ﷻ فى الآخرة هى النظر إلى وجه الله بخلاف فرقة الجهمية وفرقة المعتزلة اللتين نفتا رؤية أهل الجنة لربهم، وكذلك النظر إلى وجه الله فى الآخرة علاوة على نَفْيِهم، أى الجهمية والمعتزلة جواز رؤية الناس لربهم فى الحياة الدنيا بغير استثناء حتى ولا لرسول الله ﷺ ، وهو الثابت بالنسبة له ﷺ بقوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ النجم: ١١ أما قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنعام:

---

(١) تفسيرا لقوله تعالى (ولا يرهق وجوههم قتر) فالقتر هو سواد الوجوه.

(٢) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٣) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

(٤) السيوطى / الدر المنثور المجلد الثالث ص٢٣١.

١٠٣ فهو نفى لرؤيته بالإبصار فى الدنيا، والإدراك غير الرؤية لأنه يفيد الرؤية مع الاحاطة، أما الرؤية أو النظر إلى وجهه سبحانه فلا يلزم منها الإحاطة، لأن البشر يرون السماء، ولكن لا يحيطون بها، أى لا يدركونها، وإنما الممكن رؤية بعضها مع العجز عن الاحاطة برؤيتها كلها، وقد أثبت الكتاب للوجوه النظر إلى وجه ربها فى الجنة بقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ وأكد العلماء والمفسرون أن معنى كلمة " ناظرة فى الآية هو رؤية وجه الله ﷻ ولا يجوز تأويلها إلى معنى آخر كما فعل النفاة فقالوا : ناظرة أى مترقبة لثواب ربها، وردوا عليهم بقوله تعالى عن الكافرين ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ المطففين: ١٥ أى ممنوعون من رؤية ربهم، والأحاديث المتواترة الصحيحة فى الصحيحين وعند كبار المحدثين تثبت رؤية الله ﷻ فى الجنة صراحة وبأقوال محكمة لا متشابهات فيها، وليس فى عقيدة أهل السنة والجماعة فى رؤية الله تعالى فى الآخرة أدنى خلاف، بل هى ثابتة بعد الكتاب والسنة بالإجماع أيضا بين الصحابة والتابعين وتابعى التابعين وعلماء أهل السنة والجماعة، فيما تلا هذه القرون الثلاثة من قرون الإسلام حتى أيامنا هذه.

بيد أن السؤال الذى أُريدُ أن أَخْلُصَ إليه من كل هذا، والذى له الأهمية القصوى فى موضوعنا هو :

هل يتساوى أهل الجنة فى رؤية الله ﷻ ؟

أقول : إن الإجابة على هذا السؤال : تستلزم أولا الإجابة على السؤال التالى:

هل يتساوى أهل الجنة فى النعيم ؟

الإجابة : هى أن أهل الجنة بتفاوتون تفاوتا عظيما وكبيرا، كما وكيفا، فى النعيم، تفاضلا أكبر من تفاضلهم فى العطاء الدنيوى بتفاضل الدرجات فى النعيم الأخروى، قال تعالى لرسوله وحبيبه المصطفى لذاته ﷺ وآله ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ

وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ الإسراء: ٢٠ – ٢١.

ومن ثم فإن تفاضلهم الأكبر فى درجات الجنة ونعيمها يستتبع ويستلزم تفاضلهم أيضا فى أعظم نعيم فى الجنة وهو النظر إلى وجه ربهم الكريم، والدليل على أن رؤيته ﷻ أعظم نعم الجنة هو الحديث الذى أخرجه مسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة وغيرهم (عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟! قال : فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم) [١]. فكل نعيم الجنة بالنسبة لرؤيته ﷻ نزر يسير.

وهذا يجعلنا نسأل سؤالا آخر وهو :

هل كل أهل الجنة بما فيهم أهل ربض الجنة أى أهل الدرجات الدنيا فيها يرون الله ﷻ ؟

الإجابة هى : ليس كل أهل الجنة يرون الله ﷻ ، والدليل على هذا هو الحديث الذى أخرجه أحمد في مسنده (قال رسول الله ﷺ " إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه، كما يرى أدناه، ينظر أزواجه وخدمه وسرره، وإن أفضلهم منزلة لَمَنْ ينظر فى وجه الله تعالى كل يوم مرتين ")[٢].

ويؤكد هذه النتيجة أيضا الحديث التالى الذى أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن جرير وأبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة (عن عبد الله بن عمر

---

(١) السيوطي / الدر المنثور جـ٣ صـ٣٣١.

(٢) أحمد وأبو يلعي والطبرانى عن بن عمرو وعند أحمد رقم (٤٦٢٣/٢/١٣).

ﷺ : " عن النبى ﷺ قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ ينظر إلى جناته وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غُدْوَةً وعَشِيَّةً، ثم قرأ رسول الله ﷺ «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»)[1].

فقوله ﷺ وأكرمهم على الله أى أهل الفردوس الأعلى جميعا لأن " أكرم" يعلوه " الأكرم " بألف ولام التعريف الاستغراقية.

وقد بين لنا رسول الله ﷺ أن تفاضل أهل الجنة فى الرؤية مرتبط بالدرجات التى يرثونها من الجنة، ووراثة الدرجات مرتبطة بأعمالهم فى الدنيا قال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ٤٣.

ومعنى أورثتموها أى تتقاسمونها كما يتقاسم الورثة التركة بأعمالكم .

ولماذا أطلق على نيل الموحدين الجنة وراثةً ؟

لأن الوارث لا يدفع لمن ورث عنه ثمن ما يُورِثه، والجنة فضل محض وعطاء خالص من الله ﷻ، لأن الإيمان بالله وعمل الصالحات لا يعدل الجنة الخالدة من ناحية، ولأن الإيمان والعمل فضل من الله وعطاء وتمكين منه للعبد بسابقة الحسنى منه يوجب على العبد الشكر لله ﷻ أما قوله تعالى ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يفيد تقسيم هذا الميراث الذى هو عطاء خالص من الله تعالى، يفيد تقسيمه عليهم على حسب ومقدار وكم وكيف ما عمله كل مسلم من الصالحات فى الدنيا، وهذا ما علمناه من جوامع كلم المصطفى بقوله ﷺ (تدخلون الجنة بفضل الله ﷻ وتتقاسمونها بأعمالكم).

وأعظم وأجل عطاء لأهل الجنة هو النظر إلى وجه ربهم الكريم ومن ثم فهو مرتبط أيضا بأعمالهم فلكل أهل درجة من درجات الجنة العليا نصيبهم من رؤية

---

(١) القيامة / ٢٣.

الله ﷻ كما وكيفاً، كما أن لكل أهل درجة نصيبهم من النعيم كما وكيفا أيضا، والكم فى رؤية الله ﷻ عدد مرات الرؤية كل يوم أوكل جمعة أو أدنى من ذلك، أما التباين فى الكيف فلأن تَجَلِّى الله ﷻ على عباده يكون بمقدار تقبل العبد وبسعة قلبه، ولقد علمنا أن من أهل ربض الجنة من لا يرى الله، ومن وسطها من يراه ﷻ بحسب عمله، يدل على هذا ويثبته ما أوصانا به رسول الله ﷺ من الحرص على ركعتى الفجر وصلاة الصبح قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل غروبها، لكى نفوز برؤيته ﷻ، فقد أخرج البخارى رحمه الله فى مواضع من صحيحه (عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند النبى ﷺ، فنظر إلى القمر ليلةً، يعنى البدر، فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ ق: ٣٩ (١).

ومعنى هذا الحديث أنه كلما كان العبد محافظا على صلواته الخمس، وبخاصة أصعب صلاتين فيهن، وهما صلاتى الصبح قبل الشروق والعصر قبل الغروب، كان أمله أو رجاؤه فى رؤية الله ﷻ فى الجنة أوثق من الذى عصى الله، فلم يحافظ على صلواته الخمس كاملة وعلى هاتين الصلاتين بخاصة وغلبه شيطانه عليهما، ولذا فهما اللتان قال الله تعالى فيهما وفى الصلوات ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٨. ولا شك أنه كلما كان العبد مقرباً، كلما كان أكرم عند الله ﷻ، ومن ثم يكون نصيبه من رؤية ربه ﷻ أفضل من الأقل كرامة عند الله تعالى أو الأقل قربا. ومن ثم فقوله ﷻ ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ

(١) صحيح البخارى باب فضل صلاة العصر رقم (١٦) حديث رقم (٥٥٤) وباب فضل صلاة الفجر رقم (٢٦) حديث (٥٧٣) وفى مواضع أخرى.

﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الواقعة: ١٠ – ١٤. يدل على أن هذه الثلة من الأولين وتلك القلة من الآخرين نصيبهم فى رؤية الله ﷻ اكثر من أصحاب اليمين.

والسؤال هو : هؤلاء المقربون، مقربون مِمَّن ؟

إن كانت الاجابة هى أنهم مقربون من الله تعالى فهذا حق، وإن كانت أنهم مقربون من الذى اصطفاه تعالى لذاته حبيبا فهو حق أيضا، لأنه هو ﷺ الأكرم على الله مطلقا والأقرب إليه مطلقا كما علمنا هذا يقينا من قبل، فليس ثم فى الوجود مخلوق أكرم منه على الله ولا أقرب إلى الله منه، فمن كان مقربا من النبى ﷺ، فى أعالى الجنان، كان مقربا بنفس الدرجة من الله ﷻ.

يدل على هذا قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك فى أواخر سورة الواقعة ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الواقعة: ٨٨ – ٨٩.

ويثبت بما لا يدع مجالا للشك أن السابقين مقربون من الحبيب ﷺ قوله ﷻ عن أصحاب اليمين ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ الواقعة: ٩٠ – ٩١ أى أن الذين ليسوا مقربين منك يرسلون لك السلام، أما المقربون فهم فى روح منك وريحان بقربهم منك، وقربهم منك جعلهم أقرب أهل الجنة إلى الله ﷻ، ومن ثم فإن المقربين أعظم أهل الجنة حظا فى رؤية ربهم سبحانه وتعالى.

وقد مر بنا حديث أحمد فى مسنده الذى جاء فيه قول النبى ﷺ (.... وإن أفضل أهل الجنة منزلة لَمَنْ ينظر فى وجه الله تعالى مرتين كل يوم ...) [1] وقد ثبت لنا أن رسول الله الحبيب ﷺ هو الأفضل بين أهل الجنة منزلة فهو الأكرم وهو الأقرب والأحب إلى الله ﷻ، أما المقربون فهم أفضل أهل الجنة منزلة، فإذا كان أفضل أهل الجنة منزلة الذى ينظر فى وجه الله تعالى مرتين كل يوم، فما يكون حال

(١) أحمد من حديث بن عمر برقم (٤٦٢٣/٢/١٣).

الأفضل والأكرم والأقرب المصطفى لذاته حبيبا، الأحب إلى الله ﷻ بين أهل الجنة على الاطلاق ؟! لاشك أنه يراه كلما شاء أن يراه، أى بلا حد أو عدد معين له.

والدليل على هذه الحقيقة أيضا ما أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال (الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتينى الوسيلة) [1]. فإذا تدبرنا قوله ﷺ عن الوسيلة أنها (درجة عند الله ليس فوقها درجة) لعلمنا يقينا أنه ﷺ صاحب الوسيلة فى الجنة التى هى الدرجة الأعلى مطلقا، فليس بينه وبين الله ﷻ مخلوق سواه ﷺ.

وأخرج مسلم والنسائى وابن حبان فى صحيحه وأحمد فى مسنده وابن أبى شيبة فى مصنفه (عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزله فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، أرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة ") [2].

وأورده السيوطى فى الجامع الكبير بلفظ (صلوا على فإن الصلاة على زكاة، وسلوا الله لى الوسيلة، قالوا : وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد، وأنا أرجو أن أكون أنا هو) [3].

---

(١) عن كنز العمال برقم (٣٩٠٧١) وعزاه لاحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى سعيد ﷺ.

(٢) فى صحيح مسلم برقم (٥٧٧) ج٢ ص٣٢٣ كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل المؤذن، واخرجه النسائى فى سننه حديث ٦٧١ ج٣ ص٦٩ وورد فى مصادر أخرى باختلافات فى بعض الألفاظ.

(٣) أورده السيوطى فى الجامع الكبير برقم ١٤٧ وعزاه للبزار كما فى مجمع الزوائد (١/٣٣٢) وجاء عند ابن راهوية والحارث أيضا.

فإذا تساءلنا عن سبب تسمية الدرجة الأعلى فى الجنة التى لا تنبغى إلا لرجل واحد والتى هى بإذن الله ﷻ لرسول الله وحبيبه ﷺ، إذ تساء لنا عن سبب تسميتها " الوسيلة"، لم نجد لهذا السؤال إجابة إلا من دلالة الإسم، حيث " الوسيلة" هى ما يُتوسل به لبلوغ مأرب لا يتوصل إليه بدونها، ومن ثَمَّ فمن يملك هذه الدرجة يتحقق له كل ما تصبو نفسه إليه، فإذا كان أهل الجنة يتحقق لهم كل ما يشاءون من أنواع النعيم حسب درجة كل منهم، ويتفاوتون فى المزيد الذى هو النظر إلى وجه ربهم الكريم كما علمنا، فلا ريب أن الوسيلة إذاً تنحصر بالضرورة فى غاية واحدة، وهى أنها وسيلة أهل الجنة لرؤية وجه الله ﷻ، ومن ثم يكون رسول الله ﷺ هو من ناحية صاحب الوسيلة لرؤية الله ﷻ، ونيل الوسيلة يعنى نيل الرؤية كلما شاء هو ﷺ لنفسه، ومن الناحية الأخرى أنه يكون هو وحده عنده الوسيلة بالنسبة لمن دونه لأهل الجنة لرؤية ربهم ﷻ، لأن كل ما يرغب فيه أهل الجنة يتحقق لهم بمجرد حدوث الرغبة لقوله (لهم ما يشاءون فيها) وأما الرؤية فقد قال تعالى فيها (ولدينا مزيد) فهى لا تحقق بمجرد الرغبة، بل هى منه تعالى، تحتاج إلى الوسيلة، ومن ثم فالنتيجة اللازمة من هذا كله هى أن المصطفى لذاته حبيبا هو وحده وليس غيره، لأنه صاحب الوسيلة، الذى له أن يستأذن للصالحين فى الجنة من النَّبيين والمرسلين وغيرهم على الله تعالى، وأما هو ﷺ فلا يحتاج إلى الإذن على الله لرؤيته ﷻ، لأن الحبيب لا يستأذن على الحبيب. وهذا الذى انتهينا إلى فهمه والعلم به استنباطا، سنعلمه يقينا نقلا بالأحاديث النبوية الصحيحة، وبأمور مفصلة لرؤية الله ﷻ فى الجنة.

وهذا هو موضوع الفصل التالي والخاتم لفصول هذا الباب بفتح من الله تعالى ومشيئته وعونه.

الفصل الخامس

الصالحون للرؤية لا يتساوون فى النظر إليه تبارك وتعالى وإنما هم فيها ذوى مقامات ومراتب بحسب قرب كل منهم من صاحب الوسيلة ﷺ

كتب الإمام السيوطى رحمه الله فى سفره " الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) فى تفسير قوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣٥. مايلى :

١- أخرج البزار وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردوية واللالكائى فى السنة والبيهقى فى البعث والنشور (عن أنس فى قوله تعالى « ولدينا مزيد» قال يتجلى لهم الرب ﷻ) (١).

وهذا الحديث موقوف على أنس لكنه فى حكم المرفوع، لأن موضوع الحديث لا إجتهاد فيه ولا رأى وإنما هو من خبر الغيب والصحابى لا يحدث من خبر الغيب إلا ما سمعه من رسول الله ﷺ، ولو لم يرفعه إليه.

٢- وأخرج الشافعى فى الأم وابن أبى شيبة والبزار وأبو يعلى وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة، وابن جرير وابن المنذر والطبرانى فى الأوسط وابن مردوية والآجرى فى الشريعة والبيهقى فى الرؤية وأبو نصر السجزى فى الإبانة من طرق جيدة (عن أنس قال قال رسول الله ﷺ " أتانى جبريل وفى يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذه الجمعة، فُضِّلتَ بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع : اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا أُستجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبى ﷺ : يا جبريل، ما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك إتخذ فى الفردوس وادياً أَفْيح فيه كثب من

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص١١٩.

مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وتُحَفُّ تلك المنابر بكراسى من ذهب مكلَّلة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، ثم جاء أهل الجنة فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه ويقول الله : أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك فيقول : قد رضيت عنكم فسلونى، فيسألوه حتى تنتهى رغبتهم فيقول : لكم ما تمنيتم ولدى مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذى استوي فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة) (١).

فقوله " لدينا مزيد " يدل على أن هذا المزيد لَدُنّى أى من لدن الله ﷻ ، فليس هو مما فى الجنة، فالمزيد فى هذا الحديث الشريف هو النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى بعد تلقى عطاياه حتى تنتهى رغبتهم، وهذا يتكرر كل يوم جمعة .

أما من يشاء الزيادة من نعيم الجنة فيناله فى الحال بمجرد حدوث رغبته، وأصحاب المقام العالى فى هذا الحفل الأسبوعى هم النبيوُّن على منابر النور يليهم الشهداء والصدِّيقون على كراسى من نور، فهؤلاء النبيون هم الصالحون فى الآخرة بالدلالة التى بشر بها الله تعالى فى كتابه أبانا إبراهيم ﷺ بقوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠. وهو صلاح قلوبهم للنظر إلى وجه ربهم الكريم.

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص١١٩.

وإذا كان النبيون على منابر النور فى هذا الاحتفاء الربانى الاسبوعى بهم وبمن هم من دونهم من الصديقين والشهداء وبقية أهل الفردوس، فكيف يكون مقام المرسلين ؟

وإذا كان هذا هو مقام المرسلين، فكيف يكون مقام أولى العزم من الرسل الأربعة، وأولهم إبراهيم الخليل صلى الله عليهم وسلم جميعا ؟

وإذا كان هذا هو مقام هؤلاء الأربعة الكرام الكبار، فهل يكون هو نفس مقام الذى اصطفاه الله تعالى لذاته حبيبا وخليلا وكليما وصفيا ؟ هل يكون مقامه مثل مقام أحد المرسلين أو مقام أحد الأربعة الكرام الكبار صلى الله عليهم جميعا وسلم ؟!

بالقطع لا، فمقام المصطفى لذاته حبيبا لا يشاركه فيه غيره وكذا مقام الخليل ومقام كل من نوح وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام.

والدليل على هذه الإجابة نجده فى قوله ﷺ (إذا سمعتم المؤذن يؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، ثم سلوا الله تبارك وتعالى لِىَ الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة، فإنها درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد واحد من عباد الله، أرجو أن أكون أنا هو) (1). وهذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن له ﷺ مكانه فى الجنة بعامة، ومن ثم فى يوم إحتفاء الله تعالى بأوليائه فى يوم الجمعة يوم المزيد بخاصة، ليست لأحد غيره من أهل الجنة لأنه سيد أهل الجنة، بل هو بمثابة مالك الجنة وسيد أهلها التى لن تفتح إلا له، كما تواترت الأحاديث بهذا.

فلنتدبر ما يكون لآدم وإبراهيم وموسى صلى الله على رسوله و عليهم جميعا وسلم من كرامة فيما جاء فى الحديث التالى عن يوم المزيد أيضا، وهنا الذى سيخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى يوم المزيد هو الذى بشره به الله ﷻ فى كتابه بأنه فى الآخرة من الصالحين، وها هى البشرى لآدم وموسى عليهما الصلاة

(1) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص١١٩.

والسلام يبشرهم النبى ﷺ بما بشر به إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى الحديث التالى :

٣- قال السيوطى فى الدر المنثور (وأخرج ابن جرير " عن أنس ﷺ قال: إن الله إذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هبط إلى مرج من الجنة أفيح فمد بينه وبين خلقه حجباً من لؤلؤ وحجباً من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسى النور، ثم أُذِنَ لرجل على الله، بين يديه أمثال الجبال من النور، فَيُسمع دوى تسبيح الملائكة معه، وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم، فقيل من هذا الذى قد أُذِنَ له على الله ؟

فقيل : هذا المجبول [١] بيده والمعلَّم الأسماء، الذى أُمرت الملائكة فسجدت له، والذى أبيحت له الجنة، آدم قد أُذِنَ له على الله.

ثم يؤذن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور، يُسمع دَوِيَّ تسبيح الملائكة معه وصَفْقَ أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل : من هذا الذى أذن له على الله ؟

فقيل : هذا الذى قد اتخذه الله خليلا، وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، إبراهيم قد أذن له على الله .

ثم أذن لرجل آخر على الله بين يديه أمثال الجبال من النور يُسمع معه دوى تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم، فقيل : من هذا الذى قد أُذِنَ له على الله ؟

فقيل : هذا الذى اصطفاه الله برسالاته وقربه نجيا وكلمه كلاماً، موسى، قد أُذِنَ له على الله) [٢].

---

(١) المجبول : أى الذى خلق الله تعالى جبلته بيده سبحانه.

(٢) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص١١٩، ١٢٠.

والسؤال الذى جعلنا نتوقف، إلى هذا الموضع من هذا الحديث الطويل، إلى أن نعود لاستكماله، هو : وهل سيؤذن بعد هذا لسائر المرسلين والنبيين كما أذن لآدم وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم على حدة ؟!

الإجابة : سيؤذن لهم، ولكن ليس لكل منهم على حده أى لا يكون منفرداً، بل يؤذن لهم فى موكب رجل رابع قبل هؤلاء الثلاثة، وإن جاء ذكره فى الحديث بعدهم، وهذا هو الذى ورد صريحا فى بقية الحديث، مما يلى : (ثم يؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله، من بين يديه أمثال الجبال من النور يُسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم.

فقيل : من هذا الذى أُذِنَ له على الله ؟

فقيل : هذا أول شافع وأول مشفع، وأكثر الناس واردة، وسيد ولد آدم، وأول من تنشق عن ذؤابته الأرض، وصاحب لواء الحمد، وقد أُذِنَ له على الله، فجلس النبيون على منابر النور، والصديقون على سرر النور، والشهداء على كراسى النور، وجلس سائر الناس على كثبان المسك الأذفر الأبيض...) (١).

هذا الرجل هو رسول الله ﷺ الذى اصطفاه لذاته سبحانه حبيبا، وأعطاه سبحانه وتعالى أن يأخذ معه فى موكبه كل النبيين والمرسلين قبله مأذونا له على الله ﷻ ومأذوناً معه لكل النبيين بشفاعته لهم عند حبيبه سبحانه وتعالى، وحيث قد ثبت لنا أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام المبشر بأنه فى الآخرة من الصالحين، وقد أذن له على الله وحده منفرداً، كما جاء فى القرآن التأكيد بأنه فى الآخرة من الصالحين ثلاث مرات له وحده منفردا، فإن دلالة الصلاح فى عبارة (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من الفئة التى يؤذن لكل منها منفرداً على الله ﷻ يوم الجمعة يوم المزيد، ومن ثم يتبين لنا جليا أن دعاء بعض الأنبياء بإلحاقهم بالصالحين أو إدخالهم فى الصالحين، أى بأن يكون فى موكب المصطفى لذاته

---

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص ١٢٠.

حبيباً الذى له وحده أن يستأذن الله ﷻ أن يأخذ فى معيته جميع مواكب النبيين قبله مأذونا لهم معه على الله فى الفردوس الأعلى كل يوم جمعة يوم المزيد، فيكونوا فى معيته ﷺ وآله وسلم ليؤذن لهم معه على الله ﷻ.

فالصلاح بالنسبة لسائر النبيين هو أهليتهم لمعية المصطفى لذاته سبحانه حبيبا مأذونا لهم على الله جميعا، فهو ﷺ الوسيلة لهم، ولآدم وإبراهيم وموسى، فإن كونه ﷺ وسيلة لهم متمثل فى طلب الإذن لكل واحد من هؤلاء الثلاثة على الله ﷻ، ولأن قوله ﷻ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾﴾ ق: ٣٥ والمزيد هو الزيادة اللَّدُنِّية على الجنة، والزيادة على الحسنى تعنى الزيادة من كل ما يشاءونه، وأما المزيد فمن لدنه ﷻ على هذه الزيادة، لذا فإن مزيد يوم الجمعة لا يكون إلا بعد إكرام الله تعالى لهم مرحبا بالزيادة من لحوم الطير والفاكهة والشراب والثياب والعطر، ثم المزيد اللدنى على الزيادة وهو النظر إلى وجهه الكريم.

وهذا ما نص عليه ما بقى من متن هذا الحديث الطويل إذ يقول (ثم ناداهم الرب تعالى من وراء الحجب : مرحباً بعبادى وزُوَّارى وجيرانى ووفدى.

يا ملائكتى : إنهضوا إلى عبادى فأطعموهم، فقُربت إليهم من لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا عظم، فأكلوا.

ثم ناداهم الرب ﷻ من وراء الحجب : مرحباً بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، ثم ينادى : أسقوهم، فينهض إليهم كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة آخرها كلذة أولها، لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون.

ثم ناداهم الرب ﷻ من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، وقد أكلوا وشربوا، ثم ينادى : فَكِّهوهم، فَيُقَرَّبُ إليهم على أطباق مُكَلَّلة بالياقوت والمرجان من الرطب الذى سمى الله أشد بياضاً من اللبن وأشد عذوبة من العسل فأكلوا.

ثم ناداهم الرب من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، وقد أكلوا وشربوا وفكهوا ثم ينادى: أُكْسوهم، فَفُتِحَتْ لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فأكسوها.

ثم ناداهم الرب ﷻ من وراء الحجب : مرحباً بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، وقد أكلوا وشربوا وفكهوا وكُسُوا، ثم ينادى : طيبوهم فهاجت عليهم ريح يقال لها المثيرة بأباريق المسك الأذفر الأبيض فنفخت على وجوهم من غير غبار ولا قادم.

ثم ناداهم الرب ﷻ من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، وقد أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطُيِّبوا وعزتى لأنجلينَّ لهم حتى ينظروا إلىَّ فذلك إنتهاء العطاء وفضل المزيد فتجلى لهم الرب، ثم قال : السلام عليكم عبادى، أنظروا إلىَّ فقد رضيت عنكم، فتداعت قصور الجنة وشجرها سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً.

فناداهم الرب : عبادى، ارفعوا رؤوسكم، فإنها ليست بدار عمل، ولا دار نصب، إنما هى دار جزاء وثواب، وعزتى ما خلقتها إلا من أجلكم،وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى) [(١)].

هذا الحديث الطويل موقوف على أنس ﷺ وهو فى حكم المرفوع حسب ما سبق بيانه، وأشد ما يهمنا فى موضوعنا الرئيسى لهذا الباب فى هذا الحديث الطويل هو ما يلى :

١- قوله فى الحديث (ثم أُذِنَ لرجل على الله) أربع مرات، أى لاربعة رجال والمُستأذِن هنا مجهول، لأن الفعل مبنى للمجهول، فمن يا ترى المُسْتَأْذَنُ لهم ؟

الأول : هو آدم عليه الصلاة والسلام.

---

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد ٦ ص١٢٠.

والثانى : هو إبراهيم عليه الصلاة السلام.

والثالث : هو موسى عليه الصلاة السلام.

والرابع : هو رسول الله ﷺ.

٢- الإذن لكل رجل من هؤلاء الثلاثة : آدم وإبراهيم وموسى على الله ﷻ بإذن واحد لكل منهم، لا تباين ولا تفاضل بينهم ولكل منهم على حدة، أما الإذن الرابع فيتباين ويتميز عن الأذون الثلاثة، لأنه ليس لرجل وحده، ولكنه له ولمائة وأربعة وعشرين ألف نبى منهم قرابة ثلاثمائة وثلاث عشرة رسول، يؤذن لهم جميعا على الله ﷻ معه، هؤلاء الذين دعوا الله تعالى أن يلحقهم بالصالحين، أو يدخلهم فى الصالحين فى الآخرة .

ولنتدبر ما ورد فى الحديث عن هذا الإذن (ثم يؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله من بين يديه أمثال الجبال من النور)

هذا هو رسول الله الخاتم المصطفى لذاته سبحانه حبيبا، ووسيلة النبيين قبله جميعا للإذن على الله معه، مواكبهم من بين يديه أمثال الجبال من النور مأذوناً له ﷺ أن يأخذهم جميعا فى معيته مأذونا له ولهم على الله ﷻ، فليس فى الجنة من يستأذن الله لغيره إلا صاحب الوسيلة ﷺ .

فالنص يقول بالنسبة لخليل الله إبراهيم ولكليم الله موسى ولصفى الله آدم عليهم الصلاة والسلام (ثم أُذِن لرجل على الله) فمن الذى ياتُرى هو الذى إستأذن لكل منهم على الله؟

الإجابة : إنه حتما صاحب الوسيلة ﷺ هو الذى يستأذن فى الفردوس الأعلى ربه ﷻ له أو لغيره، ولا يقال : إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة الكرام ﷺ يستأذن لنفسه، وإلّا لتساوت درجته مع درجة المصطفى لذاته حبيبا، وإلّا لجاء الفعل منسوبا لكل منهم، وليس مبنيا للمجهول، لأن صاحب الوسيلة

هو صاحب الدرجة التى لا تنبغى إلا لعبد واحد من عباد الله ﷻ، كما جاء فى الحديث الصحيح.

وقد ثبت أنه ﷺ هو وحده الذى نص الحديث الشريف الصحيح على أنه أُذن له ﷺ وللنبيين معه على الله، جاء فى الحديث (ثم يؤذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله) فالذى يؤذن له بهذا، هو الذى يستأذن من ربه لنفسه ولغيره حتى إبراهيم وآدم وموسى عليهم الصلاة والسلام فلم يرد فى الحديث أن كل واحد منهم إستأذن فأُذِنَ له ولكن الذى ورد دائما بصيغة "أُذِنَ له" من غير نسبة الاستئذان له .

أفليس هذا هو البرهان الساطع على أن صاحب الوسيلة هو وحده الوسيلة وهو وحده الذى يملك الاستئذان على الله له ولغيره ؟!... بلى يقينا.

٣- لم يرد فى هذه الأحاديث الثلاثة ذكر نسبة الصورة إلى الله ﷻ، وإنما الذى ورد فى الحديث الأول عن الرؤية (قال يتجلى لهم الرب ﷻ) معرفا بالف ولام الاستغراق للربوبية وفى الحديث الثانى قال رسول الله ﷺ (فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه ويقول الله : انا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم).

وفى الحديث الثالث الطويل جاء قوله ﷺ عن الرؤية ذاكرا قول الله ﷻ (وعزتى وجلالى لأنجَلِيَنَّ لهم حتى ينظروا إلىَّ فذلك إنتهاء العطاء، وفضل المزيد، فيتجلى لهم الرب، ثم قال : السلام عليكم عبادى، انظروا إِلىَّ فقد رضيت عنكم، فتداعت قصور الجنة وشجرها سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً) فتدبر معى قوله تعالى (لأَنجِليَنَّ لهم حتى ينظروا إلى) وقوله (السلام عليكم عبادى انظروا إِلَىَّ) وقوله (فذلك انتهاء العطاء).

٤- كما أن قوله أيضا فيتجلى لهم " الربُ" بألف ولام الاستغراق للربوبية، فالربوبية هنا ليست مُضافة " إلى الرائين، بل مضافة للمتجلى لهم كل بحسب

تقبل ذاته لانوار قدسه ﷻ، فاسم " الرب" يفيد لزوما أن التجلى لعبادة سبحانه يكون للمربوبين الذين هم فى نص الحديث الصالحون فى دار النعيم لرؤيته ﷻ، ومن ثم يكون نصيب كل مربوب من عباده الصالحين من التَّجَلِّى بحسب درجة المربوب فى الفردوس وسعه قلبه وقوة روحه وعلو نفسه وطهرها فالتجلى باسم الرب ليس لكل الخلق وإنما هو (لهم) وهم أهل النعيم فى الجنة، وهذا ما يؤيده قول سيدنا ومولانا الإمام الأكبر محى الدين بن عربى فى كتابه الشجرة النعمانية.

تحت فصل بعنوان (فى اسمه تعالى الرب)

قال (اسم رب الاضافة :-

الرب المضاف حكمه حكم ما أضيف إليه، لأنه لا يُعطى إلا بحسب ما يقتضى مرتبة المضاف إليه، وأعلى مراتب الإضافة أن يضاف إلى كل ما سواه، فإنه يقرب من مرتبة الرب المطلق، وأين قوله " رب العالمين " وقوله " وهو رب كل شيء " من قوله " ربكم ورب آبائكم " أو قوله " رب السماوات" ؟!

فإذا أطلق من غير تقييد فهو " الهو " الثابت، وليس له حكم، فإنه ليس ثَمَّ سوى " الهو" ! ، وإذا قُيِّدَ فلابد من وجود العين وظهور السلطان !) [1].

فتدبر تمييزه بين اسم رب الإضافة واسم الرب مطلقاً فالمسألة الهامة لنا هنا أنه لم ينسب لله تعالى صورة فى رؤيته ﷻ لأنه الرب من غير تقييد، وهذا ما يتوافق تماما مع ما حاولتُ نفيه عن الله ﷻ فى الفصل السابق، إذ يؤدى نسبة الصورة إليه تعالى إلى التشبيه وإلى التجسيم حاشا له ﷻ، ومن ثم ننتهى يقينا أنه ليس لله تعالى صورة أو هيئة دائمة ثابتة ذات أعضاء أو تحمل أسماء أعضاء الإنسان أو أى مخلوق آخر، فهو سبحانه وتعالى يتجلى فى دار الفناء باسم الرب مضافا إلى الرائى أو الرائين، وليس فى حال إطلاق الربوبية .

---

(١) الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي/ الشجرة النعمانية صـ١٣٨، ١٣٩ صححها وعلق عليها الدكتور/ عاصم الكيالى الحسينى الشاذلي/ دار العلمية بيروت لبنان.

ومن ثم فإن ربهم يتبدى لعباده فى الصورة التى يشاء لحكمة، وهى أن العباد فى دار الفناء فانون، ومن ثم لا يتجلى الله الدائم الباقى بذاته العلية المقدسة وبصفاته العليا وأسمائه الحسنى للفانى، وإلا حدث له ما حدث للجبل، وإنما هو باسم الرب المضاف للرائي قد تبدىً لعباده فى عالم الذر، أو فى المنام، أو يوم الدين فى الصورة التى تتحمل رؤيتها كينونتهم المخلوقة الضعيفة الفانية من غير أن يصيبهم الفناء، كذا رأينا وقرأنا هذا بأدلته من الكتاب والسنة الصحيحة، فالذى يتبدى أو يتجلَّى هو رب المتجلَّى لهم أو رب المتجلَّى له، أى أن الله تعالى يتجلى لهم أوله بربوبية محدودة على قدر سعة قلب المربوب.

والسؤال الآن، بعد أن إنتهينا إلى هذه النتائج الهامة هو :

إذاً كيف سيرونه سبحانه حين ينجلِيَنَّ لهم وينظروا إليه سبحانه وتعالى عند إنتهاء العطاء وتلقى فضل المزيد ؟

الإجابة اليقينية هى : بلا كيف وبلا صورة ، ودليلنا الصحيح الصريح على هذا، قبل كل ما تقدم من أدلة، وهى كلها شرح لهذا الذى هو فصل الخطاب وهو قوله ﷺ فيما أخرجه ابن مردوية عن (أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حدود ولا صفة معلومة) (١).

حقا هذا هو فصل الخطاب فى مسألة نسبة الصورة ذات الأعضاء التى يتبدى ربنا سبحانه بها لنا فى عالم الابتلاء وليس فى دار الخلود .

حقا : بأبى أنت وأمى ونفسى يارسول الله فما عرف اللهَ مثلُك ولا سبَّحه ولا نَزَّهَهُ أحد فى الخلق مثلك.

---

(١) السيوطى / الدر المنثور المجلد (٣)/ صـ٢٣١.

لقد نفى رسول الله ﷺ عن الله تعالى التكييف والتحديد والصفة المعلومة، فنفى نسبة أى صورة لله تقدس عنها و ﷻ وحاشا لله أن يراها الناظرون إليه فى دار الحق، دار النعيم، دار الخلود،

فعقيدتى بالنسبة لهذه القضية هى أن الله ﷻ تنزه وتَقَدَّسَ و ﷻ وتعالى علوا كبيرا عن أن تكون له صورة تتقيد بها ذاته، تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، لأن هذا من خصائص المخلوقين، وهو ﷻ الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ومعنى خلقه أى صورته وطبيعته وجبلته وماهيته وحقيقته وخصائصه وغايته وفاعليته وتأثيره فى غيره وتأثره بغيره، ثم هداه إلى تحقيق التأثير وإلى الإحداث والتغيير فى الأشياء الأخرى، وإلى تقبل الشيء حدوث تأثير غيره فيه، بحسب الطبيعة التى قَيَّده سبحانه بها، وجعله فيها وجعلها فيه، هذا كله فى الشيء هو المخلوقية التى تعادل العبودية وتوازنها.

أما الخالق ﷻ، فهو خالقَ الصُّوَر، ومُبدعُ الطبائع ومُحَدِّدُ الجبلاَّت، ومُخَصِّص الخصائص، ومُقدِّر الحقائق، وهو القاضى بالسنن الحاكمة بين الأشياء والأحياء جميعا بطبائعها وجبلاتها وخصائصها وحقائقها لا شريك له بيده ملكوت كل شيء، وهو الجاعل لكل شيء، والمقدر لكل ناموس، وسنة، وقانون، ونظام، ولا جاعل له سبحانه، والقاهر فوق كل شيء، ولا قاهر له سبحانه.

ومن ثم فلا صورة تُقَيِّدُهُ، ولا هيئة تُحَدِّده ﷻ، ولا مكان يحتويه، ولا زمان يبتدئ فيه، ولا أجل ينتهى عنده، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحديد: ٣ الظاهر حتى أن صاحب القلب السليم يلاحظه تعالى فى كل شيء يراه، وهو الباطن الذى ذاته فى عماء العماء وغيب الغيب، فلا يدركه بصر أو بصيرة أو عِلْمُ مخلوق أيًا كان هذا المخلوق، وهو يدرك ويعلم سبحانه كل مخلوق، وهو على كل شيء قدير،

الخالق لكل مخلوق، وكل ما سواه مخلوق، والجاعل لكل مجعول، وهو القاهر فوق عباده وكل ما سواه مقهور، وهذا الذى أقوله لا يتعارض مع القول السابق بنسبة الصورة له لمن يرونه فى هذه الحياة الدنيا بأن الله تعالى يُرِى نفسه لمن يشاء من عباده فى جنات النعيم كما أخبرنا رسول الله ﷺ بلا كيفية ولا حدود ولا صفة معلومة أى بلا صورة ثابتة له، وإنما يراه أهل النعيم بجلال وجمال وبهاء ونور على قدر ما تتقبله نفس كل وَلِيِّ لله منهم على حده، ولا شك أنه تعالى يَتَجَلَّى للرسول من أولى العزم بجلال وجمال وبهاء ونور أعظم من تجليه لسائر الرسل صلى الله عليهم وسلم، ويتجلى لسائر الرسل بأعظم مما يتجلى به لسائر النَّبِيِّين، كل بقدر تقبل ذات كل منهم فيتجلَّى للنبي، أى نبي، بأعظم مما يتجلى للصِّدِّيق وهكذا، أما تجليه لصاحب الوسيلة ﷺ، وهو التجلى الإلهى الأعظم الذى لا يناله مخلوق سواه، لأن تَجَلِّى الله ﷻ لمن سواه ﷺ إنما يكون ببرزخيَّته هو ﷺ بين الله سبحانه وبين من سواه من أهل النعيم، فتلك البرزخية هى الوسيلة فى الآخرة، كما أن برزخيته فى الدنيا هى أنه ﷺ رحمته للعالمين.

فالله ﷻ يتجلى لكل مؤمن فى الجنة حسب سعة قلبه وطاقة روحه، فيرى من نور الله ﷻ وجلاله وجماله فى كل مرة ما يزيد على ما تلقاه فى المرة السابقة، وهكذا إلى مالا نهاية له

وهذا هو السر فى تعبير القرآن الكريم عن رؤية الله ﷻ بالزيادة فى قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، وقوله تعالى ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ ق: ٣٥ لأنها زيادة دائمة ومستمرة لا تتوقف فى كل مرة فى الزيادة عن سابقتها، ولأنه المزيد من لدنه، فهو النظر إلى وجهه الكريم، ألم يقل ربنا ﷻ (ولدينا مزيد) ؟ فهو عطاء لدنى أى الرؤية في كل مرة جديدة،

يرى العبد فيها ربه، إنما يرى جمالا وجلالا وبهاء ونورا قدسيا أجمل وأجل وأبهى وأنور وأعظم مما تلقاه هذا الولى فى الرؤيا السابقة.

وليس هذا تغيراً في المُتَجَلِّي سبحانه وتعالى، حاشا وكلا، وإنما هو بسبب ما يُصيب ولىَّ الله فى الجنة من الجلاء والصقل والصفاء وزيادة السعة فى ذاته، إذ كل هذا يجعله صالحا فى المرة التى تليها أن يكون أهلا لتلقى المزيد أو الزيادة، ومن ثم عبر سبحانه عن الرؤية بالمزيد أو بالزيادة اللدنية، تلك هى المعرفة الحقة بالله ﷻ، ولا سبيل لمعرفته حقا إلا بالمزيد اللدنى، هذا المزيد الذى صَرَّحَ كثير من العارفين بالله تعالى أنهم لا يريدون الجنة لنعيمها، مهما كان نعيمها ، وما عبدوا الله تعالى طلبا للجنة، وإنما طلبا له أى حبا فيه ﷻ، وطلبا لرضوانه ﷻ، واعتبروا الاقتصار على طلب الجنة والنجاة من النار من غير الشوق إليه، حبا فيه ومن غير الرجاء فى رؤيته تعالى، اعتبروه نوعاً من الشرك الخفى، أعوذ بالله تعالى منه وأسأله ﷻ أن يتوفنى مسلما وأن يدخلنى فى الصالحين ؟

وأساله تعالى أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم فى دار الخلود فى مواكب النبيين المأذون لهم على الله ﷻ فى معية صاحب الوسيلة ﷺ وآله المقربين فى روح وريحان وجنة نعيم.

والحمد لله رب العالمين الذى خلقنى ولم أك من قبل شيئاً.

والحمد لله رب العالمين الذى جعلنى فى الأحياء ولم يجعلنى فى غير الأحياء من خلقه.

والحمد لله الذى جعلنى فى خير الأحياء قاطبة إذ خلقنى إنسانا .

والحمد لله الذى جعلنى مُسْلِماً ونجَّانى من أن أكون من مِلَّةٍ كُفرية أو على دين من الأديان الشركية الأخرى .

والحمد لله الذى مَنَّ عليَّ بأن جعلنى عبداً له من الأمة المحمدية الخاصة، الأمة الخاتمة المصطفاة على سائر الأمم.

والحمد لله الذى منَّ وأنعم عليَّ وأنا العُبَيْد الخويدم المذنب الفقير إليه، وإلى عفوه بأعظم الآلاء والنعم، بأن جعلنى من ذرية رسوله ﷺ وآله شريف الوالدين، رحمهما الله كما ربيانى صغيرا ، حَسَنِيَّ الأمِّ حُسَيْنِيَّ الأبِ.

والحمد لله الذى منَّ وتفضَّلَ عليَّ فتَوَّجَ هذه الآلاء وهذا الفضل كله، وتلك النِّعم جميعا، بما فتح به عليَّ من العلم الذى أسأله تعالى أن يرفعنى به سبحانه لأكون من عترة الحبيب المصطفى لذاته ﷺ وآله.

أحمده على هذا كله حمدا كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه.

والشكر لله تعالى شكرا يوازى نعمه ويكافئ مزيدها ، فكل هذا الفضل والعطاء منه ﷻ وتبارك وتعالى، إنما هو مِنَّةٌ مِنْهُ سبحانه، وليس استحقاقا لى أنا العُبيد الخُويدم، لا بعلم ولا بعمل ولا بحال أو بجهود، وإنما كله منه تبارك وتعالى بسابقة الحسنى فحسب.

وصلَّى الله على رحمته تعالى للعالمين، سيد الأولين والآخرين، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود يوم الدين، وصاحب الوسيلة ليوم المزيد ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأنصاره وسلَّم.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

فهرس

الموضــــــــوع	الصفحة
المقدمة	أ - ز
الباب الأول : قواعد منهجية للبحث فى القرآن الكريم والسُنَّة	
الفصل الأول : قواعد الاستنباط الصحيح لحقيقة موضوع ما من القرآن الكريم بمقتضى معانى الآيات ودلالات الألفاظ ...	٤
١ - تمهيد :	٦
٢ - القاعدة الأولى ؛ وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم كله لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة	١٤
٣- القاعدة الثانية : وجوب الرجوع إلى الآية كاملة والى السورة كلها	١٦
٤ - القاعدة الثالثة : إفراد الله ﷻ بالإلوهية وبالربوبية يوجب إفراد الوحي مصدرا للعقيدة و الشريعة	١٩
٥ - القاعدة الرابعة : الوحى والعقل ومنهج التأويل العقلى	٢٤
٦ - القاعدة الخامسة : المعرفة بالوحى والمعرفة بالعقل	٣١
٧- القاعدة السادسة : ضرورة توافق الحقيقة المستنبطة من القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية الثابتة والمتفق عليها .	٣٨
٨- القاعدة السابعة : إخلاص النية وسلامة القصد	٤٤
الفصل الثانى : قاعدة جديدة لازمة من الإعجاز العددى لكلمات القرآن الكريم	٤٩
القاعدة الثامنة : الدلالة اللغوية للكلمة القرآنية وتوافقها مع الدلالة الحسابية لعدد مرات ذكرها فى القرآن الكريم	٤٩
أولا : بدلالة عدد الكلمات فى الكتاب وهذا المثال خاص بوحدات القياس الزمنى	٥٠
ثانيا : الدلالة العددية برقم الكلمة فى السورة وبعدد الحروف .	٦١

الموضـــــــوع	الصفحة
الباب الثانى : سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله هو وحده رسول الله، ورسول الرسل ونبى الأنبياء بمقتضى الدلالتين اللغوية والعددية لآيات وألفاظ القرآن الكريم	٦٣
الفصل الأول : بمحض الدلالة اللغوية رسول الله ﷺ نبى الأنبياء ورسول الرسل صلى الله عليهم جميعا وسلم	٦٥
الفصل الثانى : توافق الدلالة العددية لكلمتي رسول والرسول فى الكتاب مع الدلالة اللغوية	٨٤
الفصل الثالث : الدلالة العددية لكلمة رسول معرفة بالإضافة إلى لفظ الجلالة الله أي عبارة " رسول الله " فى الكتاب	٩٩
الفصل الرابع : عبارتا " رسولنا " و "رسوله " وردتا كلتاهما للدلالة على سيدنا محمد ﷺ وآله وحده	١٠٦
الفصل الخامس : الدلالات العددية لكلمة " النبى " و "نبى" فى الكتاب تثبت أنه هو وحده النبى ومن سواه من الانبياء نبى .	١٢٧
الفصل السادس : " المقام الأحمدي والأحوال المحمدية فى الكتاب " اعتراض على النتيجة اللازمة فى الفصول السابقة والرد عليه	١٣٣
الفصل السابع : تطابق الدلالة اللغوية مع الدلالة العددية فى الكتاب تثبت تفرده ﷺ بأنه العبد ومن سواه عبد	١٤٠
الباب الثالث : اصطفاء الرسول ﷺ واصطفاء النبيّين عليهم الصلاة والسلام	١٥١
الفصل الأول : الاصطفاء بين الدلالة اللغوية والدلالة العدديه فى الكتاب	١٥٥
الفصل الثانى : رسول الله ﷺ هو وحده المصطفى له فلا يصح أن يكون مصطفى من	١٩٥
الفصل الثالث : السُّنة تثبت ان رسول الله ﷺ وآله هو المصطفى له توافقا مع الكتاب العزيز	٢١٢

الموضــــــــــوع	الصفحة
الباب الرابع : أعظم بشرى لنا نحن أبناء الامة المحمدية : أيتها الأمة المصطفاة لوراثة الكتاب أنت أمة نَبِيَّة	٢٢٧
الفصل الأول : حيازة الأمة الوارثة للكتاب الخاتم مقومات النبوة كاملة وبالتالى فهى أمة نَبِيَّة	٢٢٩
الفصل الثانى : تكليف الأمة المحمدية الخاصة بمهام وتكاليف النبوة التى عجزت عنها جميع الأمم السابقة ونجاح الأمة المحمدية فى تحقيقها كلها	٢٤٩
الفصل الثالث : الحكمة التى من أجلها أرسل الله تعالى الرسل جميعا متحقِّقة يوم القيامة بالأمة المحمدية الخاصة	٢٦٢
الفصل الرابع : المفاجأة ... نبوية الأمة المحمدية ثابتة بالحديث النبوى الصحيح الصريح	٢٧١
الباب الخامس : الأدلة على أن الله ﷻ إصطفى رسوله لذاته حبيبا	٢٧٥
الفصل الاول : المصطفون فى الدنيا هم الصالحون فى الآخرة فهل رسول الله ﷺ من فئة الصالحين فى الآخرة ؟	٢٧٧
الفصل الثانى : تنزيه الله ﷻ وتقديسه عن الولد والابن	٢٩٦
الفصل الثالث : الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله ﷻ اصطفى رسوله ﷺ لذاته حبيبا	٣١٧
الفصل الرابع : الحبيب ﷺ هو المخلوق الاقرب إلى الله ﷻ	٣٢٥
الباب السادس : رسول الله ﷻ هو وسيلة النبيين والذين من دونهم لرؤية الله ﷻ فى الفردوس الأعلى	٣٤٣
الفصل الاول : الصلاح فى الدنيا لدخول الجنة والصلاح فى الآخرة للمزيد اللدنى	٣٤٥
الفصل الثانى : رسول الله ﷺ هو البرزخ بين الحق سبحانه وبين الخلق بالرحمة فى الدنيا وبالوسيلة فى الآخرة	٣٥٤

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث : تقدس وتَنَزَّه وتعالى الله عن أن تحدُّه صـورة او تُقيِّده هيئة ثابتة معلومة لأحد من خلقه	٣٦٢
الفصل الرابع : الصالحون فى الآخرة هم الذين زكت نفوسـهم فصاروا أهلا لنيل إذن صاحب الوسيلة ﷺ لرؤيته ﷻ فى الجنة .	٣٨٠
الفصل الخامس : الصالحون للرؤية لا يتـساوون فى النظـر إليـه تبارك وتعالى ، وانما هم فيهـا ذووا مقامـات ومراتـب بحـسب قرب كل منهم من صاحب الوسيلة ﷺ	٣٩١

صـدر للمؤلف

١. القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول (فى الكتـاب والسنة)	ثلاث طبعات
٢. القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الثانى (بين السلف والمتكلمين)	ثلاث طبعات
٣. القـضاء والقـدر فـى الإسـلام الجـزء الثـالـث (عنـد الفلاسفة)	ثلاث طبعات
٤. القـضاء والقـدر فـى الإسلام الجـزء الرابـع (عنـد الصوفية)	طبعة واحدة
٥. الأصول الاعتقادية للمعرفة	طبعة واحدة
٦. الإسلام والعلم التجريبى	طبعتان
٧. استخلاف الإنسان فى الأرض	ثلاث طبعات
٨. قواعـد منهجيـة للباحـث عـن الحقيقـة فـى القـرآن والسنة	طبعتان
٩. الإنسان والشيطان	ثلاث طبعات
١٠. مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان	ثلاث طبعات
١١. محاضرات فى العقيدة الإسلامية	طبعة واحدة
١٢. توفيق الحكيم لمن استمع والى من تحدث ؟	طبعة واحدة
١٣. مقومات المجتمع المسلم	ثلاث طبعات
١٤. الخلافـة الإسـلامية (أصـولها الاعتقاديـة وحتميـة عودتها)	طبعة واحدة
١٥. علم التوحيد الجزء الأول (المعرفة بالله ﷻ)	طبعة واحدة
١٦. التوحيـد الجـزء الثـانى (منهج القـرآن الكـريم فـى مناهضة الإلحاد)	طبعة واحدة

17. المدخل إلى العقيدة الإسلامية — تحت الطبع
18. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول (الإصدار الثانى لزلزال الأرض العظيم) — ثلاث طبعات
19. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى (المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة) — طبعتان
20. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث (الإمارات العلمية والتكنولوجية للساعة فى القرآن والسنة) — طبعة واحدة
21. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع (الإمارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للساعة فى القرآن والسنة — طبعتان
22. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس (المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت) — طبعة واحدة
23. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس (المسيح الدجال – طلاسم وألغاز – كشف أسرار النصوص) — طبعة واحدة
24. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع (الحجج الباهرة فى اقتراب وعد الآخرة) — طبعة واحدة
25. القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن (المبشرات بقرب الخلافة المهدوية الراشدة) — طبعة واحدة
26. البيان النبوى لدمار إسرائيل الوشيك — ثلاث طبعات
27. الإسلام والأرهاب الجزء الأول (الجذور الفكرية لاستخدام العنف فى الدعوة والإصلاح — طبعة واحدة
28. الإسلام والإرهاب الجزء الثانى (نقض الجذور — طبعة واحدة

	الفكريـة لاستخدام العنـف فى الـدعوى والإصلاح)	
٢٩.	الحقيقة المحمدية الجزء الأول (فى نور النبوة)	طبعة واحدة
٣٠.	الحقيقـة المحمديـة الجـزء الثـانى (فـى النـور الأحمدى)	طبعة واحدة
٣١.	الـصلاة والـسلام علـى والـدىْ خيْـر الأنـام في أعـالى الجنان	الطبعة الأولى ١٤١٣
٣٢.	الشفاعة والرد على المنكرين : هدية العدد الـشهري لمجلة التصوف الإسلامي	
٣٣.	العروجُ إلى الحقيقة المحمديَّة الجزء الثالث في نـور المصطفى لذاته سبحانه حبيباً	الطبعة الأولى ١٤١٤

للاتصال/ دكتور فاروق الدسوقي
٠٠٢٠١٢٢٨٨٨٩٩٤-٠٠٢٠١١١٢٣١١٨٣-٠٠٢٠١٩٢٧٧٣٨٨٨

لطلبات الجملة والتوزيع

م/ عبدالرحمن فاروق الدسوقي
٠١١٥٨٨٨٢٤٤-٠١٠٥٥٠٥٥٧٥-٠٠٢٠١٢٤١٦٦٦٦٣
Email/ *abdelrhman.eldesouky@yahoo.com*
ezz_1aa @yahoo.com
Web site/ *aldesoukee.com*

- تابعوا الصفحة الرسمية لفضيلة الدكتور/ فاروق الدسوقي على الفيس بوك وتويتر.

- يمكنكم طلب مؤلفات فضيلة الدكتور عن طريق الشحن إلى باب المنزل والدفع عند الإستلام.

تطلب المؤلفات من مكتبة الإمام أبي العزائم بجوار ضريحه بالقاهرة وباعة الأهرام والأخبار والجمهورية والمعارض الدولية والداخلية.